مكتبة فلسطين للكتب المصورة

تاريخ أفريقيا القديم والحديث



دكتور
محمود السيد
أستاذ التاريخ الاسلامي والحضارة
كلية المعلمين - المدينة المنورة سابقاً

مؤسسة شباب الجامعة
٤٠ شارع د. مصطفى مشرفة
تليفاكس: ٤٨٣٩٤٩٦ - إسكندرية
web site:www.shababalgamaa.com
e-mail:ahmedhassan@shababalgamaa.com

تاريخ أفريقيا
القديم والحديث

تأليف الأستاذ الدكتور

محمود السيد

أستاذ التاريخ الإسلامي
كلية المعلمين - المدينة المنورة (س)

٢٠٠٦

الناشــر
مؤسسة شباب الجامعة
٤٠، ٤٦ ش د/ مصطفى مشــرفة
تليفاكس: ٤٨٣٩٤٩٦٠ - الإسكندرية
Web Site: www.shababalgamaa.com
Email: ahmedhassan@shababalgamaa.com



﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الحجرات آية ١٢)

المقدمة

غير القرن العشرون - بحروبه وثوراته - ميزان القوى - فى العالم. فلقد مر على أوربا المزدحمة خمسة قرون وهى تمتد عبر البحار وتنشئ المستعمرات، وتستولى على المواد الخام وتستحوذ على الأسواق، تغير حضارات بأكملها، وكانت ترى التاريخ من حيث كونها مؤثرة فيه، وليس فى وضعه الحقيقى، عملية تكون هى نفسها أحد أجزائها، فسادت أوربا بفضل سيطرتها على البحار، وقوتها الفنية العملية ونموها الصناعى، والمدنية الغربية - أو كما تسمى أيضاً المسيحية - وجعلت لها السيادة والتفوق. ثم تغير ميزان القوى فاستعارت اليابان الفن والصناعة، وأصبحت أول دولة إمبريالية خارج نطاق أوربا، بعد أن انبعث الإسلام فى قلب الصحراء منذ أكثر من ألف عام. وتخلصت أجزاء شاسعة من أفريقيا وآسيا من سلطان أوربا السياسى خلال سبعين عاماً فقط واشتركت بكين ونيودلهى والقاهرة مع لندن وباريس ولشبونه ونيويورك كمدن دولية.

ومع كل الثقل السياسى تغير مجرى التاريخ كذلك، ولقد كان لآسيا دائماً تاريخها الخاص المستقل عن التدخل الأوربى، إلا أن أفريقيا كانت دائماً قارة مظلمة لم يضئ جنباتها إلا التدخل الأجنبى. ثم تغير الأمر بعد ذلك، فالتغير السياسى أزال الغشاوة القديمة التى لم تكن ترى العالم إلا دائراً فى فلك أوربا وأحاط البحث النقاب عن مدنيات لم يكن لأوربا لها من سبيل ولم يكن لها بها من علم.

فقد كان لأفريقيا تاريخها الثرى من قبل أن تغزوها أوربا وغيرها سجله الفتح والاستعمار الأوربى. إن عصر السيطرة الأوربية قصير بل هو لايقع

إلا فى هامش التاريخ الإنسانى أما قبل ذلك بكثير فى عهد تطور الإنسان نفسه، كانت أفريقيا تسهم فى تشكيل التاريخ ، وبينما كانت مراكز الحضارة الأوربية تزدهر وتضمحل ثم تنتشر مرة أخرى كانت هناك امبراطوريات تقوم وتحكم وتقاوم وتنهزم فى أفريقيا أيضاً.

لقد أسقط التطور العام كثير من المقولات الخطأ والأوهام الشائعة التى طالما امتلأت بها كتابات مغرضة. وهنا يجب الإشارة إلى رفض الكثيرين تبنى مقولة «أن الرجل الأفريقى الأسود ليس له تاريخ أو حضارة قبل تقدم الاستعمار الأوربى، وأن اللغات الأفريقية المنطوقة والمكتوبة ليس لها إسهام ثقافى أو دور.

إن مصر ووادى النيل وشمال أفريقيا لها تاريخها المعروف منذ زمن طويل، إلى الجنوب من هذه المناطق لم يتم اكتشاف مثل هذه المصادر التاريخية، ووسائل البحث الحديثة فى العصر الماضر أدت إلى اكتشاف وثائق ومخلفات تتعلق بتاريخ أفريقيا ماكان مستطاعاً أن تري النور بدون هذه الطرق.

وفى أواخر القرن ١٣هـ / ١٩ م وأوائل القرن ١٤ هـ / ٢٠ م أمكن تطبيقها على أفريقيا في مجال السلالات والاجتماع قد حدث فى وقت متأخر نسبياً لكن اكتشف أن الأفريقيين احتفظوا بتقاليد عريقة فى الأساطير سواء منها ما يسمى النواحى العقائدية أو غيرها.

إن أفريقيا لها تارخها الخاص بها الذى أثبت الرحالة والغزاة، وبالتجارة الآتية من أقطار بلغ فيها التسجيل التاريخى عدة موضوعات تكرر تنقلها. وأفريقيا لها أحوالها من تطوير سياسى واقتصادى وجغرافي وثقافى ودينى.

علما بأن المناطق الواقعة جنوب الصحراء كانت من الناحية الفعلية غير معروفة لأى حضارة من حضارات البحر المتوسط سواء منها الحضارات القديمة أو تلك التي تنتمي للعصور الوسطى فيما عدا العرب، وعلى ذلك لم يكن هناك اهتمام بالمنطقة جنوب الصحراء فيما وراء المجرى الرئيسى لنهر النيل وجنوب مرتفعات الحبشة إلا نادراً ومن ثم فإن هذا الجزء من أفريقيا بذاته هو ينبغي أن يحظى بعناية الدراسات والبحوث فى هذا العصر الحديث.

وتتميز المنطقة جنوب الصحراء الكبرى فى القارة الأفريقية بأنه يوجد بها جبال أو أحراش وإنما توجد حشائش ساڤانا ويتخللها بشكل غير منظم بعض الأشجار وبعض الأنهار الراكدة، وهي حارة ولكنها أكثر حرارة وجافة فى معظم أوقات السنة.

وهناك ثلاثة أنهار كبرى هى النيل والنيجر والكونغو، أما باقى الأنهار والأقل أهمية مثل نهر «أشرى» والڤولتا والسنغال وجامبيا فنادراً ما كانت تستخدم فى الماضى. وينتشر فى كل من غرب أفريقيا وشرقيها وفى وسط وجنوب القارة، ويوجد بعض السكان متناثرين عبر نهر السنغال والكميرون. وتوجد كثافة سكانية مع درجة كثافة خاصة في دلتا النيجر وشمال نيچيريا وغانا الساحلية، وكذلك حول البحيرات العظمي وعلى طول امتداد خط سكة حديد كينيا - أوغندا يتركز بدرجة أكبر في رواندا وبوروندى. وأيضاً في المناطق الشرقية والجنوبية من روديسيا وفى جمهورية جنوب أفريقيا وأكثر المناطق سكاناً منذ خمسة قرون وهى التى تحيط بنهر النيجر والبحيرات العظمى الاستوائية. أما الشواطئ والأنهار الجنوبية من القارة فكان سكانها متناثرين.

أما عن الاستعمار الغربى اليوم فقد اتجه إلى لون جديد من ألوان الاستعمار مبناه الربط الاقتصادى، فالدول الأفريقية تتمتع سياسياً بسيادتها الكاملة أما من الناحية الاقتصادية فمازالت تابعة للدول التى كانت تستعمرها. وتمعن تلك الدول في إحكام تلك الرابطة باتفاقات جديدة مثل اتفاقيثة السوق الأوربية المشتركة.

ولا شك أن الدول الأفريقية، رغم ارتباط عدد كبير منها بالسوق الأوربية المشتركة أو بمعنى آخر أصبحت محلاً للاستعمارِ الجديد، فإنها قد تمكنت من عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م من أن توحد صفوفها من أجل إحقاق مبدأ أفريقيا للأفريقيين.

لذلك ظهر للعالم كيف عمل الاستعمار على خلق إسرائيل حتى تكون أداة له في استعمار أفريقيا، وفى تدمير الوحدة العربية، لذلك فإن دور مصر كان مزدوجاً فى كفاح الاستعمار، فإنها حاربت الاستعمار لخطورته على قضية فلسطين والوحدة العربية، وهى فى الوقت نفسه تناهض المستعمرين. لخطورتهم على الوحدة الأفريقية، ومن هنا شاركت القومية الأفريقية والقومية العربية فى وحدة الآلام والأهداف ولم يكن بينها أدنى تناقض كما يفترى المستعمرون.

الأقاليم الأفريقية:

مع تزايد الانضمام للأعضاء الجدد الذى رفع العضوية فى منظمة الوحدة الأفريقية إلى ٥٢ دولة مستقلة حدث تغير فى موازين القوى بين التجمعات والتكتلات الاقليمية فى أفريقيا وكانت المنظمة قد وافقت فى عام ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م على تقسيم القارة إلى أقاليم فرعية للتكامل الاقتصادي وللتنظيم الفرعى كخطوة تمهيدية تساعد على بناء التكامل الاقتصادى وإنشاء السوق الأفريقية المشتركة، وهذه الأقاليم هى: الشمال والغرب والوسط والشرق والجنوب.

وقد تناول هذا المؤلف عرض موضوعات هذه الدول الأفريقية وفقاً لهذا التقسيم. لقد نجحت المنظمة الأفريقية التى تأسست فى عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م فى تدعيم حركات الاستقلال فى الدول التى ترزح تحت نير الاستعمار من خلال التنسيق لتحرير أفريقيا.

كما تمكنت من مواجهة النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا حتى زالت العنصرية فى عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م إلا أنه على الرغم من التحولات الديمقراطية التى أنهت النظام العنصرى الحاكم فى جنوب أفريقيا، فقد واجه النظام الجديد العديد من التحديات بشأن إجراء تحولات جذرية فى مجتمع جنوب أفريقيا بسبب ما أوجدته العنصرية من مشاكل صعبة.

فأول ما واجه النظام الديمقراطى الجديد هو محاولة إعادة الحقوق السياسية التى سلبت على مدار ما يقرب من ثلاثة قرون، لقد كان من أثر الاستعمار أن التجارة الداخلية بين الدول الأفريقية قليلة، إذ أن الصادرات تركزت إلى الدول الاستعمارية في الوقت الذى لم تسمح فيه هذه الدول بالتجارة الداخلية إلا في الحدود التى تخدم مصالحها واستثمارتها أو إذا كان فى المناطق التى ستمر بها التجارة ميناء بحرى.

وقد استفاد المستعمرون من ادعائهم بأن المواد الخام من المناطق الحارة فى أفريقيا ليس لها سوق فى القارة. ومازال التبادل التجارى بين الدول الأفريقية ضعيفاً جداً. وهذا يرجع إلى أنها جميعاً دول منتجة للمواد الأولية وإن كانت من بينها دول آخذة فى النمو مثل مصر، وكما هو شأن التبادل التجارى، فإن التعاون فى مجال الخدمات مازال ضعيفاً وهذا يفسر أيضاً حكم تبعيته اقتصاد أكثر الدول الأفريقية للإقتصاد الغربي.

وقد أيقنت الدول الأفريقية منذ عهد قريب مدى النفع الذى يعود على

اقتصادياتها من جراء تعاونها، فتم توقيع اتفاقية بإنشاء اتحاد جمركى بين مجموعاته فدول الشمال الأفريقى شكلت منظمة الاتحاد المغاربى وشكلت دول القرن الأفريقى منظمة إيجاد وشكلت دول وسط أفريقيا منظمة دول الوسط الأفريقى وشكلت دول الشرق الأوسط والجنوب منظمة كوميسا. ثم انضمت مصر إلى منظمة كوميسا ثم إلى عضوية منظمة إيجاد الذى يساعد على حل المشكلة السودانية الصومالية ثم أنشأت ارتباطات مع دول حوض النيل التسع ثم صارت عشرة بانضمام أريتريا بعد الاستقلال فى عام ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

إن التعاون الأفريقى هو الخادم الرئيسي لقضايا القارة السياسية، وتحقيق نظام الأمن الجماعى للقارة التى بلغ عدد سكانها فى عام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ٨٢٣ مليون نسمة.

وفى المجال الاقتصادى فالدول الأفريقية أعرف بمشاكلها وليس لأحد ها مطمع في أخرى وأن زيادة التعاون بين هذه الدول ضرورة لازمة فى الوقت الذى تجمعت فيه الاقتصاديات المتقدمة فبالتعاون يمكن تجنب الآثار الضارة «التجمعات الاقتصادية المتقدمة» كما أنه السبيل للإفلات من الاحتكارات الدولية ا لتى تفتعلها تلك التجمعات. فالدول الأفريقية تتحكم فى إنتاج نسبة كبيرة من عدد المواد الأولية.

وإذا زاد التعاون بين هذه الدرل أمكنها تحسين السوق الدولى لتك المنتجات (القطن طويل التيلة، النحاس، المنجنيز، البترول، الألومنيوم) ولا يقل عن ذلك أهمية مدى النفع الذى يعود على الدول الأفريقية مجتمعة.

إن على الدول الأفريقية وهى تمر بمرحلة تاريخية واحدة، أن تعتمد قد طاقتها على إمكانيات القارة أولاً.

١١

أفريقيا في العصر القديم

- الحرف اليدوية:

الزراعة والصيد والرعى

- سكان المدن
- المدنية السودانية
- الدولة العربية فى أفريقيا
- شمال وغرب أفريقيا فى عصر ازدهار الإسلام
- ممالك غينيا
- شرق وشمال شرق أفريقيا في العصور الحديثة والوسطى

الزراعة

اشتغل الأفريقيون بالزراعة، واستخدموا الآلات الحديدية.

حرفة الصيد والصيادون:

ترجع أصول سكان أفريقيا إلى البشمن والزنوج (النجرو) والحاميون الشرقيون والليبيون والساميون. أما أفراد قبائل البشمن قصار القامة لونهم ضارب إلى السمرة وحرفتهم الصيد، كانوا يسكنون المناطق التى على الحدود الشرقية والجنوبية لصحراء كلهارى، شبه الجافة منذ حملهم على الذهاب إليها اعتداءات الهتنتوت والبانتو، وكانت البشمن قبل هذا تسكن ناحية بحيرة تنجانيقا شمالاً وإلى جانبهم قبائل الهتنوت رعاة البقر وأفرادها يسكنون قديماً بلاد الكاب، ويبدو أن الهتنتوت جاءوا ثمرة الاختلاط بين عناصر البشمن والزنوج الحاميين، أما الزنوج فهم يسكنون المناطق التى بين جنوب الصحراء الكبرى وأعالى النيل إلى الكاب، عدا الحبشة والجالا والصومال فى الشمال والساميين العرب والحاميين على الساحل الشمالى الشرقى والشرق. على أن الامتزاج الذى تم بين الفولا غرب السودان وبين الباجيما فى فيكتوريا والعناصر الليبية والحامية أوضح عن هذا الامتزاج الذى تم بين العنصر الزنجى وغيره.

أما الليبيون أو البربر فهم بيض البشرة وسكان شمالى الصحراء الكبرى. أما فى الشمال الشرقى فيختلط الحاميون بالساميين ذوى البشرة السمراء ويبدو أن البشمن والزنوج دون العناصر الثلاثة الحامية والسامية والليبية هما وحدهما أصلاً سكان أفريقيا، ومن المرجح أن البشمن قد سادوا قديماً معظم الأجزاء الجافة والمكشوفة من القارة ابتداء من الصحراء الكبرى وعبر أثيوبيا وشرق أفريقيا حتى جنوب القارة.

وفى شمال شرق أفريقيا ظهر قديما سلالة شبيهة بالسلالات القوقازية وهم طلائع أشباه الحاميون الذين قدموا إلى أفريقيا من أرض الشام من فلسطين وهم أصحاب الحضارة الناتوفية، وقد استخدمت هذه السلالة الأدوات الحجرية ذات الشكل الطويل الدقيق والأسلحة ذات النصلين المتوازيين وهى شديدة الصلابة، وذات كفاءة عالية، منها المقاطع والأزاميل وغيرها من أدوات الحفر الأخرى، كما تقدمت فى صنع الأدوات الخشبية والعظمية، وقد تطورت فكرة الأسلحة عندهم مثل الحراب المصنوعة من العظام.

وهؤلاء أشباه الحاميين أصحاب الحضارة القفصية التى ظهرت حضارتهم في شرق أفريقيا في كينيا. ثم هبطوا ليستقروا بجوار بحيرات الوادى الأخرى وربما أنهم من أول من صنعوا تلك الأوانى الفخارية والحراب المصنوعة من العظام. على أن تلك الحضارة لم تكن مقصورة على المنطقة الجغرافية المحدودة وإنما ظهرت فى الأجزاء الشمالية من أفريقيا حيث ظهرت تونس.

كما ظهرت آلات تشبه هذه الآلات بين العناصر المادية للحضارة الماجوزية فى المنطقة بين شمال أوغندا والكاب، وقد استخدمت الحضارة الماجوزية القوس والرمح وهى أسلحة الصيد التى حملها أصحابها معهم إلى مسافات بعيدة جرياً وراء الصيد، وقد اتصلت الحضارتين الماجوزية والقفصية الكينية وتطورت الحضارة الولتونية فى شرق أفريقيا ووسطها وجنوبها. كما وجدت صلة بين الحضارتين القفصية والكينية وحضارة الخرطوم. وقد مارس أصحاب حضارة الخرطوم صيد البر وصيد الأسماك مستخدمين الأدوات الحجرية الدقيقة التى تتميز بمؤخرتها الهلالية كالسهام

والحراب المصنوعة من العظام الأكبر حجماً من السابقة، كما استدل على وجود الأوانى الفخارية المفلطحة التى تتميز بها نفس الفترة التى عاشها أصحاب الحضارة القفصية الكينية.

هذه الأوانى التى عمدوا إلى تزيينها برسوم خاصة تميزت بالذات في شكل السلسلة الفقرية للسلور، والسلور نوع من الأسماك يشبه القرموط. كما وجدت بعض الخطوط الانسيابية والمتوازنة على بعض الأوانى فى شرق كسلا عند الحدود بين الحبشة والسودان، وكذلك غرباً حتى هضبة تبستى عبر الصحراء الليبية.

وكذلك تتشابه حضارة الخرطوم مع الحضارة القفصية الكينية في أنهم مارسوا صيد الأسماك مستخدمين الحراب العظمية، ثم بدأت العناصر البشرية التى مارست الجمع والصيد فى الانحسار عن حرفة الصيد، بينما بدأت العناصر المحبة للاستقرار للاشتغال بالزراعة، وتربية الحيوانات فى التكاثر.

ثم بدأت أربعة عناصر وطنيه هى: البشمن والأقزام والحاميين والزنوج، والعناصر الحامية هى التى دخلت إلى القارة الأفريقية في العصر الحجرى القديم الأعلى. أما العناصر الثلاثة الأخرى فقد انتشرت تجوب القارة هائمة على وجهها، سعياً للرزق، وقد تميزت هذه الفئات بالقدرة على التفكير بحيث ارتبطت حياتها مع البيئة الطبيعية.

فالبشمن سكنوا الأجزاء الشرقية والجنوبية وصحراء كلهارى، فى سكن الأقزام الأوائل فى الأقاليم الغابية القريبة من حوض الكونغو وساحل غانا، ويعتبر أحفاد هذين العنصرين متمثلين فى البشمن والأقوام الحاليين الذين لا يزالون يمارسون حرفتى الجمع والصيد، ويمتازون ببنية قزمية صغيرة.

أما الزنوج الحقيقيين فقد تميزوا بالحجم الجسمانى الكبير والعظام الخفيفه، وقد سبق ظهورهم العناصر الثلاثة الأخرى. وقد ظلوا فترة قبل أن يتمكنوا من سيطرتهم على المناطق التى عاشوا فيها حديثاً فى فترة إعداد الغذاء. على أن الزنوج الأوائل عرفوا كصيادى أسماك وكانوا أول العناصر الدخيلة التى تأقلمت مع ظروف الحياة التى تساعد على الاستقرار.

وقد استخدم الزنوج كثير من المعدات الفخارية الرقيقة والكبيرة الحجم . وقد عاشت الشعوب الزنجية فى الغابات الاستوائية شمال خط الاستواء في الوقت الذى ساد المناخ المطير الثلث الجنوبى من الصحراء ا لكبرى، ثم تقدم الزنوج حتى وصلوا إلى المناطق التى شغلها البشمن، ثم غادروها بعد أن خلفوا فيها آثارهم مثل أوانى المياه المصنوعة من قشر بيض النعام.

لقد اختار الزنوج المواقع الرطبة والقريبة من المياه والتى تمكنهم من حياة الاستقرار، ولم يكن الزنوج الأقلية بالمقارنة بغيرهم من العناصر الأخرى، ولكن اختار أنسب الأماكن ليسكنها وبذلك تمكن منذ المراحل الأولى فى حياته مبتدئاً بالإنبات العمدى حتى وصل إلى الزراعة الحالية، وقد تمكن الزنوج بهذا الأسلوب فى الحياة لأن يقيم أول أكبر عدد من السكان، فالزنجى والقوقازى الدخيل هم الذين وسعوا ومناطق انتشارهم الأولى حتى طغت أعدادهم على غيرهم من عناصر القارة.

حرفة الزراعة:

عندما بدأ الإنسان يدرك ماحوله من صور الحياة البيئية تمكن من أن يضع لنفسه أدوات بدائية ثم مضت الأيام والسنين بالإنسان بعد تلك الخطوات الأولى التى تمكن فيها من وضع الأدوات البدائية، ثم خطى الخطوة الثانية التى استطاع فيها أن يولد النار.

وفى الخطوة التالية من حياة الإنسان على الأرض استطاع أن يصل إلى مرحلة الزراعة وإنتاج الطعام. وعند ذلك ظهرت القرى المستقرة التى حلت محل خيام الصيد قبل أن يعرف الزراعة. وفي القرية بدأ الإ نسان فى اقتناء الأدوات الدفاعية بحيث فاقت ما استخدمه في زمن الصيد السابق على الزراعة. وذلك تبعاً للكثرة السكانية التى نمت بصورة أكبر من البدء فى إقامتها فمثلاً بدأت الزراعة فى مصر فى زمن قصير وظهرت زراعة أول محصول غذائى.

وق امتازت مصر عن غيرها بأن ظهور المحاصيل الزراعية أخذ وقتاً قصيراً بعكس غيرها من المناطق الأخرى فى القارة الأفريقية التى ظهرت فيها الزراعة بصورة متدرجة. لقد بدأ الإنسان بمراحل الصيد البرى والبحرى ومر في ذلك بمراحل طويلة قبل أن يصل إلى مرحلة الزراعة وتربية الحيوان، حتى تطورت الحياة البشرية إلى أن وصلت إلى المرحلة السكانية فى إ طارها التاريخى الأخير.

تطورت النهضة الغذائية فشملت جميع القارة الأفريقية فظهرت التجمعات القوقازية فى الوادى الأدنى لنهر النيل، ثم ظهرت فى جنوب الصحراء الكبرى وهي التى أخذ فيها الزنوج طريقهم إلى نطاق السافانا المحصور بين الصحراء من جهة والغابات الاستوائية من جهة ثانية، ثم صارت العناصر الزنجية تنتشر فى منطقة غانا والمناطق شبه الاستوائية بأفريقيا بشكل متسع أكثر كثيراً من ذى قبل حتى صاروا يمثلون العنصر السكانى الرئيسى في هذا النطاق.

بعد معرفة الإنسان زراعة الحاصلات من الحبوب ومحاولة استئناس وتربية الحيوان عند أسلاف الناتوفيين الذين عاشوا فى جنوب غرب آسيا

الذين تربطهم صلات بأصحاب الحضارة القفصية الكينية الشبه حامية من جهة وبحضارة الخرطوم التى تبنتها العناصر الزنجية. وعند «أريحا» القريبة من الينابيع الدائمة على حافة وادى الأردن.

وقد وضح تماماً أن الزراعة قد انتقلت من آسيا إلى أفريقيا عن طريق برزخ السويس خلال فترة العصر الحجرى الحديث، أما الجماعات الزراعية الأولى في مصر فقد استحدثت هذه الأدوات منذ البداية، كما أن استقرار تلك الجماعات قد تخيرت منذ البداية المدرجات النهرية العالية على كلا جانبى الوادى والتى تمثل حالياً مناطق صحراوية في حين كانت فى فترة الاستقرار الأولى عبارة عن مناطق شبه عشبة (الاستبس) خاصة بجوار الأودية الجافة حالياً، والتى كانت تمثل روافد قديمة للنيل تغذيه بالمياه فى بعض الفصول.

ومن أولى الحضارات التى قامت فى مصر هى حضارات دير تاسا، والبدارى ظهرت فى الوجه القبلى ومرمرة والعمرى ظهرت فى الوجه البحرى، لم تتخير موضعها في الممر الرسوبى بل فى المناطق الهامشية من وادى النيل ودلتاه، وهذه الحضارات من العصر الحجرى الحديث، وقد كشفت المقابر عن كثير من فنون وحضارات وصناعات تلك الحضارات التى تميزت بتقدم صناعة الفخار وإتقان وصنع بعض الأدوات وتربية الماشية.

ومن مناطق الاستقرار الأولى في مصر منطقة شمال الفيوم، ذلك المنخفض الطبيعى الذى احتلت قاعه بحيرة ماتزال تظهر على جوانبها خطوط سواحلها القديمة التى بلغ ارتفاعها بمقدار ثلاثمائة قدم وهى التى جذب انخفاضها جماعات المستقرين منذ العصر الحجرى القديم حتى العصر الرومانى.

على أن المواقع القديمة التى اتخذت فى بداية العصر الحجرى الحديث، قد أهملت تماماً فيما بعد، حيث جعل الإنسان مواقع سكناه فى تلك الفترة بجوار البحيرة وقت أن بلغ علوها نحو ١٨٠ قدماً فوق سطح البحيرة. وقد استخدمت تلك الجماعات التى حول البحيرة أدوات تتمثل فى فؤوس حجرية ومناجل مسننه من الحجر، كما وجد في باطن التربة بقايا أكوام من القش تحتوى على حبوب الشعير وسنابل القمح، كما وجدت مخازن للغلال مما يؤكد أن هذه المنطقة صارت آهلة بالسكان الذين مارسوا أيضاً الصيد واستخدموا فى صيدهم السهم والقوس واستخدموا في صيد الأسماك أدوات مصنوعة من العظم تشبه أدوات الصيد التى استخدمها الناتوفيين بفلسطين.

وقد تعرضت تلك الجماعات من الزراع المصريين الأول عند أطراف الوادى، للدورات المناخية ا لجافة التى أتت على فترات منتظمة. كما تعرضت تلك المناطق لغزو الرمال الآتية من الصحراء المجاورة مما ترتب عليه هجرة أصحاب حضارات دير تاسا والبدارى فى مصر الوسطى إلى أن يهجروا مراكز استقرارهم الأولى نازحين السهل الرسوبى. ومن هنا بدأت ظاهرة التجمع الكبير للسكان فى وادى النيل في مصر.

على أن الحضارات التى قامت في مرمرة والفيوم ودير تاسا تكاد تكون متشابهة فى كثير من النواحى. فقد كانت أشكال الفخار بسيطة، لم تتميز بعلامات الصانع أو المالك، وإن ظهرت بها بعض الزخارف. ولم يكن الفخارون قد عرفوا الدولاب بعد، فكانت صناعة يدوية ولم يستعمل النحاس فى تلك الفترة. ولكنهم عرفوا كيف يستفيدون من العظام فأدخلوها فى الصناعة وأخرجوا منها نصالا لتسليح الخطاطيف وإبر ليخيطوا بها الجلود.

وقد اعتمد السكان على الزراعة والصيد معاً، فقاموا بزراعة الحبوب والكتان كما قاموا بتربية الماشية وخزن الفائض فى أهراء. وألموا بصناعة النسيج الخشن وقاموا بعمل السلال والحصر. على أن حضارة الفيوم قد ارتبطت بمرمدة عنها بدير تاسا مع بعض اختلافات يسيرة منها تحديد أماكن مخازن الحبوب، أو أماكن دفن الموتى، كما أن البداريين ورثوا حضارة دير تاسا.

وقد قام البداريون بتجفيف بعض المستنقعات لزراعتها بدلا من الاعتماد على الأمطار لقلتها. وهم مع ذلك ظلوا يشتغلون بالصيد لأهميته لهم. وقد بنى البداريون الأكواخ البيضاوية أو المستديرة، استخدموا فيها المواد الخفيفة. واحتفظ البداريون ببعض طعامهم في سلال وضعوها في الكوخ وجعلوا من آثاثهم الحصير والأسرة الخشبية واستخدموا الوسائد التى صنعوها من النسيج أو الجلود وحشوها بالقش.

ويعد فخار البدارى أرقى من فخار الحضارات السابقة وقد زين السطح الخارجي بالتموجات المميزة وبرقة جدرانه.

كما استخدموا بعض الأوانى من البازلت ومن العاج. وجد فى مقتنياتهم أيضاً تماثيل صغيرة من الفخار والعاج والبازلت.

والبداريون أول من استخدم النحاس فى صنع الدبابيس واشتغلوا بالتجارة الخارجية وأضافوا المواد المستوردة والمواد المحلية.

واعتقد البداريون فى الحياة بعد الموت فهم أصحاب عقيدة وبدليل وجود التمائم وبدليل وضع القرابين إلى جانب الميت وهذه قرينة لوجود عقيدة في تردد الروح على المقبرة.

وحضارة العمرى (حلوان الأولى) وهى حضارة أفريقية خالصة، أصحابها من الجنس الحالى الذى انتشر في شرق وغرب وادى النيل، وتتميز هذه الحضارة بالفخار المحلى بالرسوم البيضاء ، ثم تطور إلى الفخار المصقول. كما ظهرت أنواع من الفخار محلاة بالرسوم ويتميز بعضها بظهور بعض علامات الصانع أو الملكية.

ثم حلت محل حضارة العمرى حضارة جرزة (قرية من قرى مركزالعياط) وحضارة جرزة نشأت فى الدلتا ثم تسربت إلى مصر الوسطى فالصعيد حتى انتشرت وحلت محل حضارة العمرى، وتوجد دلائل على أن الحضارة قامت فى الوجه البحرى قبل انتقالها إلى الصعيد وذلك أن فخار جرزة الذى يمثل وحده فإنه تبعاً لمادته وأشكاله والرسوم المنقوشة عليه يتضح من دراسة رسومه أن معظم أعلام المراكب المرسومة على الفخار المحلى بالرسوم باللون الأحمر تمثل الوجه البحرى، كما أن المراكب والطيور المائية المرسومة على هذا النوع من الفخار تشير إلى بلاد كثيرة البحيرات والقنوات مما يتفق وطبيعة الوجه البحرى إذ ذاك وعلى هذا فإن حضارة جرزة تمثل مصر المتحدة بعد أن أخضع سكان الوجه القبلى الصعيد، وهى تجمع حضارة غرب الدلتا وشرقيها، وقد، وقد انتشرت مع هذا التوحيد اللغة المصرية فى الجنوب وهى ذات صبغة سامية تدل على العلاقة الثقافية بين الدلتا وغرب آسيا.

ثم كثر نسبياً استعمال النحاس فى صناعة بعض الأدوات مثل الخناجر كما يتميز هذا العهد (جرزة) بالنقوش التى خلفها على.مقابض السكاكين (الصلايات). كما استعملت جدران اللبن والقباء وأضيف للقبر غرف جانبية وسلم وصاروا يضعون الميت فى سلة من الخوص بدلا من عادة لف

الجثة فى الحصير أو الجلد ثم تحولوا إلى وضعها داخل تابوت من الفخار أو الخشب.

ثم تلت هذه الحضارات جميعاً، حضارة المعادى وذلك فى أواخر العصر الحجرى الحديث وهى تمثل الفترة السابقة مباشرة لعصر الأسرات. كما تطورت المنازل فى القرى إلى منازل مستطيلة الرسم واستخدم فيها اللبن المجفف بدلاً من كتل الطين، كما ظهرت الجرار الهائلة المصنوعة من الفخار، واستعملت كصوامع بدلاً من سلال الخوص المدهونة بالطين بجوار المنازل.

مصر والنيل:

تقع مصر فى الحوض الأدنى للنيل وسط المنطقة الصحراوية الكبرى حيث يجرى متجها من أواسط أفريقيا إلى البحر الأبيض المتوسط من الجنوب حيث المنبع إلى الشمال وله ٤٠٠٠ ميل ويلتقى به فى السودان النيل الأزرق والعطبرة ويمدانه بالطمي، والغرين هو سبب خصوبة أرض مصر ويختزن النيل فيما بين الخرطوم والعطبرة هضبة بلاد النوبة، وهى من الحجر الرملي وتعترض مجرى النهر فى ست مواضع من الخرطوم حتى أسوان. صخور تؤثر على الملاحة النهرية فى هذه المنطقة عند انخفاض الماء، وقد سميت بالشلالات بينما هى فى الحقيقة جنادل.

وعلى بعد ٨٠ ميلاً إلى شمال أسوان قرب إدفو تتحول الصخور الرملية إلى حصى مستدير صغير دقيق السمك ويدخل النهر فى منطقة من الحجر الجيرى ويبدأ مجراه يبدو عميقاً واسعاً وهو يخترق القسم الشرقى الشمالى من صحراء أفريقيا حتى يصل إلى شمال القاهرة، حيث تكونت طبقة رسوبية يجرى فيها النهر فى سبعة فروع أطلق عليها اليونان إسم دلتا النهر.

وحينما غاب الجليد وجفت أشجار الصحراء نزل السكان إلى النهر يبحثون عن الرزق، وقد أمدهم النيل بالغذاء فعاش المصريون ينعمون بخير النيل بينما الصحراء تحميهم من أطماع المغيرين وتصدهم عن الوصول إليهم كأنها حصناً طبيعياً للمصريين.

وقد ساعدهم ذلك المكان الآمن على التطور السريع وإنشاء مدينة بلغت كثير من نواحيها حد الإعجاز، ولم تكن تلك العزلة كاملة، فمن الشرق من شبه جزيرة سيناء كانت توجد مسارب تغشاها الشعوب الأخرى التى جاءت من خلالها الأجناس السامية واستقرت بشعب مصر وأثرت ومن الغرب دخل الليبيون، كما جاء السودانيون من الجنوب ولم يعقهم وجود الجنادل عند أسوان.

ومع ذلك فقد ارتقت مصر سلم الرقى السياسى وربط نهر النيل بين أنحاء مصر فقامت الوحدة المصرية، كما ساعدت الصحراء على استقرار البلاد، كما أنها أمدت المصريين بالمعادن النفيسة من الذهب والنحاس والفيروز.

اللغات:

لقد اختلط السكان منذ الفترة البدارية ومنهم العنصر الزنجى الذى مالبث أن بدأ يختفى تدريجياً، على أن أول عنصر سكن وادى النيل هو العنصر الحامى الذى ينتسب إلى منطقة الصومال ثم قدمت القبائل السامية الآتية من شبه جزيرة سيناء واندمجت بالسكان الأصليين، وقد اختلطت لغات الحاميين بالساميين وهو الذى تكونت منه اللغة المصرية التى تربطها قرابة باللغات السامية وباللهجات البربرية والكوشية. فاللغة المصرية لغة (حامية سامية).

اتحدت لغة الجماعات المصرية التى تتبع عائلة اللغات السامية والحامية بينما سادت شمال غرب أفريقيا اللغات البربرية. وفى الحبشة سادت لغات الكوشيين. كما أن وجود جزء من اللغات الحامية الخاصة بالعناصر القوقازية فى شمال وشمال شرق أفريقيا، وكذلك لغات البشمن والهتنتوت التى تتميز بالتكتكة فى الشرق والجنوب. يبين أن هناك مجموعتين لغويتين أصليتين منذ القدم تكلمت بها العناصر الزنجية وهما: مجموعة اللغات السودانية الشرقية التى كانت تسود النطاق الغابى شمال خط الإستواء من النيل حتى بحيرة تشاد،ومجموعة اللغات السودانية الغربية سادت المغرب من بحيرة تشاد، فكل من المجموعتين توجدان في كل من نطاق السافانا ونطاق الغابات . ويبدو معقولاً أن لغات كل مجموعة تختلف عن الأخرى، الأمر الذى أستند إليه علماء اللغة فى افتراضهم أن كلتا المجموعتين قد نمتا من خلال فترة بضعة آلاف من السنين. على أن الاختلاف بدى واضحاً بين الجماعات القديمة التى بالمنطقة. فاللغات البنتوية تتحدث بها اليوم عناصر زنجية تنتشر فى معظم أجزاء جنوب خط الاستواء بأفريقيا، وهذه العناصر لم ترتبط ببعضها لغوياً إلا حديثاً جداً ويحتمل أن اللغة البانتوية كانت مستقلة في القديم يستخدمها أسلاف الجماعات البانتوية الحالية الذين عاشوا فى منطقة أصغر مساحة عن تلك التى يشغلونها اليوم.

ويحتمل أن تكون علاقة هذه اللغة البانتوية الأصلية بمجموعة اللغات السودانية الغربية أكثر منها بالمجموعة الشرقية.

ويلاحظ أن الزنوج قد تزايدت أعدادهم كثيراً فى أقاليم السافانا شرق وغرب بحيرة تشاد على السواء خلال نهاية الألف الثانى قبل الميلاد. بينما تزاحم البشمن والأقزام الذين اشتغلوا بالجمع والصيد فى معظم القارة

الأفريقية جنوب خط الاستواء. وفي فترة الحضارة القفصية الكينية القوقازية وحتى العصر المسيحي، تحرك الزنوج من الإقليم السوداني الغربي إلى إقليم البانتو. ثم تزايدوا سريعاً ثم اندمجوا مع العناصر غير الزنجية، تلك التي سبقتهم في العيش في تلك المناطق في جنوب خط الاستواء.

وقد انتشرت العناصر البانتوية في أفريقيا جنوب الصحراء انتشاراً واسع المدى في المنطقة من كينيا ـ وأوغندا شمالاً إلى كاتنجا وروديسيا جنوباً – ومما يؤكد ذلك انتشار اللغات البانتوية في تلك المناطق انتشاراً كبيراً. ويكشف التقسيم اللغوى الداخلي للبانتو أن المرحلة النهائية لانتشارهم كانت في الإقليم الهامشى الواقع في الجنوب من مركز انتشارهم الحالى. على أن اللغات البانتوية الأولى، هم في الأصل مجموعة من صيادى البر والبحر التزموا مجارى الأنهار كطرق استطاعوا معها السير متنقلين من الهامش الشمالى لنطاق الغابات الاستوائية إلى الهامش الجنوبى لنفس النطاق.

وفي تلك المرحلة الانتقالية أخذوا معهم النباتات المحصولية الغذائية القادمة من جنوب شرق آسيا إلى أفريقيا مثل الموز الآسيوى الذى استطاع أن يعول الكثافة السكانية في الأقاليم الرطبة الدفيئة من الساحل الشرقي ووادى الزمبيزى وحوض الكونغو ونطاق البحيرات ا لعظمى الهلالى والأودية الدائمة المطر المحيطة بالمرتفعات الضخمة مثل رونزورى، والجون، وكينيا، وكليمنجارو. كما استقبلتها العناصر الغربية الزنجية للمناطق الغابية الكثيفة بسواحل غانا.

والجماعات الآسيوية القادمة إلى أفريقيا في إقليم الغابات سواء في

شرق أو غرب أفريقيا فربما كانت بعض هذه الجماعات على الأقل قد احتلت ليس فقط السواحل الشرقية بل هى أيضاً قد طافت بحراً حول رأس الرجاء الصالح حاملة معها نباتاتها إلى السكان الموجودين في الأجزاء الوسطى من غرب أفريقيا وساحل غانا.

وهكذا أخذ الانتشار العظيم المدى للزراع البانتويين الذى تخطى منطقتهم الأصلية ليصل إلى جنوب غابات الكونغو منذ بداية العصر المسيحى، وفى ظلال هذا الانتشار امتصوا العناصر الأولى لجماعات البشمن والهتنتوت خلال انسحابهم من غابات الكونغو والصحراوات التى لا تلائم الاستقرار فى الجنوب الغربى وإلى الجنوب من مرتفعات شرق أفريقيا، تمكنت بقايا العناصر القوقازية الحامية من الاحتفاظ بمراكزها لمدة طويلة ضد التوسع الزنجى البانتوى. وتحول بعضهم إلى زراع فى حين ظل البعض الآخر يشتغل بالرعى فى المناطق المنبسطة فوق الهضبة الوسطى.

وبعد فترة قصيرة، عند نهاية الألف الأولى قبل الميلاد استطاعوا أن يتوغلوا في جنوب القارة. على أن من تزوج منهم من البشمن أنجب الهتنتوت، وهؤلاء الهتنتوت هم أول من عمل بالتعدين فى روديسيا وجنوب أفريقيا. على أن هذه العناصر من البشمن والهتنتوت اندمجت بالعناصر الزنجية البانتوية وذلك فى خلال الانتشار الرابع لتلك العناصر البانتوية الزراعية التى تخطت منطقتهم الأصلية. ولهذا لم تصل اللغات الحامية السامية التابعة للعائلة اللغوية القوقازية فى امتدادها جنوباً لأبعد من شمال وسط تنجانيقا.

ومن أحدث اللغات الأفريقية الوطنية اللغة الأمهرية وهى اللغة الرسمية

لدولة أثيوبيا، وهى لغة الإدراة والمصالح الحكومية، وتصدر بها غالبية الصحف الأثيوبية، وتتبع اللغة الأمهرية الفرع السامى الجنوبى من أسرة اللغات الأفرو آسيوية، وموطن اللغة الأمهرية فى وسط أثيوبيا في إقليم أمهرو الذى انتشرت فيه تلك اللغة فى أنحاء أثيوبيا شمالاً وجنوباً. وقد يصل عدد المتكلمين بها إلى (٣٠) مليون نسمة، وهى لغة التعامل بين شعب أثيوبيا أو هي اللغة الثانية لأغلب شعب أثيوبيا حيث توجد عدة لغات غيرها مستخدمة فى أثيوبيا، منها ما يرجع إلى أصول سامية مثل التيجزينية والهررية.

سكان المدن

سكان المدن :

من الحضارات الأولى التى ظهرت في مصر دير تاسا، والبدارى، ولم تتخير موضعها فى الممر الرسوبى وإنما في المناطق الهامشية من وادى النيل ودلتاه، وهذه الحضارات من العصر الحجرى الحديث. ومع تعرض تلك المناطق للدورات المناخية الجافة، وغزو الرمال.. مما ترتب عليه هجرة أصحاب حضارة دير تاسا والبدارى إلى أن يهجروا مراكز استقرارهم الأولى فى مصر الوسطى نازحين إلى السهل الرسوبى، حيث بدأت ظاهرة التجمع الكبير للسكان فى وادى النيل في مصر. فاستقروا فى قرى دائمة. وقد ظهر فى مناطق العمرى ونقادة فى مقابرهم من الزخارف والصور الملونة على الأوانى والقدور، تلك التى تصور الأسرى المقيدين إلى ظهورهم، والقوارب المصنوعة من أوراق البردى، التى استخدموها فى أسفارهم للتجارة ونقل الذهب والنحاس من جبال البحر الأحمر.

كما نقلوا الأحجار من مرتفعات الحبشة وصنعوا من المرمر أوانى الزهور والجرار مما يكشف عن حضارتهم المادية التي تدل على وجود الحرفيين من العمال المهرة، كما استخدموا الأوانى والقدور لدفن موتاهم مما أظهر اعتقادهم فى حياة أخرى بعد الموت. وعندما خلفت حضارة جرزة التى أنشأت فى الدلتا محل حضارة ا لعمرى حدث أن تمت فعلاً قراها وبدأت تتحول إلى مدن صغيرة ظهرت فيها المساكن المصنوعة من اللبن وزودت بأبواب خشبية قوية ونوافذ ، لم تختلف كثيراً عن المدن الحالية في تلك المناطق من القارات الأفريقية.

وفى عصر حضارة جزرة قامت علامات تجارية بين مصر والبلاد الآسيوية ومنها بلاد الرافدين، واستوردت الفضة من بلاد اليونان. وظهرت

السفن ذات الستين مجدافاً ولم يكن يوجد فى القارة الأفريقية فى خلال تلك الفترة من نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد ما يماثل ما حدث فى مصر من نمو للسكان ومن تقدم فى الاقتصاد. كما ظهر فى خلال الفترة التى عاصرت بداية عصر الأسرات فى مصر أفكاراً سياسية ودينية متطورة منها تطور مقابر الجرزانيين التى أظهرت مدى الثراء الكبير. ساعدت تلك التطورات على توحيد القطرين وذلك خلال حكم الأسرة الأولى، وفى ظل حضارة جرزة.

وقد جمعت مقبرة الملك زوسر فى الأسرة الثالثة عشرة آلاف من الآنية مصنوعة من الحجر وبشكل راق عن ما سبقها من مقابر ماقبل الأسرات وفى الجيزة فى مصر الأسرة الرابعة تم بناء الهرم الأكبر، مليونين وثلاثة ألاف قطعة تزن الواحدة طنين ونصف. ولم يبلغ مثل هذا التطور فى البناء مكاناً آخر فى القارة الأفريقية.

على أن التطور الهائل الذى حققته تلك التجمعات المصرية حتى صارت الوحدة السياسية هى الخطوة الهامة التى بدأها هذا المجتمع البسيط الذى عاش فترة المياه الساكنة والمستنقعات ذات الأعشاب المنتشرة فى أنحاء وادى النيل، انتهت إلى أن تصل تلك التجمعات إلى عدة ملايين من الناس. ومن المؤكد أن خصوبة الأرض لعبت دوراً ساعد على التطور الفكرى السياسى مع العقيدة الدينية التى سادت أنحاء مصر حتى بلغت مدى بعيداً.

وعند هذا اتجه المصريون إلى التوسع جنوباً إلى بلاد النوبة، ثم تتابع نشاط مصر فى كل الاتجاهات فى أنحاء القارة. ولم يكد يمر من الزمان قرب أربع آلاف من السنين . والتطور الحضارى لمصر يترقى فى السلم

الحضارى، والانسياح في ربوع القارة الأفريقية حتى وصلوا إلى الجنوب الأفريقى جنوب نهر الزمبيزى، فى الوقت الذى لم تتخط فيه البلاد الأفريقية الحياة البدائية البسيطة، ويستخدموا آلات الزراعة البدائية، ولا تزد تجمعاتهم البشرية عن مجتمعات صغيرة حتى أنها لا تحتاج إلى زعيم يقودهم، ولكن يوجههم رب الأسرة وشيوخهم من كبار السن ذوى الخبرة لإدارتهم حياتهم فى مجتمعاتهم البسيطة.

وقد ارتبطت مصر بالجنوب الأفريقى عن طريق التجارة مثل الاتصال بسواحل أريتريا والصومال فضلاً عن الاتصال بالسودان بالطريق البرى. وجلب المصريون العاج والأخشاب والأبنوس والجلود. وقد تم فى تلك الرحلات التجارية المصرية إلى الجنوب المقايضة مع الجنوب الأفريقى بسن الفيل وجلد النمر بمنتجات مصر، مثل تقاوى الخضروات ليبذروها فى الأقاليم الجنوبية المطيرة.

وهكذا أمكن نشر طريقة إنتاج الغذاء، عن بذر بعض تقاوى الخضروات.

ومع بداية الألف الثانية ق.م. ظهرت فى الأسواق الخاصة التى يتم فيها التبادل التجارى في إقليم النوبة العليا والذى تحت سيطرة النفوذ المصرى. وقد وصل النفوذ المصرى إلى منطقة النوبة عندما قام ملوك الدولة الوسطى باتخاذ الاحتياطات لمواجهة القبائل الحامية التى تغلبت على السكان الأصليين فى النوبة السفلى وتخطت موجاتهم حدود مصر الجنوبية عبر الشلال الأول حتى شمال الكاب، ورغم أن هذه القبائل لم تشكل خطراً على مصر إلا أنه قامت فى دنقله إلى الجنوب منهم دولة جعلت عاصمتها في جنوب الشلال الثالث قرب كرمه، وهى دولة كوش التى بدأ اسمها يظهر لأول مرة فى التاريخ في عهد الأسرة الثانية عشرة. وينتمى شعب كوش هذا إلى

نفس الجنس الذى تنتمى إليه القبائل الحامية التى تسكن النوبة السفلى، غير أن حضارته تختلف عن حضارة هذه القبائل من عدة وجوه، وإن تشابهت معها مع بعض الوجوه.

نزحت هذه القبائل إلى النوبة السفلي ونزلت بها واستقرت لتجد فى دولة كوش الناشئة مستقر لها يدفعها إلى امتلاك مصر الجنوبية، مما اضطر ملوك الدولة الوسطى إلى أن يتخذوا الاحتياطات والقيام بحملات للقضاء على الأخطار التى تهدد الحدود الجنوبية، فأقاموا الحصون القوية لتأمين ممتلكات مصر الجنوبية حتى الشلال الثاني، وظل الاتصال التجارى بين مصر والسودان مستمراً فى نفس الوقت الذى ظلت فيه النوبة السفلى محتفظة بحضارتها، وبقيت مملكة كوش لم تمتد فتوحات مصر إليها. ومدينة طيبة (الأقصر) هى العاصمة المصرية فى ذلك الحين.

لم تتجه مصر إلى التوسع فى ناحية الشمال الشرقى نتيجة لوجود إمبراطورية كبيرة مثل الحيثيين والذين لم يلبثوا أن تخلوا عن نفوذهم بعد أن ظهر الآشوريون كقوة أسيوية جديدة، في نفس الوقت الذى تحركت فيه مملكة كوش نحو مصر وتمكن حكامها النوبيون مزودين بعناصر القوة والمنعة من حكم مصر، وتكوين أسرة نوبية فى القرن الثامن ق.م. وعاصمتها نبته (نباتا).

وفي منتصف القرن السابع ق. م فى عهد الفرعون طهراقه استطاع الأشوريون أن يحتلوا مصر وانسحب طهراقة إلى الجنوب أرض الكوشيين وفيها العاصمة المصرية، التى عاد إليها طهراقة تاركا مصر يحكمها الآشوريون ثم بعدهم الفرس ثم الإغريق والرومان.

على أنه في تلك الفترة العصيبة من تاريخ مصر، بقيت مصر على

علاقاتها مع شعوب القارة الأفريقية التى صارت أكثر قابلية وتقارباً للمدنية والحضارة المصرية. كما أن بلاد كوش التى تقع عبر طرق التجارة الرئيسية ظلت في خلال تلك العصور تمثل أساساً مركزاً للقوقازيين البيض.

وفي القرن السادس ق.م. بدأت كوش فى التوسع ناحية الجنوب قريباً من الخرطوم، ثم جعلوا من مروى عاصمة لهم وهي التى تقع في الشمال من مصب نهر عطبرة بعد أن بسط الكوشيون سيطرتهم على تلك المنطقة التى تقع فى نطاق العناصر الزنجية وذلك بعد أن فقدت نبته (نباتا) الأهمية بعدما أصابها الجدب وأقفرت مراعيها. وقد جعل الكوشيون من مروى مركزاً للنشاط التجارى الذى شمل النطاق السودانى لجميع أفريقيا. ويرجع لوجود خام الحديد والحصول على الوقود اللازم لصهره مما مكنهم من الحراب والفؤوس الحديدية، وقد تمكن الكوشيون من تعلم صناعة استخدام الحديد من أعدائهم الأشوريين. وقد ظلت مروى العاصمة الكوشية الجديدة فى حالة ازدهار منذ منتصف القرن الثالث ق. م حتى نهاية العصر المسيحى.

وقد ساعد على ازدهار مروى قيامها بتصدير السلع الأفريقية، مثل العاج والرقيق والجلود وريش النعام وخشب الأبنوس. ومع ما وصلت إليه مروى من ازدهار فقد بقيت مصر مصدر إلهام للفن فى مروى، وتسموا بأسماء ملوك مصر، ويعبدون الآلهة المصرية، إلا أن مروى لم تحتفظ بمركزها وازدهارها خاصة بعد ظهور امبراطورية أكسوم (الحبشة) في بداية العصر المسيحى حيث سيطرت علي سوق تجارة العاج فى شمال شرق أفريقيا، وكونت علاقات تجارية مع مصر وتقهقرت مروى وانقطعت صلتها بالعالم الشمالى حتى تحولت إلى الضعف والتخلف وبسطت أكسيوم سلطانها على منابع النيل الأزرق فى القرن الرابع واحتفظت لنفسها باسم أثيوبيا.

المدنية السودانية

المدنية السودانية:

مع النطاق شبه الصحراوى بأفريقيا، فى المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى لا يوجد جبال أو أحراش وإنما يوجد حشائش سافانا ويتخللها شكل غير منتظم به بعض الأشجار وبعض الأنهار الراكدة وهى حارة جافة في معظم أوقات السنة.

وفي أفريقيا ثلاثة أنهار كبرى هى النيل والنيجر والكونغو، أما باقى الأنهار الأقل أهمية مثل نهر شرى، والفولتا والسنغال وجامبيا، فنادراً ما كانت تستخدم في الماضى وحتى فى الحاضر. وينتشر السكان (شعب البانتو) في كل من غرب أفريقيا وشرقيها وفي وسط جنوب القارة ويوجد بعض السكان متناثرين عبر منطقة الصحراء وعلى امتداد الساحل الغربى ما بين نهر السنغال والكمرون توجد كثافة سكانية مع درجة كثافة خاصة فى دلتا النيجر وشمال نيجيريا، وغانا الساحلية وكذلك حول البحيرات العظمى وعلى طول امتداد خط سكة حديد كينيا وأوغندا وتتركز بدرجة أكبر فى رواندا وبوروندى وأيضاً في المناطق الشرقية والجنوبية من روديسيا وفى جمهورية جنوب أفريقيا، وأكثر المناطق سكاناً منذ خمسة قرون هى التى تحيط بنهر النيل والبحيرات العظمى الاستوائية. أما الشواطئ والجبهات الجنوبية من القارة فكان سكانها متناثرين.

وهذا الامتداد الكبير من المدنية السودانية الحديثة التى تتميز عن المدنية السودانية الحديثة ـ التى تتميز عن المدنية الزنجية السابقة عليها ـ تتميز بتجمعها تحت لواء اتحاد عناصر أفريقية مختلفة، وجميعها ذات مصالح متحدة تجمعها ممالك لها نظم متشابهة كأنها قد استمدت أصولها من مصدر عام واحد . وقد خضعت كل مملكة منها لملكها تقدم له فروض

الطاعة والولاء ويقوم الملك بمباشرة شئون مملكته من وراء حجاب فلا يراه أفراد شعبه أو حتى أقرب الناس إليه إلا فى فترات تناول الطعام والشراب، ويبارك الملك عند بدء زراعة الأرض بقيامه بالمشاركة فى الزراعة فى كل عام ببذر أول كمية من الحبوب في الأرض. وعندما يكبر الملك أو يمرض ويصعب شفائه يتم التخلص منه بطريقة ما مثل تقديم السم ليتناوله وتنتهى حياته. ثم تحنط جثته ، وتتبع هذه الطريقة نفسها مع خاصة الملك المقربين إليه، كما جعلوا ناراً مشتعلة تحت حراسة مشددة في كل أنحاء المملكة بصفة مستمرة كمركز قائم يعبر عن استمرارية حياة الملك وسلطانه.

تشكلت الممالك الأفريقية من تجمعات حول دولة كبيرة، كما توجد تجمعات أقل حجماً وأقل تنظيماً ويحكمها جميعاً نظام حكم مركزى ولكنها بعيدة عن النظام الإقطاعى والنظام الوراثى، وهذه الدولة السودانية مع ذلك تعد دولة استبدادية، يحكمها الملك حكماً فردياً فهو يستعين ببعض الموظفين، وليس يربطهم بالدولة نظام معين فهم رهن إشارة الملك يعين ويفصل كما يشاء الملك، ومن هؤلاء الموظفين من يحمل ألقاباً مثل ألقاب الفراعنة في مصر، منها الأم الملكية والأخت الملكية.

ومن الموظفين الرؤساء ذوى الرتب العالية الذين يبلغ عددهم أربعة يمثلون قمة ا لهرم ويليهم رؤساء الأقاليم والمقاطعات التابعة لحكومة الكهنة، وهؤلاء الموظفون يختارون من خدم وأبناء وأحفاد الرؤساء الأربعة، ويتولون وظائفهم بعد تدريبهم في القصور الملكية، ثم توكل إليهم مهمة جمع الأتاوات والهدايا ومواد البذخ مثل النساء والجعة والمواد التجارية مثل العاج والجلود والذهب والنحاس والملح والكولا.

ويقوم الملك بشئون التجارة الخارجية فهى قاصرة عليه. أما الفنانون

والعمال المهرة والصناع وكل متخصص فهم جميعاً تجمعهم العاصمة ولهم درجة مميزة فى المجتمع.

فالملكة السودانية تشكلت بحيث تكون المدينة فوق القرية ومميزة عنها. على أن هذه الممالك السودانية قد جاورتها ممالك أخرى مثل مملكة غانا ومكانها على بعد ٥٠٠ خمسمائة ميل عن غانا الحالية، وهم وثنيون يعبدون الأصنام ومملكة كانم فى شمال شرق بحيرة تشاد ومملكة زغاو التى تقع مملكة النوبة على حدودها الشرقية، وجميع هذه الممالك ممالك دينية على غرار الممالك السودانية فهم يعبدون الملك لاعتقادهم أنه إله بيده ا لحياة والموت والصحة والمرض لكل البشر.

ومملكة صومالا موزمبيق حاليا ومن ألقاب ملكها «إله السماء والأرض» اشتغلت صومالا بتصدير الذهب والعاج الذى يرد إليها من روديسيا الجنوبية ثم تصدر إلى الدول الآسيوية مثل الهند والصين عن طريق دولة عمان. والنظام السياسى لتلك المجتمعات يبدو متقارباً مع نظام الممالك السودانية السياسى إلى حد كبير، وجميعها ذات أصول واحدة مستمد من مملكة ضغاى الواقعة إلى الشرق من ثنية نهر النيجر العظمى والتى تعتبر أقدم من مملكة كانم وغانا القديمة الواقعة إلى الشرق . على أن التقدم الذى أظهرته أفريقيا في العصر الحديدى فى الألف الأول للميلاد دليلاً على وجود أكثر من مملكة من هذا النوع، لذلك فيجب أن نفترض انها كانت الممالك الوحيدة التى بهرت المثقفين، من العالم الخارجى وجذبت إنتباههم.

وفى مراكز المدينة السودانية فى جنوب الوادى، حيث جعل الكوشيون من مروى العاصمة مركزاً للنشاط التجارى شمل النطاق السودانى كله لجميع أفريقيا تصدر إليها الأدوات الحديدية من الحراب والفئوس. وقد

ظهرت صناعة النحاس فى مصر فى عهد حضارة البدارى ثم كثر استخدام النحاس نسبياً في عهد حضارة جرزه التى تمثل مصر المتحدة.

وفى القرن الثامن الميلادى عرفت كاتنجا صناعة النحاس، وقامت بتعدينه وصهره إلى حلي وسبائك على أن تكوين هذه الممالك فى النطاق شبه الصحراوى ونطاق البانتو بأفريقيا هو عبارة عن عملية تضمنت انتشار قدر مشترك من الأفكار السياسية من منطقة إلى أخرى، كما أن الخطوط الأولى لانتشارها هى خطوط داخلية سارت على محورين رئيسيين غرباً وجنوباً ابتداء من نقطة الأصل فى أعالى وادى النيل نقطة انطلاق ولابد أن تكون هذه العناصر بدأت تنتشر منها خارج الإقليم. ففى خلال الستة قرون الأولى الميلادية، وفى خلال فترة ازدهارها مملكة مروى فى غرب الوادى وهى لاتزال فى أوج مجدها، قامت مروى بتسرب الحضارة المصرية، وتسربتت من خلالها إلى المدنية السودانية فى أنحاء أفريقيا السوداء.

أما مملكة أكسوم (أثيوبيا) وكانت السيادة السياسية والاقتصادية لحضارة أكسوم في خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، ثم بدأت أكسوم فى نهاية القرن الرابع أقرب إلى المسيحية وصار لها نفوذ دينى مع ارتباطها بالدولة البيزنطية فى مصر ثم اتجهت إلىٰ التوسع في جنوب شبه الجزيرة العربية من باب المندب.

ومنذ القدم والجزيرة العربية تمد القارة الأفريقية بالقبيل بعد القبيل من العرب المهاجرين هجرة بعد هجرة من الجنوب إلى الشمال من عرب اليمن، وعمان إلى نجد والحجاز، وافدة إلى شرق أفريقيا إلى مصر والسودان والمغرب. فالجزيرة العربية مصنع البشر ومدداً للعرب فى أفريقيا ودرعاً لهم، فالدور الخطير الذى لعبته بعض الأسر الوافدة من اليمن قبل ظهور الإسلام عقب فترة الانهيار التى حلت بأكسوم واليمن خلال القرن السادس قد

ارتبطت بفترة المجاعة التى تسبب فيها إنهيار سد مأرب الجبار في الربع الثالث من القرن السادس تقريباً. حيث حدثت هجرة العناصر اليمنية الزراعية المستقرة.

ففى الفترة من تاريخ المدنية السودانية فى العصر المروى ومابعده مباشرة، حدث تأثر بأفكار المصريين وعناصر جنوب غربى آسيا، وبالمثل وصلت عناصر عديدة من قلب أفريقيا كان لها أثر كبير في تمييع المدنية السودانية وتعديل مظاهرها الرئيسية. وهكذا حيث الحضارة السودانية كانت نمواً طفيلياً تفرض نفسها علي الأساس الزراعى السابق لظهورها متأثراً بالمجتمع الزراعى القديم. وكذلك حصلت المدنية السودانية لغرب أفريقيا على أفكار جديدة عن التنظيم السياسى والتكنولوچى خاصة فى مجال ا ستخراج المعادن وتعدينها، وكذلك فى التجارة. وقد تحركت هذه الأفكار الحضارية إلى الجنوب الغربى من وادى النيل وانتشرت بصفة خاصة بمساعدة الحصان والفرسان المقاتلين الذين شقوا طريقهم خلال الشعوب الزراعية التى كانت موجودة آنذاك فى جنوب الصحراء الكبرى وسيطروا عليها.

على أن المجتمعات الزراعية المفككة التى تحولت إلى دول لم تظهر أساساً إلا فى الأجزاء الوسطى من القارة دون الهوامش الشرقية أو الغربية. وهكذا يتضح أن تاريخ أفريقيا وحدة متكاملة. ولم يكن للقوى الخارجية دور فى نشأتها.

مدنية البحر المتوسط فى شمال وغرب أفريقيا:

ارتاد الفينيقيون شمال أفريقيا وتمكنوا من تأسيس مدينة قرطاچة فى منتصف القرن التاسع ق. م. وهم شعب ملاحى عريق احترف التجارة

وجابوا سواحل أفريقيا الشمالية وأسبانيا واستقروا فى قرطاجه وكانوا يقنعون فى أول أمرهم بإقامة مؤقتة خلال تبادل السلع التجارية مع شعوب تلك البلاد، ثم أقاموا المدن وعمروا السواحل واستطاعت قرطاجة أن تخضع تلك القبائل المتاخمة لها واستغلت الأرض المحيطة بها بكل مهارة حتى صارت لها اليد المطلقة التى لا تنازع المسيطرة على التجارة فى غرب البحر المتوسط.

لم يكن هؤلاء الفينيقيون يمثلون أية عناصر زنجية فبشرتهم قوقازية بيضاء ، ولقد كان الإغريق يلقبونهم بالليبيين تمييزاً لهم عن الأثيوبيين ذو البشرة المحترقة الداكنة، وكان الليبيون هؤلاء تابعين فى لغتهم إلى عائلة اللغات الحامية، كما كانوا أيضاً يعتبرونهم أسلاف بعض الجماعات التى تعيش فى عزلة كالبربر فى الإقليم الجبلى من شمال القارة.

ولقد شمل امتدادهم مواقع متباعدة مسافات ثابتة على طول الساحل الشمالى الأفريقى.

ولقد بسطت قرطاجة نفوذها على مدخل حوض البحر المتوسط والسهول التونسية الهامة وخاصة الزراعية حتى اسواحل الغربية المطلة على المحيط الأطلنطى. ومع ذلك فقد بقيت مراكز الاستقرار الفينيقية بغير أن تحقق نمواً كبيراً فى القارة إلا إنها استطاعت نشر نفوذها على البربر الوطنيين بالمنطقة، من خلال تواجدها فى المناطق الشمالية الغربية من القارة فى قرطاجة وفى السهل التونسى وباقى المدن الأخرى الفينيقية الصغيرة، وقد استطاع رجال القبائل من البربر الاستفادة من اتصالهم بالفينيقيين وتعلم طرق الحكم والإدارة.

وقد سادت لغة الفينيقيين (اللغة البونية) شمال غرب أفريقيا وتداولت في الحياة المدنية وفى التجارة والإدارة وبسطت حركة الزراعة فى شمال تونس

وحولها. وقد اشتغلت قبائل البربر فى جبال نوميديا المجاورة للسهل التونسي بالزراعة، واستقرت الأحوال في نوميديا، وقد شاركت بعض العناصر اليهودية في حركة الاستعمار الفينيقى في زمن القرطاجيين منذ القرن الثالث ق.م. وبالمثل بعد تخريب تيتوس لمعبد بيت المقدس عام ٧٠م، وتسربت عن طريقها الديانة اليهودية إلى القبائل البربرية فى جنوب تونس المجاورة لطرابلس.

كما قام الأغريق بنشر مدنيتهم فى برقة ومصر ومن مصر تمكن الإغريق من الوصول إلى داخل القارة خاصة فى عهد ظهور الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م وفى عهد بطليموس تحولت الإسكندرية إلى مدينة من أعظم المدن الإغريقية والحضارات الشرقية ومنها الحضارة السامية، وقد بلغ عدد سكان الإسكندرية إلى نحو ثلاثمائة ألف نسمة، وقد مثل الإغريق واليهود الأغلبية السكانية لهذه المدينة، وقد اشتغلت الإسكندرية بالفلسفة والدين طول العصر الهلينستي وحتى القرن الثالث الميلادى.

وفى أواسط القرن الثالث عمدت روما إلى منافسة القرطاجيين في نفوذ في البحر المتوسط حتى قامت الحرب بين الطرفين، وتغلبت روما على قرطاجة التى ظلت حضارتها قروناً متتالية في الشمال الأفريقي وكان لقرطاجة قدرة متفوقة فى صناعة السفن والمعادن وفى الزراعة بأنواعها، وقد نقلوها إلى أفريقيا بعد نزوحهم إليها من أرضهم في الشام، أرض الفينيقيين.

لقب برع العالم الزراعى القدير ماجون ويعد كتابه فى الزراعة أقدم كتاب عالمى فى الزراعة وغراسة الأشجار، وقد نقله الرومان إلى اللاتينية منذ استيلائهم على قرطاجة عام ١٤٦ ق.م.، وقد عمد الرومان بعد نزولهم فى شمال أفريقيار إلى تعمير البلاد بإقامة مدن جديدة وصارت قرطاجة في

منتصف القرن الثانى ق. م. مستعمرة رومانية.

ولم يكن لدى الرومان فكرة لإنشاء أمبراطورية فى أفريقيا، إلا أنهم أدركوا ضرورة تأمين نفوذهم في السهل التونسى باعتباره منتج للغلال لا يمكن الاستغناء عنه واتجهوا إلى التوسع فى بسط سلطانهم على الأقاليم المجاورة حماية للسهل التونسي الذى يمكن الاستفادة منه كمورد للغلال يغذى شعوب المنطقة فاستولوا على نوميديا الجزء الشرقى من الجزائر حالياً، ثم توسعوا في بسط نفوذهم على الشريط الساحلى الغربى من سهول مراكش المطل على المحيط الأطلنطي، ولما فوجئوا بمهاجمة القبائل الرحالة على المناطق الزراعية والمراكز المدنية اضطروا للاتجاه إلى الهامش العشبى للصحراء الكبرى وبسطوا نفوذهم على كل المناطق الزراعية شمال الصحراء الكبرى.

أما الأمبراطورية الإغريقية فلم يكن لها نفوذ مستقل أو قائم بذاته وإنما كانت تمثل الجزء الجنوبى من الإمبراطورية الإغريقية فى حوض البحر المتوسط. أما دول الرومان فقد اهتمت بالإقليم الشمالى الإفريقى الذى يشمل حالياً تونس والساحل الموازى لطرابلس ونوميديا، ثم مصر التى آلت إلى الرومان بعد موت كليوباترا الذى انتهي بموتها عهد البطالمة فى عام ٣٠ ق م. فصارت تابعة للأمبراطورية الرومانية.

وفى شمال أفريقيا الغربى وجد الرومان قرطاجة قد تمكنت من تحويل عناصر البربر إلى عناصر زراعية مستقرة فضلاً عن قيام نحو ٥٠ أو سبعين مدينة من المدن التى عمرها البربر بالزراعة مما قرب هذه المناطق إما في مصر فلم يستطع الرومان الاندماج مع المصريين فلم يحدث تقدم فى عهدهم للاستغلال السئ لموارد مصر الزراعية، وذلك على الرغم من اهتمامهم أكثر من اهتمام بطليموس بها.

على أن الإسكندرية وقرطاجة على الرغم من دخول المسيحية فيها مما سهل ظهور المسيحية بقوة إلا أن الخلافات الدينية أوجدت تياراً قوياً قام يعارض الرومان وصار البربر في نوميديا والمصريون فى الإسكندرية، يقاومون الحكم الرومانى. وهكذا شملت المعارضة كل الشمال الأفريقى وحتى الجنوب السودانى الذى امتد إلى أثيوبيا.

وفى القرن ٤، ٥ م ظهرت عناصر بدوية جديدة من البربر قادمة من مناطق الاستبس بالصحراء الكبرى يستخدمون الجمل ويغيرون على مناطق الظهير الأرضى لتونس وطرابلس مهاجمين الجماعات المستقرة في الأقاليم الرومانية، ما أضعف من سلطة ا لرومان فتغيرت الأحوال التى سادت المنطقة طوال عصور قرطاجة السابقة. وقد أعقب ذلك غزو الأسبان من الوندال لشمال أفريقيا في القرن الخامس ثم تبع ذلك غزو بيزنطة لتلك المنطقة فى القرن السادس م ففى عهد الإمبراطور البيزنطى جستنيان عمد البيزنطيون إلى استرداد ولايات الإمبراطورية وقد ساعدت الظروف التى طرأت على شمال غرب أفريقيا على تنفيذ فكرة الغزو البيزنطية لها.

ففى أفريقيا استولى جليمر على عرش البلاد اغتصاباً من ابن عمه هلدريك ملك الوندال إلا أن جليمر لم يكن يصلح لمثل هذا المنصب الكبير فلم يكن يتصف بالكفاءة لحكم تلك البلاد، فضلاً عن أن الوندال حكام أفريقيا كانوا يضطهدون أعداءهم، وحكامهم جماعة من الفيكنج أولئك الأمراء العابثين الذين لا يعرفون غير الحرب ولم يخضعوا لرئيس أو حاكم ينظم شؤونهم.

لم يعلن جستنيان عن رغبته في استرداد أفريقيا وإنما أخفى هدفه هذا، وأعلن أن جليمر أساء استعمال سلطته بعزل هلدريك حليف بيزنطة، وأن الأمبراطور أعلن الحرب عليه لخروجه عن الطاعة والولاية وبعث الإمبراطور

بجيش بقيادة بلراريوس فى عام ٥٣٣ م فاتجه الجيش من البسفور فى نحو عشرة آلاف مشاه وخمسة آلاف من الفرسان.

نزل بلزاريوس فى طرابلس عن أبعد مكان شرق المملكة فأسرع إليه الأهالى وسلموا إليه المدينة غدراً. وذلك لخلاف المذهب الذى عليه الحكام فالشعب ينتمى إلى المذهب الأقتيناسيوسى، فى حين أن الحكام يدينون بالمذهب الأريوسى ولهذا لم يتعاون الأهالى مع الحكام فى الدفاع عن البلاد، ثم بدأ بلزاريوس يتقدم بجيشه بحذر ولكنه لم يجد مقاومة إلا عندما اقترب من قرطاجه بنحو عشرة أميال. وذلك أن جليمر أخذ على غرة فهزم أمام بلزاريوس بعد قتال عنيف، وفى اليوم التالى استولى الجيش على المدينة، واستقبل الأهالى الفاتحين بالفرح والتهليل، ولما حاول جليمر أن يستعيد المدينة استدعى جنوده الاحتياطيين وتقابل مع بلزاريوس عند تريكايدون على الطريق إلى بوللا، ولكن هزم جيشه فى المعركة، وسلمت جميع قلاع المدينة، ثم سلم جليمر نفسه إلى بلزاريوس، بعد فشل محاولته ـ التجائه إلى قبائل البربر في مجاهل جبال أطلس. وزحب بلزاريوس بجليمر وصحبه معه إلى القسطنطينه هو وكنوز قرطاجه التى هى فى الأصل مقتنيات روما التى سبق أن اغتصبها الوندال أثناء نهبهم عاصمة الإمبراطورية عام ٤٥٢م.

نتج عن غزو قبائل الوندال لشمال أفريقيا وسوء معاملة الأهالى وقبلها غزو عناصر زناته للجماعات المستقرة فى الأقاليم الرومانية فى الشمال الأفريقى أن ضعفت سلطة الرومان فى الإقليم. وبدأت تلك القبائل فى التوسع والانتشار فى المناطق الشمالية الزراعية لأفريقيا فعمت الفوضى البلاد ثم أعقب ذلك ظهور البيزنطيين وبسط سيطرتهم على الشمال الأفريقى فى خلال القرن السادس الميلادى، وترتب على ضعف وانحلال الإمبراطورية الرومانية أن ابتعد الشمال الأفريقى عن مدنية البحر المتوسط. وكما أنه لم

يكن لحكم قرطاجه أو حكم الرومان القدرة على النفاذ عبر الصحراء الكبرى. فامبراطورية قرطاجة لم تكن امبراطورية إقليمة ولكن كانت إمبراطورية تجارية وبحرية وأما الرومان فقد ارتبطوا فقط بالأجزاء الواقعة شمال الصحراء الكبرى لحاجتهم الوحيدة لحماية الإمبراطورية الإقليمية من خطر العناصر البدوية على أن القبائل البربرية الرعوية أخذت بدور الوسيط بين الشمال الأفريقى والصحراء الكبرى حيث العناصر الزنجية التى تنقلت بين الشمال الأفريقى وسط الصحراء الكبرى وكان عامل المنطقة الصحراوية يؤثر فى حركة العناصر الزنجية بالزحف على المنطقة إلى الشمال تارة وتارة أخرى تزحف إلى الجنوب ليحل محلهم البربر في معظم أجزاء الصحراء الكبرى، ففى نفس الوقت الذى بقى بعض قليل من الشعوب الزنجية فى الواحات وكان للزنوج والبربر علاقات مع رعاة نطاق البحر المتوسط القريبين من المناطق عبر الصحراء للتبادل التجارى، فالصادرات السودانية مثل الذهب والرقيق والعاج وريش النعام والجلود ووارداتها هو الملح الذى لا يوجد لدى السودانيين منه ما يكفيهم فيقومون باستيراده من الشمال كما كانوا يحصلون من الصحراء الكبرى.

وتعد غانا من أقدم الممالك السودانية فى التاريخ الأفريقى وتقع إلى الشمال مباشرة من أودية الأنهار التى تحمل الذهب شمال النيجر والسنغال إلى شمال أفريقيا، ومن الاتصالات التجارية التى ربطت السودان الغربى والشمال الأفريقي. ربحت غانا من تصدير الذهب إلى الشمال، كما ربحت من توزيع الملح وغيره من الواردات إلى الجنوب حتى صارت التجارة هى العنصر الرئيسى فى تطور مملكة غانا وممالك السودان الغربى الأخرى. وقد ترتب على الاتصالات بين البربر فى الشمال الأفريقى والجنوب

السودانى أن تسلل نفوذ الحضارة للبربر الذين سكنوا فى أودية الشمال الغربى الأفريقى إلى السودان الجنوبى.

وقد عاشت جماعات من البربر الرعاة فى نطاق السافانا والصحراء وتلك الجماعات الرعوية لم تصلها حضارة البحر المتوسط قبل البربر فى الساحل الشمالى الأفريقى وقد كان لدخول الجمل وكذلك دخول الإسلام بعد ذلك، ومع بداية العصر الإسلامى أن صار البربر الرعاة يتمثلون فى جماعات الطوارق، وكانت روابطهم القبلية مع البربر المستقرين لا تزال باقية، ولذلك ظهر الفرق بين جماعات طوارق الغرب وجماعات القبائل من البربر المسقرين فى شرق الجزائر والذين معهم جماعات صنهاجة.

وعلى الرغم من أن سكان غانا القديمة وملوكهم هم من الشعوب الزنجية، وذلك منذ القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر ميلادياً، وربما قبل ذلك التاريخ بكثير، إلا أنه منذ ١١ هـ القرن السابع عشر م ظهر حكام فى هذه البلاد جاءوا عن طريق الهجرة من الشمال ومن الصحراء ومن الشرق فى اتجاه وادى النيل، هم ممن أطلق عليهم «الشعوب البيضاء». جاء ذكر ذلك فى المصادر التقليدية للعلماء السودانيين. كما أن هناك جماعات من البربر الطوارق المستقرين شرق الجزائر ومنهم صنهاجة المحافظين على تراثهم الأموى الذى يجعل الانتهاء والتسلسل من الأم ومنهم شعوب فى شرق السودان ـ بين النيل والبحر الأحمر من الطوارق بصفة عامة يضعون علي وجوههم لثاماً يحجب أجزاء الوجه عند العينين، ويتزوجون عادة من النساء النبيلات، وذلك بخلاف العبيد من الزراع والصناع الذين من أصول زنجية.

ويعيش الطوارق حالياً فى وسط الصحراء الكبرى بين غدامس وتمبكتو، كما توجد من قبائل الطوارق أو جماعة صنهاجة الملثمة فى الغرب الأفريقي. ويسكن فى شرق الصحراء الكبرى قبائل زغاوة. وقد سيطر الملثمون

الصنهاجيون الذين نازعوا الزناتيين وناضلوا مملكة غانا وغيرهم من الممالك الزنجية للاستفادة من الثروات الضخمة التى تعبر بها القوافل التجارية الذاهبة إلى السودان والعائدة منه.

وقد كان نظام ممالك غانا وراثياً من ناحية الأم مما يؤيد القول بأن أصول هذه الممالك تتصل بأبناء الشمال، خاصة أن حكم ممالك غانا كان وراثياً من ناحية الأم محافظة منهم على التراث الأموى. لقد كان العرب والبربر شعوباً بدوية رعوية أو شبه رعوية تمتطى الإبل والخيل، مما سهل امتزاج العنصرين، ويضاف إلى عامل طبيعة القبائل العربية واتفاقها مع الشعوب الأفريقية، طبيعة الأرض التى انتشر فيها الإسلام، وتسربت إليها جموع البدو من القبائل العربية، فقد كانت هذه البلاد تحيط بالصحراء الكبرى شمال من المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسى، وجنوباً فى النطاق الرعوى الذى يحيط بهذه الصحراء من الجنوب من مصب نهر السنغال حتى السودان.

ويلاحظ أن القبائل العربية تسربت إلى غربى القارة الأفريقية عن طريقين هما الطريق الساحلى عبر حوض السنغال، وهو الطريق الذى سبق أن سلكه المرابطون. والثانى طريق التجارة الذى يبدأ من أفريقيا الشمالية متجهاً صوب الجنوب، عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى فى السودان. واستوطن العرب وادى درعه فى المنطقة الممتدة من نول إلى ودان وأصبحت القبائل العربية من المعقل تنتجع الرمال إلى مواطن الملثمين من لمتونه ومسوفه وكدالة (جدالة) إلى نهر السنغال. وهكذا كانت مدن إوليل وأدرار وأودغشت من مجالاتهم خصوصاً وهى الأبواب المباشرة على تجارة السودان الفنية.

الدولة العربية فى أفريقيا

الدولة العربية فى أفريقيا

لقد كان المغرب مهجر موجة عربية وهى الموجة الكنعانية الفينيقية التى قدمت إلى سواحل الشام حيث مارست الملاحة والتجارة. وكان البحر المتوسط ميدان نشاط، وأنشئت عدة مراكز ملاحية وتجارية. وفى القرن العاشر قبل الميلاد تأسست الدولة البحرية الكبرى المعروفة بدولة قرطاجنة، ومن هنا يتضح حقيقة تسرب الدماء العربية إلى بلاد المغرب قبل الإسلام بقرون عديدة. ثم أصبحت مهجراً للموجات العربية الصريحة فى عهد مبكر من ظروف الفتح الإسلامى، حيث سير عمرو بن العاص حملة عربية من مصر إلى ليبيا.

ثم سير عبد الله بن سعد فى عهد عثمان بن عفان حملة عربية إلى تونس. ثم أخذت الموجات العربية تترى إلى بلاد المغرب فى عهد الأمويين حيث أتمت توطيد السلطان العربى فى جميع أنحائها قبل انتهاء القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى.

لم تنقطع الموجات العربية عن الانسياح فى بقية عهد الدولة الأموية ثم فى عهد الدولة العباسية والفاطمية حيث ظلت تتلاحق وتملأ جنبات المغرب حتى أصبح طابع العروبة بارزاً عليها.

وهكذا يتضح أن الوحدة الجنسية متوفرة بعمق وقوة فى الوطن العربى الكبير منذ أقدم الأزمنة وقد أصبحت العروبة طابعه الخالد منذ الفتح الإسلامى بفضل الإسلام العربى والقرآن العربى.

لقد شمل العرب بانتشارهم كل أفريقيا شمال الصحراء الكبرى. بل لم يبدأ العرب فى اختراق هذه الصحراء من الشرق حتى انهيار مملكة النوبة

المسيحية فى دنقله خلال القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى، أما فى الغرب فلم يبدأ العرب اختراق الصحراء بجيوشهم قبل حوالى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى.

أما السودان الغربى فلم يكونوا قد وصلوا بعد. ومع أن الصحراء الكبرى شكلت عائقاً حقيقياً للتقدم العربى لاختراق الصحراء إلا أنها لم تمنع من انتشار ديانة العرب وحضارتهم من القاعدة الراسخة فى شمال أفريقيا خلال المناطق الزنجية، وبذلك أصبح السودان جميعه فىَ يوم من الأيام جزءاً من العالم الإسلامى.

لقد تمكن العرب من تحقيق تغيرات اجتماعية دائمة، فقد أنحازت جماعات من البربر إلى الإسلام، ويرجع ذلك إلى الانشقاق الدينى بين المسيحيين وما تبع ذلك من اضطهاد. أولاً من الكنيسة الرسمية الرومانية ثم من الواندال الآريين وأخيراً من البيزنطيين الأرثوذكس، وقد ساعدت الخلافات الدينيية والمضايقات على إضعاف الكنيسة المحلية بدون تقوية العناصر الكاثوليكية.

وكانت الحالة فى المغرب تختلف كثيراً عنها فى مصر، ففى مصر تعلق المصريون بمذهبهم الكنسى وهو المذهب المونوفيزى حيث صار هذا المذهب قوياً فى الولايات الشرقية وكان معاديا لمذهب الحكومة الملكانى، وحاول الإمبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١ م)/ ٢١ هـ إيجاد مذهب دينى جديد (المشيئة الواحدة) صدر به مرسوم عام ١٧ هـ / ٦٣٨ م، ولكنه لم ينل القبول ، ولما حاول عمال الإمبراطور فرضه بالقوة، أغضب الأهالى فى مصر وفى باقى الولايات الشرقية، وزادت كراهيتهم للإمبراطورية، كما خرجت بطريركيات الإسكندرية وأنطاكية وبيت المقدس من دائرة النفوذ البيزنطى الأمر الذى ساعد العرب فى تقدمهم أيام قوة الدولة البيزنطية.

ففى عام ١٨ هـ / ٦٣٩م جاء عمرو بن العاص إلى مصر فاتحاً ومعه بضعة آلاف من الرجال ليضيف إلى انتصار العرب نصراً جديداً، ولم تكن القوة البيزنطية فى مصر من القوة بحيث تصمد كثيراً أمام هذا القائد، فلم تلبث أن انهارت وأصبحت مصر وشعبها فى أيدى المسلمين.

وقد كان الفتح العربى لمصر بسيطاً، إذ أن الإمبراطورية البيزنطية كانت تخضع البلاد وتستغلها مما أوغر قلوب القبط عليها. وبعد هزيمة القوة البيزنطية فى مصر عام ٢٠ هـ / ٦٤١ م سقطت قلعة بابليون الواقعة عند رأس دلتا النيل في أيدى العرب ثم لم يلبث البيزنطيون أن انسحبوا من الإسكندرية واستولى عليها المسلمون ثم بدأ العرب فى إقامة عاصمة جديدة لهم وهى الفسطاط قرب حصن بابليون، وصارت الفسطاط مركزاً للقوة الإسلامية الجديدة. ومن الفسطاط نشر العرب نفوذهم على مصر السفلى ثم شرعوا فى الاتجاه إلى جنوب الوادى إلى مصر العليا، وجعلوا من الشلال الأول حدود مصر الجنوبية وعملوا على حماية وتحصين أسوان من غارات النوبة، ثم قاموا بحملة عسكرية إلى بلاد النوبة وصلت إلى العاصمة الشمالية للنوبة وعملوا على توثيق الروابط مع النوبة فعقدوا اتفاقية يقوم بموجبها النوبيون بحماية مصادر الذهب والرقيق ودفع الجزية لمصر فى مقابل نشر الأمن فى بلاد النوبة، واستمر الحال على ذلك حوالى ستة قرون نعم النوبيين فى بلادهم بالأمن وكذلك سمح للتجار العرب بالاشتغال بالتجارة مع النوبيين دون التعرض لهم بأذى.

أما فى المغرب الأفريقى :

فقد لقى العرب عدوا يمكن أن يقارن بهم من حيث طباعهم البدوية سواء فى الصلابة أو الحركة والتماسك التى كانوا يحاربون بها للمحافظة على

وحدتهم القبلية. ففى عام ٢٧هـ ٦٤٧/ م قام والى مصر عبد الله بن أبي سرح على رأس جيش بلغ تعداده عشرون ألف مقاتل لفتح أفريقيا لضمان أمن مصر من الخطر البيزنطي المحتمل على مصر، وانطلق إلى أفريقيا وكان يحكمها القائد البيزنطي جريجوريوس الذى لم يكن على وفاق مع الامبراطور البيزنطى، مما جعله يستقل بشئون أفريقيا، وقد مد نفوذه من إقليم طرابلس إلى طنجة.

ووصل عبد الله بن أبى سرح إلى برقه وتقابل فيها مع عقبة بن نافع فى جماعة من المسلمين وواصل سيره حتى وصل طرابلس وهو يبعث أمامه بالسرايا للاستطلاع، ورأى أن يصرف اهتمامه عن طرابلس التى تحصن أهلها خلف الأسوار - كسباً للوقت - وفعل ذلك عند قابس ثم واصل سيره إلى سبيطلة.

ولما وردت الأنباء إلى الحاكم الرومانى جريجوريوس في قرطاجه بتحرك جيش المسلمين من مصر متجهين إلى أفريقيا اتخذ الإجراءات فى تحصين مدينة سبيطله، وبعد أن وصل المسلمون إلى قمونية على بعد أميال من سبيطلة، وبعد فشل المفاوضات بين الجانبين، بدأت المفاوضات العسكرية ولكن دون جدوى، وجاءت الإمدادات بقيادة عبد الله بن الزبير الذى عرض خطة حربية جديدة هى تقسيم الجيش العربى إلى قسمين قسم يقاتل والقسم الآخر يأخذ قسطاً من الراحة، فإذا أصاب المقاتلين الإرهاق فوجئ العدو بالقسط الذى لم يقاتل، فلا يقوى العدو على مواصلة القتال وينهزم وينتصر المسلمون، وقد كان وانتصر المسلمون وقتل القائد الرومانى وفتح المسلمون سبيطلة واستولوا عليها.

ثم واصل المسلمون السير في نواحى أفريقيا ووصلوا إلى قفصه ثم

تفاوض الجانبان على أن يدفع القرطاچيون مبلغاً كبيراً من المال مقابل الانسحاب من البلاد. وقبل سعد بالعرض. ثم رأى عبد الله بن أبى سرح أن يعود أدراجه إلى مصر وذلك لخوفه من استعدادات الروم فى البحر للتدخل لإنقاذ البلاد خاصة بعد سقوط سبيطله فى أيدي المسلمين وكذلك خوفه على الأموال والذخائر التي غنمها فكانت المفاوضات مع الروم وانتهت بالاتفاق على عودة عبد الله بن أبى سرح نظير مبلغ يدفعه الروم، وتأمين عودة جنده.

على أن من أسباب عودة عبد الله بن أبى سرح هو خوفه من أن يقطع العدو خط الرجعة عليه فيفقد جنده وما حصل عليه من الغنائم. عاد عبد الله إلى مصر ووقف النشاط العسكرى فى بلاد المغرب حيث وقعت أحداث سياسية بالعاصمة الإسلامية المدينة انتهت بالثورة على الخليفة عثمان واستشهاده وتولى الإمام على بن أبى طالب منصب الخلافة، ثم بدأ الصراع المسلح بينه وبين معاوية بن أبى سفيان الذى انتهى باستشهاد الإمام على وتولى معاوية خلافة المسلمين.

تولى معاوية الحكم بعد استقرار الأمور وعادت الفتوح إلى سيرتها الأولى، وتولى عمرو بن العاص ولاية مصر لمعاوية للمرة الثانية وبدأت الحملات الحربية تخرج من مصر إلى أفريقيا وهى حملات محدودة فاتجهت إلى الواحات، ثم فزان فى ليبيا، وفى ٤٤هـ / ٦٦٤م توفى عمرو بن العاص.

وفى عهد معاوية تحولت أفريقيا من تبعيتها لوالى مصر إلى ولاية مستقلة تابعة للخليفة لأهميتها، وتولى حكم مصر عقبة بن عامر الجهينى وتولى معاوية بن حديج قيادة أفريقيا، وفى نفس الوقت الذى كان فيه عقبة بن نافع حاكماً فى ليبيا فى نواحى فزان وواحاتها، والأحوال مستقرة بها من أيام عمرو بن العاص حتى عام ٢٥ هـ/ ٦٥٥م وخاصة فى إقليم برقه حيث

استجاب الأهالى وأقبلوا طواعية للدخول فى الدعوة الإسلامية لما عرفوه من سماحة الإسلام.

خرج معاوية بن خديج الذى ولّى رويفع ابن ثابت الأنصارى على طرابلس في جماعة من الجند وسار حتى بلغ قمونية التى انتصر فيها المسلمون على الروم، ثم هاجموا مدينة حولالاء وانتصروا على جندها وغنموا جميع ما فيها، ثم أقام معاوية بن حديج مساكن فيها.

وفى عام ٥٠هـ / ٦٧٠ م ولّى معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع على أفريقيا، فدخلها وهو له سابق خبرة بأرض ليبيا وخاصة إقليم برقه وإقليم فزان وواحاتها المتعددة، وكان له سياسة حكيمة ساعدت على الاستقرار فقد كان ملتزماً بتعاليم الإسلام فأقبل البربر من أهالى برقة وفزان وعلى الإسلام بعد ما لمسوا سماحته ومساواته بين جميع المسلمين من عرب وبربر.

بلغ جيش عقبة عشرة آلاف مقاتل وسار فى طريقه مستخدماً أسلوب السرية في تحركاته حتى يكسب معركته مع العدو وبأيسر سبيل. وقد تمكن فعلاً من التقدم حتى وصل إلى غدامس فى أقصى الغرب من فزان ثم اتجه بعد ذلك متقدماً ناحية الغرب إلى منطقة اختارها لتكون مقراً للقيادة العربية، ومستقراً لها وأطلق عليها إسم القيروان، وشرع المسلمون فى بناء المسجد واستمرت حركة البناء فى القيروان التى لم تبعد عن الساحل غيرثلاثين كيلو متر. وهى كافية لإعطاء الأمان للمدينة من العدو القادم من البحر وهى في نفس الوقت على طريق المواصلات الرئيسية بالإقليم.

وفى عام ٥٥هـ / ٦٧٤م عُزل عقبة من منصبه في ولاية أفريقيا، وكان مسلمة بن مخلد قد تولى الإمارة على مصر والمغرب عام ٤٧هـ / ٦٦٧م

ومسلمة هو الذى رشح أبا المهاجر دينار لولاية أفريقيا عام ٥٥هـ/ ٦٧٤م.

بدأ أبو المهاجر دينار حملته للجهاد يقود حملة كبيرة لرفع راية الإسلام، ففتح شريك وهى جزيرة تقع بين سوسة وتونس، ثم اتجه إلى تلمسان وهى جزيرة تقع بين سوسه وتونس ثم اتجه إلى تلمسان وحارب قبيلة أوريه من البرانس وزعيمها كسيلة الذى وقع فى الأسر ثم أعلن إسلامه، وقد استخدم أبو المهاجر سياسة المهادنة مع البربر وأحسن معاملتهم مما شجع الكثيرين علي الدخول في الإسلام، وقد اعتمد أبو المهاجر دينار على المرونة السياسية فى معاملته مع البربر دون القوة العسكرية. ونجح في سياسته التى أثمرت فانضم البربر وزعيمهم كسيله إلى العرب ضد الروم، فقوى بهم العرب بعدما دخلوا فى الإسلام. واندفع العرب والبربر إلى تلمسان ففتحوها وبذلك سيطر العرب على المغرب الأوسط حتى تلمسان.

وفى عام ٦٥هـ / ٦٨١م عُزل أبا المهاجر من ولايته وحل محله عقبة بن نافع فى ولاية أفريقيا للمرة الثانية في عهد الخليفه الأموى يزيد الأول.

أنشأ عقبة بن نافع القيروان فى فترة ولايته الأولى لأفريقيا ونمت القيروان حتي أصبحت قاعدة حربية يتوسعون منها إلى جنوب المغرب لاستكمال فتحه، وفى الفترة الثانية من ولاية نافع، انطلق متجهاً إلى الطريق الداخلى بعيداً عن الساحل، واشتبك مع الروم حتى اضطرهم إلى الفرار وتمكن من فتح حصون بغايه قاعدة الزاب وغنم الكثير منها.

ثم اتجه إلى الساحل ليصل إلى بلاد المغرب الأقصى فأصبح أول من وطأ بقدمه أرضه ثم اتجه إلى طنجه فرحب يليان حاكم المدينة به وقدم له فروض الطاعة ثم اتجه عقبه بعد ذلك إلى مدينة وليلة ثم إلى درعه والسوس وحارب البربر وهزمهم ثم واصل مسيرتهم حتى بلغ المحيط ولم تشغله

حروبه عن بناء المساجد لكى تكون مركز إشعاع دينى بين الأهالى من البربر وتعليمهم قواعد الدين الجديد. وجعل العرب للمغرب نوعاً من الوحدة السياسية تقودها القيروان، تلك القاعدة الإسلامية التى صارت قبلة سكان المغرب جميعه يتجهون إليها طلباً للعلم، ومشاركة في يسرها ورضائها.

وقد لعبت القيوان دوراً نشطاً فى تاريخ المغرب وتوجيهه، فقد كثرت مواردها، كما كما كانت لها موانيها المطلة علي ألبحر المتوسط وموقعها الجغرافى الممتاز وقربها من طرق المواصلات.

إلا أن حركة عصيان تزعمها كسيله بن لمزم الأوربى ضد المسلمين فتربص بعقبة بن نافع بقصد الإيقاع به بسبب سوء معاملة عقبة لكسيله وهو زعيم فى موقعه فارتد عن الإسلام وتقاتل مع عقبه وهو في جيش كبير وعقبة فى كتيبة صغيرة ووقع القتال بينهم واستشهد عقبه فى مكان يقال له تهودة وأقاموا بها مسجد ضم رفاته، وعرفت المنطقة باسم سيدى عقبه.

وتولى بعد استشهاد عقبة بن نافع زهير بن قيس وهو من كبار القادة، وحاول دفع المسلمين للاستمرار في المقاومة والهجوم إلا أن الرأى المعارض تغلب فى النهاية واضطر زهير إلى الانسحاب من القيروان عائداً بالجيش إلى برقة وبقى بها انتظاراً للتعليمات، على أن الأعمال الحربية للمسلمين توقفت مدة خمس سنوات نتيجة لاضطراب الأحوال بالمشرق. وفى خلافة عبد الملك بن مروان صدرت التعليمات من الخليفه عبد الملك إلى زهير بن قيس وهو فى برقه لتولى القيادة استعداداً لمواصلة القتال واستعادة القيروان، وبعث الخليفة بالإمدادات الحربية من الخيل والجنود. وجمع زهير المقاتلين الذين معه وانضم إليهم من جاء من مصر وتجهزوا جميعاً لقتال كسيلة ومن معه من البربر والروم. وهنا أسرع كسيلة بالخروج من القيروان

بعد ما بلغة من أنباء الإمدادات والحشود الإسلامية في برقة متجهاً إلى ممس وهي على بعد قليل من القيروان وقريبة من الجبال، فضلاً عن كثرة المياه بها وجعلوا من الجبال حصناً لهم فى حالة الهزيمة.

خرج المسلمون من برقه بقواتهم واتجهوا إلى القيروان وبقوا بها أياماً للاستعداد للمعركة ثم انطلق الجيش يقوده زهير إلى ممس، وبدأت المعركة واشتد القتال بين الفريقين وسقط كثير من الجانبين ثم انهزم العدو وقتل كسيله فضعف جنده وفروا من ميدان المعركة، وقد استرد المسلمون قوتهم وارتفعت معنوياتهم بعد هذه المعركة.

أما برقة فقد أدرك الروم خلوها من الجند وأسرعوا بالدخول إليها عن طريق البحر ولم يستطع من فى المدينة المقاومة لما لحق بهم من اعتداء إذ أن كثرة جموع المهاجمين تغلب على القلة المدافعة وسقط زهير شهيداً فى المعركة، بعد استشهاد زهير كلف الخليفه عبد الملك بن مروان القائد حسان بن النعمان بولاية أفريقيا وقيادة جيوشها، ووصل حسان إلى أفريقيا يقود جيشاً قوامه أربعون ألف مقاتل.

وفى عام ٧٤هـ/ ٦٩٣م وصل حسان إلى القيروان وبدأ جمع المعلومات حتى علم أن الروم قد حشدوا جموعهم فى قرطاجة فى الطرف الشمالى من تونس حالياً وهى عاصمتهم فى أفريقيا، فأعد حسان عدته لقتالهم فى مركزهم واشتبك معهم فى قتال عنيف اضطر كثير. منهم إلى الانسحاب من المدينة فراراً إلى البحر، وتمكن المسلمون من دخول المدينة فاتحين ثم تتبعوا من انسحب منهم فى نواحى البلاد فاتجهوا إلى بنزرت وتغلبوا على من بها من المدافعين من الروم والبربر.

وبعد فترة هدوء واستجمام أعد المسلمون أنفسهم لمواجهة شرسه مع

البربر الذين تزعمتهم الكاهنة وهى من قبيلة جراوة من البتر. عرفت هذه المرأة بالبراعة فى فنون السحر وبلغت حد الزعامة التى دامت نحو خمسة وثلاثين عاما فى جبل أوراس مقر إقامتها.

التقى المسلمون والبربر تقودهم الكاهنة فى وادى مسكيانه وتقاتل الفريقان وتكاثر البربر وتمكنوا من التغلب على المسلمين وهزيمتهم واضطر حسان إلى الانسحاب بجنوده، واستمر الانسحاب حتى مجانه فأقام بها ثم تركها واتجه إلى مكان آخر يتحصن به، ثم تقابل الفريقان مرة أخرى فى مسكيانه واقتتلوا جميعاً فانهزم المسلمون وأسرعوا إلى الانسحاب بعد أن تمكنت الكاهنة من أسر جماعة من المسلمين.

ثم عهدت الكاهنة إلى خطة جديدة لها بقصد إضعاف المسلمين وإرغامهم على الانسحاب من جميع البلاد، فقامت بحركة تخريب للمزروعات وخلع الأشجار وهدم الحصون، إلا أن الكاهنة لم تصل إلى ما هدفت إليه بفعلها السلبى فى الهدم والتخريب إذ أن ذلك أصاب الأهالى بالفزع واضطروا إلى اللجوء إلى المسلمين يستنجدون لما وقع عليهم من أضرار بالغة. وقد استفاد المسلمون من تحول موقف سكان تلك البلاد من صفوف الكاهنة إلى صفوف الفاتحين. وبدأ حسان يعمل على الاستعانة بأهالى البلاد ، واتجه بعد ذلك إلى قابس وعين عليها والياً يتبعه ورحب به أهلها. ثم اتجه إلى قفصه واستولى عليها وعلى قسطيلية ونفزاوه. ووردت الإمدادت من مصر بعد تلك المعارك، وجمع حسان جنوده واتجه إلى لقاء الكاهنة عند بئر عرف باسم الكاهنة بعدها.

مكنت المعركة التى انتهت بمقتل الكاهنة المسلمين من القضاء على مقاومة البربر فى أفريقيا. كما قضت على مقاومة الروم من قبل واستقامت لحسان

البلاد. ثم بدأ حسان حركة تعمير وأسس مدينة تونس على بعد إثنى عشر كيلو متر من قرطاجه وبنى دار صناعة لإنشاء الأسطول المغربى وأتى بالعمال من مصر بأهلهم لتنفيذ خطته العسكرية و نظم إدارة الحكم.

على أن حسان بن النعمان لم يتمتع بثمرة هذا النصر فسرعان ما حقد عليه عبدالعزيز بن مروان والى مصر وأسند إلى موسى بن نصير عام ٨٥هـ / ٧٠٤م ولاية أفريقيا بدلا منه.

قدم موسى بن نصير إلى أفريقيا ونزل القيروان وكله عزم وإصرار ليبسط سلطان المسلمين على أفريقيا كلها وبعد أن نشر جنوده لحراسة القيروان وضواحيها عمد إلى القلاع والحصون لفتحها وبدأ بقلعة زغوان على مسيرة يوم من القيروان ففتحها، تمهيداً لفتح المغربين الأوسط والأقصى، وأتم فتح المغرب الأوسط ثم اتجه بجنوده إلى المغرب الأقصى فوصل طنجة وولى عليها طارق بن زياد ثم اتجه إلى السوس الأدنى والبربر يفرون هرباً منه ثم أسرعوا إليه يطلبون الأمان وقدموا إليه الطاعة. واستمر موسى فى تقدمه في بلاد المغرب الأقصى وأخضع معواره وزناته وصنهاجه وكتامه ونشر الإسلام بينهم وأقبلوا إلى الدين الجديد بحماس بالغ وانتشر الأمن فى جميع الأنحاء.

لقد تمكن موسى بن نصير من تقريب الإسلام إلى البربر وحببهم فيه، فنجح المسلمون فى بسط نفوذهم على كل المغرب الأقصى ثم اتجه موسى بن نصير بعد ذلك إلى تقسيم المغرب لخمس ولايات هى برقه وأفريقيا وتشمل تونس وطرابلس، والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والسوس وسجلماسه. واستقلت كل من ولاية برقه وطرابلس فى شئونها الداخلية فعمل على تشرب الأفارقة لتعاليم الإسلام، ودخل قلوبهم فأخلصوا لهذا

الدين. ثم استكمل هذا الدور الخليفة عمر بن عبد العزيز فبعث بكبار العلماء إلى بلاد المغرب فتحول المغرب إلى دار الإسلام فى جميع أرجائه. واستمرت أحوال المغرب على هذا المنوال مادام الحكام العرب يسيرون على نهج الإسلام فى المساواه بين العرب والبربر دون تفرقة فى المعاملة بينهم.

وحينما بدأ العرب فى الاستقرار والتمتع بجنى ثمار انتصاراتهم ، بدأ ظهور الخلافات في الرأى بصورة واضحة وثار الجدل حول المكان الذى يجب أن تستقر فيه قوة المجتمع الإسلامى بعد وفاة الرسولﷺ والمنهج الذى سوف يسير عليه المسلمون خاصة بعد أن أصبح الإسلام دين ودولة فى نفس الوقت.

في بداية الأمر تولى شئون الإسلام أربعة من الخلفاء بعد وفاة الرسول ﷺ وكانوا جميعا من المقربين للرسول ومن صحابته، وكان الخليفة الثالث هو عثمان، وكان فى سياسته متعاطفاً مع بعض أقاربه فى منحهم بعض الوظائف في الدولة فظهرت بعض المعارضة للسياسة المتميزة للخليفة عثمان واشتدت المعارضة ضد الدولة حتى انتهت باستشهاد الخليفة عثمان رضي الله عنه فى عام ٣٦هـ / ٦٥٦م، وجاء من بعده الخليفة على بن أبى طالب، وقدظهرت أيضاً المعارضة فى عهده، حيث وقف معاوية يمثل المعارضة لخلافة على بن أبى طالب، وفى عام ٣٧هـ / ٦٥٧م عرض موضوع الخلاف بين على ومعاوية أمام فئة من المحكمين ا ستخدم فيها أنصار معاوية دهاءهم السياسى فرجحت كفة معاوية وتمسك معاوية بأحقيته فى الخلافة تبعاً لما نادى به ممثلوه في هيئة التحكيم، ومنذ عام ٣٩هـ / ٦٥٩م صار معاوية هو الخليفة الفعلى فقامت الأسرة الأموية التى حكمت العالم الإسلامى وأدارت شئونه من دمشق حتى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م .

وفى ظل تلك الاضطرابات السياسية ظهرت جماعة الشيعة والخوارج وهم أنصار على بن أبى طالب ومساعديه كرم الله وجهه، وهم الذين وضعوا أساس المذهب المعارض للأمويين، وكانت وجهة نظرهم تتلخص في أن حكام الإسلام يجب أن يكونوا من نسل الرسول ﷺ وعصبته الذين ينحدرون من نسل علي وزوجته فاطمه بنت الرسولﷺ، ومن هنا ظهرت اصطلاحات العلويين والفاطميين، بينما لم يتقيد بقية المسلمين من أهل السنة بالشروط التى تمسك بها الشيعة.

وفى منتصف القرن الثامن الميلادى / ١٣٣هـ تحولت الخلافة الإسلامية من الأمويين إلى العباسيين، ولم يحكم العباسيون الدولة الإسلامية من دمشق قلب الدولة الأموية في سوريا. وإنما من بغداد المدينة الجديدة فى العراق، وقد تمكن العباسيون من الارتقاء بالدولة الإسلامية بالعلوم والآداب حتى تمكن العرب من تثبيت أقدامهم فى الأقاليم ا لتى فتحوها. لقد كان لتحول مركز الدولة الإسلامية في عهد العباسيين إدارياً وروحياً إلى الشرق آثارها الهامة فى القارة الأفريقية. فقد ظهرت حكومة مستقلة من قبل الأمويين، كما ظهرت زعامات قوية من البربر ظهرت زعامات قوية للخوارج كونت ممالك خاصة ازدهرت خلال القرنين الثانى والثالث هـ/ الثامن والتاسع م. كما فى سجلماسه أعظم مركز للقوافل فى جنوب مراكش، وكذلك فى طرابلس وفي تونس وحول تاهرت فى وسط المغرب.

لقد اختارت القبائل البربرية «إدريس بن عبد الله» أحد العلويين المهاجرين اختارته فى مراكش فى عام ١٧٢هـ/ ٧٨٨م إماماً، ولم تلبث هذه الإمامه أن تدعمت لتتحول إلى مملكة كبيرة فى المغرب ، وقد نتج عن حركة إدريس هذه ظهور أول مدينة وطنية فى مراكش كعاصمة للبلاد وهى فاس،

وهذه كانت البذور الأولى التى تفجرت ثمارها فيما بعد تنادى بفكرة المملكة المراكشية.

وفي عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م نجح ابراهيم بن الأغلبى التميمى فى تأسيس دولة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦ / ٨٠٠ = ٩٠٩م) في أفريقيا (تونس) وكان ذلك بتوجيه من الخليفه العباسى هارون الرشيد للعمل على إخماد ثورة البربر والوقوف في وجه الأدارسة إذا ما حاولوا الإغارة على أراضى الدولة العباسية.

اتخذ ابراهيم بن الأغلب القيروان عاصمة للدولة وعمل على تكوين قوة بحرية ضخمة وبني مدينة العباسية علي بعد قليل من القيروان وجعل بها معسكرات الجند وخزائن السلاح وجعلها إمارة لدولته ثم خلفه بعد وفاته إبنه أبو العباس عبد الله (١٩٦هـ/ ٨١١م) وفى عام ٢٠١هـ / ٨١٦م توفى أبو العباس وخلفه فى الحكم أخوه زيادة الله (٢٠١هـ - ٢٢٣ / ٨١٦ - ٨٣٧م). وفى عهده صار الأسطول الأغلبى أقوى أساطيل البحر المتوسط، كما اهتم بالتعمير فأقام المساجد والقناطر والأربطة والخزانات بالقيروان والعباسية وتونس وسوسه وشغف بالفنون والآداب.

كما جاهد في سبيل نشرالإسلام، ففى عام ٢٠٦ هـ / ٨٢١م قام بغزو سردينيه وعاد منها بغنائم كثيرة، وكانت غزواته لتلك الجزيرة لدرء خطر الغارات البيزنطية على السواحل الأفريقية. وظل الأسطول الأغالبى يسيطر على جنوب أوربا فى صقليه وإيطاليا، وفى عام ٢١٢ هـ/ ٨٢٧م أخضع الأغالبه لسطانهم جزيرة صقلية حين أرسلوا أسطولهم وأنزلوا جيشاً يقوده أسد بن الفرات ففتح صقلية بعدما حارب الصقليين وهزمهم فى موقعة بمدينة مازر، ثم واصل الاستيلاء على القلاع والحصون حتى خضعت له

الجزيرة. وفى عام ٢٢٣هـ / ٨٣٧ م توفى زيادة الله فخلفه أخوه الأغلب. وفى عهده واصل الأغالبه فتح ما بقى من صقلية. وفى عام ٢٢٦ هـ / ٨٤٠م تولى الحكم ابوالعباس محمد (٢٢٦ - ٢٤٢ هـ/ ٨٤٠ - ٨٥٦ م) وفى عهده فى عام ٢٣٠هـ / ٨٤٤م هاجمت بعض سفن الأسطول الإيطالى سواحل سواحل أفريقيا وغنمت وأسرت عددا من سكان الساحل التونسى، فأصدر الأمير محمد أوامره لغزو إيطاليا وقام الأسطول الأغالبى بالهجوم على ضواحى روما واقتحموا واستولوا على غنائم كثيرة ثم تكررت غزواتهم لردع المعتدين وإرهابهم.

وفى عام ٢٤٢ هـ/ ٨٥٦م توفى الأمير محمد وتولى الإمارة ابن أخيه أحمد الذى استولى الأغالبة في عهده على قصر يانه آخر معقل في صقلية فى عام ٢٤٤هـ / ٨٥٨م كما قم بترميم، وتزيين الجامع الكبير بالقيروان وبنى الصهاريج بالقيروان وماجل وسوسه. وتوفى عام ٢٤٩هـ / ٨٦٣ م وخلفه زيادة الله الثانى ثم أعقبه فى الحكم ابن أخيه أبو الغرانيق عام ٢٥١هـ / ٨٦٥م وفى عهده فتح الأغالبه جزيرة مالطه فى عام ٢٥٥ هـ/ ٨٦٨م وبقيت تحت حكم القيروان مايقرب من مائتين وخمسن عام وتوفى عام ٢٦١هـ / ٨٧٤م أبو الغرانيق وتولى بعده الحكم أخوه إبراهيم (٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٠١م)، والذى تم فى عهده فتح سرقوه في عام (٢٦٤هـ / ٨٧٧م) آخر المعاقل البيزنطية في صقلية، وهو الذى بنى مدينة رقاده على بعد أميال من القيروان وجعلها دار إمارة.

وفى عهد الأمير ابراهيم أنشئ بيت الحكمة، أنشأه الأمير ابراهيم ودعى إليه العلماء من أطباء، وفلكيين وفنانين، كما أسس مكتبة ملأها بنفائس الكتب وجعلها مقصداً للطلاب من كل مكان، وهكذا تحولت تونس إلى منارة للعلوم والفنون والآداب.

كما اهتم إبراهيم بالرباطات وخصها بنظام الحراس بأسلوب متطور بحيث يمكن عن طريق الإشارات الضوئية تأخذ الرباطات فى الوقت المناسب وتكون جاهزة ضد الأعداء المتربصين. ثم فاجأت إبراهيم حالة مرضية اضطرت الخليفة العباسى أن يبعث إليه ليعفى نفسه من الحكم ويتنازل عنه لإبنه عبد الله الذى لم يلبث أن توفى عام ٢٩٠هـ / ٩٠٢م مخلفا أبا مضر زيادة الله، وفى عهده انتهت دولة الأغالبه التى نهضت بأفريقيا وكونت أسطولاً فى البحر المتوسط، فتحت به صقلية ومالطا فتعربت كلتاهما ودخلت الإسلام.

لقد كا ن سقوط الأغالبه على يد الفاطميين الذين قضوا على دولة الأباضية ودولة الأغالبه وبسطوا سلطانهم على تلك البلاد.

انضمت كتامه المغربية إلى الدعوة الشيعية الفاطمية بعد مقابلة تمت مع بعض من كتامه المغربية (الجزائر) وهم فى موسم الحج فى مكة مع الداعية أبو عبد الله الصنعانى الذى سافر معهم إلى المغرب وأعلن لهم دولة آل البيت الذين هم أحق بالخلافة من غيرهم . واستجابوا له وبدأ يرتب التنظيمات العسكرية. ثم اتجه بها إلى أفريقيه (تونس) وتغلب على الأغالبه وعلي قواتهم فى الأربس، ثم دخل القيروان فاستولى عليها ودبر ا لأمور لدعوة عبد الله المهدى للحضور من مقر الدعوة في أرض الشام، وللتغطية وخوفا من الرقابة العباسية جعل خط سيره إلى سجلماسه فى المغرب الأقصى فاعتقل هناك ثم تمكن من الهروب واتجه إلي القيروان فى عام ٢٩٧هـ / ٩٠٩م وتسلم القيادة من أبى عبد الله الصنعانى وتلقب بأمير المؤمنين. ثم بدأ فى بسط نفوذه على بلاد المغرب الأقصى واستعان فى تحقيق هدفه بقبيلة صنهاجة بالجزائر وزعيمها مطالبه، والذى قاد جيشاً

زحف به إلى بلاد المغرب الأقصى، وفتح فاس بعدما تغلب على الأدارسة بها ثم بدأ الشيعة الفاطميون بعملون على جذب علماء السنة إلى صفهم فتجادل الفريقان في القيروان. (١)

أدرك عبد الله أن القيروان لن تعطيه الأمان فعمل على بناء مدينة له يقيم فيها هو وأسرته. وبدأ العمل فيها في عام ٣٠١ هـ / ٩١٥م وتقع بين سوسه وصفاقص حتى تم له بناءها فى عام ٣٠٨هـ / ٩٢٠م وهى مدينة المهدية وجعلها مقر حكومته، وبدأ الجهاد ضد الأعداء فسارع إلى صقلية بجنوده ليعيد طاعة أهلها إليه، وعين عاملا له عليها.

ولما ثارت الأباضية فى طرابلس كلف ابنه القائم بردعهم وتغلب القائم على الثوار وقرر عليهم غرامة يدفعونها. ثم خرج القائم إلى المغرب الأوسط وبنى مدينة المحمدية (المسيله) وفى عام ٣٢٢هـ / ٩٣٣م توفى عبيد الله المهدى وقام بالإمامه بعده ابنه القائم. وفى عهده تم غزو جنوه وكرسيكا وسردينيه واستولى قائد البحرية يعقوب بن اسحق على الغنائم الكثيرة منها.

وفى عام ٣٢٦هـ / ٩٣٣م قامت ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الصفرى وهاجم أفريقيا (تونس) ودخل تبسه والأربس وباجه وتونس ورقادة والقيروان ثم حاصر المهدية وفاجأ القائم الموت فتولى إبنه المنصور قيادة البلاد وذلك في عام ٣٣٤هـ / ٩٤٥ م ثم بعث يطلب المساعدة من صنهاجة وسرعان ما أقبلت صنهاجة وبفضلها تم انسحاب المحاصرين للمهدية.

---

١) قالت الشيعة بأن الإمامة هى من أهم المطالب فى أحكام الدين والتى يحصل بسببها إدراك نيل درجة الكرامة، وهى إحدى أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود فى الجنان. فقد قال رسول الله من مات ولم يعرف إمام زمانه فقد مات ميتته الجاهلية، فعارضهم أهل السنة وقالوا بأن النبى ﷺ فسر الإيمان وشعبه ولم يذكر الإمامة فى أركانه ولا جاء ذلك فى القرآن الكريم.

وبعث المنصور بأسطوله إلى سوسه وكانت الصفرية قد استولت عليها وتمكن من التغلب على أبى يزيد زعيم الصفرية فانسحب أبو يزيد يريد القيروان فصده أهلها عنها ثم تغلب المنصور على أبى يزيد فى عام ٣٣٦هـ / ٩٤٧م، واحتفل المنصور بهذا الفوز الذى ناله على عدوه فأنشأ مدينة المنصورية فى عام ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م مجاورة للقيروان وفى عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م .

وفى عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م بعث المعز الفاطمى بجوهر الصقلى إلى مصر على رأس جيش كبير استطاع به دخول مصر، وفى مدينة الفسطاط خطب جوهر الثقلى فى جامع عمرو بن العاص باسم الخليفه المعز الفاطمى وبعث جوهر يدعوه للحضور لمصر، فقام المعز بتدبير شئون المغرب. ثم بدأ رحلته إلى مصر فى عام ٣٦١هـ / ٩٧١م وامتد سلطان المعز الخليفه الفاطمى من الشام إلى مصر حتى بلاد المغرب الأقصى.

أسند الخليفه المعز الفاطمى حكم المغرب إلى زيرى زعيم صنهاجه وكافأه لمساعدته فى تحقيق نصر على مخلد بن كيدار الزعيم الصفرى. وقام زيرى الصنهاجى بعمل إصلاحات وأقام المدن فى المغرب الأوسط (الجزائر) ومليانه والمهدية.

عمل بلكين على تأسيس دولة قوية فقام على رأس جيش فى عام ٣٦٨هـ / ٩٧٨م لإخماد الثورات التى قامت ضد الفاطميين وتمكن من التغلب على الثائرين ودخل مدينة فاس وأصيلا علي المحيط الأطلسى.

وفى عام ٣٧٤هـ / ٩٨٤م توفى زيرى وخلفه فى حكم البلاد ابنه المنصور، ورأى المنصور بن بلكين أن يتخلى عن بلاد المغرب الأقصى بسبب المشاكل والحروب التى سببها له مع زناته ومع أعمامه، واكتفى بإمارة أفريقيا، تونس والجزء الشرقى من الجزائر حتى الزاب.

وفى عـام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م توفى المنصـور وخلفه إبنه باديس. وفى عـام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م كلف عمه حماد بقيادة جيش للقضاء على ثورة قامت بها زناته فى المغرب الأوسط (الجزائر) وتمكن حماد من تحقيق انتصار على زناته. وعاد وبنى قلعة حماد فى قسنطينه لتكون مقراً لقيادته. ثم حارب باديس عمـه حمـاد وتوفى عـام ٤٠٦هـ / ١٠١٥م وتولى الحكم المعـز بن باديس وكان طفلاً فتولى أعمامه قيادة الدولة، أما حماد فقد استقل بما استولى عليـه من أرض زناته في إقليم الزاب لوعـد أعطاه إياه المنصـور بامتلاك ما يفتحه من أرض زناته.

وفى عـام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م بعث المعز بجيش لمحاربة عمه حمـاد وهزم حماد فى المعركة ولكنه طلب الصلح وإعلان تبعيته للمعز. وهكذا قامت إمارة بنى حماد الصنهاجية وعاصمتها قلعه بنى حماد فى غرب الجزائر بجوار دولة صنهاجة التى عاصمتها القيروان.

وفى عام ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م حول المعز بن باديس تبعيته للخلافه الفاطمية فى القـاهرة إلى الخلافـة العباسـية فى بغـداد، وكان ذلك تمشياً مع رغبة الجماهير الرافضة للمذهب الشيعى الفاطمى. ومن هنا كانت الخطة التى دبرها الفاطميون ضد الدولة الصنهاجية المغربية (تونس) انتقاما من أميرها المعز بن باديس الذى خرج عن تبعيته لهم فى العقيدة والإرادة.

انتقل المعز بن باديس الى المهدية وتوفى ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م بعد أن ترك أفريقيا (تونس) وقد دخلتها المدنية والحضارة والعلوم وازدهرت الزراعة والصناعة وتولى الحكم تميم بن المعز بعد وفاة أبيه، وفى عهده قاومت البلاد غارات الأعداء على سواحلها ولم تمكن أحداً من الأعداء الطامعين إلا أن صقلية خرجت عن سلطان تميم بن باديس وتبعتها جزيرة مالطه، وتوفى

تميم في عام ٥٠١هـ / ١١٠٧م وتولى الحكم بعده ابنه يحيى. وفى عهده استعادت الدولة قوتها البحرية وقامت بغزوات بحرية إلى جنوه وسردانيه وعادت محملة بالغنائم.

وفي عام ٥٠٩هـ/ ١١١٥م توفى يحيى وتولى بعده ابنه على. وفي عهده صار النورمان يشكلون خطراً كبيراً على المهدية فاستنجد علي بن تميم بالمرابطين الذين تمكنوا من حماية المهدية من الخطر النورماندى وقاموا بغزو صقلية.

وفى عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م توفى على وخلفه ابنه الحسن بن على وعاود روجر الهجوم على المهدية وتغلب روجر علي الحسن بن على وهنا ظهرت الدولة الموحدية التى أسرعت بمهاجمة النورمان وردتهم عن البلاد التونسية واستعادتها من النورمان فى عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. وتولى الحسن بن على الصنهاجى الحكم وشاركه عاملا عينه الموحدون، وكان هذا آخر عهد دولة ابن باديس بأفريقيا.

الهجرة الهلالية:

في عام ٤٤٩ هـ/ ١١٠٥م بعث الفاطميون بقبائل بنى هلال وسليم إلى بلاد المغرب، بعد أن تحول المعز بن باديس من تبعيته للفاطميين فى القاهرة إلى العباسيين فى بغداد، حاربت تلك القبائل المعز بن باديس وتغلبت عليه، وقد نتج عن تلك الهجرات الهلالية واستقرارها فى المغرب أنها عملت علي تقريب القبائل البربرية لأن الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت فى نشر الدين الإسلامى واللغة العربية بالمغرب، فأتت الهجرات الهلالية لتضيف إلى ذلك الدم العربى وتعدل التكوين الجنسى العنصرى لسكان المغرب حتى صار

البربرى القديم لا يلتمس إلا فى معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة ولا يميز إلا ببعض الظواهر اللغوية. وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة شمال أفريقيا سمات جديدة ونتج عن امتزاج العرب والبربر أجيال أقوى شكيمة وأشد مراساً من أجدادهم.

أما فى مصر:

فقد قدر للقبائل العربية أيضاً أن تلعب دورها في تعريب مصر مرحلة إثر مرحلة حتى عصر المماليك الجراكسة.

وإذا كانت ثورات الذميين في مصر دفعتهم إلى الدخول فى الإسلام نتيجة تعرضهم لظروف اقتصادية صعبة فإن ثورات العرب ضد المماليك التى وقعت فى نفس الفترة حتى تحدث عنها المقريزى قد دفعت بالعرب أيضاً إلى الاندماج في شعب مصر بعد أن أرهقهم الصراع ضد المماليك.

ويعلق تقى الدين المقريزى على انتشار الإسلام بين أقباط مصر ومايترتب على ذلك من ارتباط العرب بالمصريين بعلاقات النسب والمصاهرة وتعلم المصريون اللغة العربية حتى كان منهم القضاة والعلماء فيقول «حيث اختلطت الأنساب بأرض مصر فنكح هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بالأرياف المسلمات واستولدوهن ثم قدم أولادهم إلى القاهرة وصار منهم قضاة وشهود وعلماء.

فكان لهذا الاندماج النهائى لتلك التجمعات العربية الهائلة الذى تم على مراحل مبتدئاً بمصر شمالاً وممتداً إلى السودان جنوباً. كما سبق أن امتد غرباً إلى بلاد المغرب العربي، هذا الاندماج كان له تأثير روحى عميق في الكيان الاجتماعى لأهل مصر.

لقد ساعدت الظروف على زيادة التقارب والاندماج بين قبائل العرب وشعوب تلك البلاد وترتب على هذا الاندماج الذي تم بمصر بصفة خاصة فى العصر المملوكى تلهف المصريين على التعرف على دين العرب ولغتهم. وتبعاً لذلك جند الكثير من العرب أنفسهم لمهمة نشر علوم الدين واللغة.

وهكذا أصبحت لغة العرب تمتد من مصر غرباً بطول الساحل الأفريقى للبحر الأبيض حتى المحيط الأطلسى، وجنوباً إلى السودان، ويرجع سبب انتشار اللغة العربية بادئ ذى بدء إلى غلبة العرب وسيطرتهم على تلك المناطق الشاسعة المترامية الأطراف. ويعبر ابن خلدون عن ذلك بقوله «إعلم أن لغة أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة والجيل الغالب عليها أو المختطين لها ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد (عصر المماليك) عربية.

وكان من أبناء القبائل العربية من حمل رسالة نشر اللغة العربية وعلومها وبفضل هؤلاء وفضل جهود هم بقيت اللغة العربية في مصر والشام والمغرب.

ومن قبائل جذام ولخم وبنى كنانه ومن العلويين والجعافرة وغيرهم من القبائل العربية فى مصر ظهر العلماء فى فروع علوم الغة العربية وآدابها وحملوا لواءها، وعملوا على نشرها وتثبيتها حتى صارت لغة العرب بجهودهم رمزاً لوحدة شعوب تعيش على أرض تمتد مساحتها شرقاً من الخليج العربى بأرض العراق إلى بلاد المغرب الأقصى عند شواطئ المحيط الأطلسى في أقصى الغرب.

شمال وغرب أفريقيا

فى

عصر ازدهار الإسلام

شمال وغرب أفريقيا فى عصر ازدهار الإسلام

إن أعظم الأعمال التى حققها العرب فى أفريقيا إنما تمت لأنهم قدروا وبحق أن الشعوب الأفريقية تستطيع أن تحقق ما ينشدونه من حمل راية التوحيد فى هذا الجزء المتسع من العالم، وفى خلال الفترة ما بين عام ١٨٤هـ / ٨٠٠م ، ٧٠٠هـ / ١٣٠٠م حينما كانت مدنية الإسلام لا يمكن أن يباريها فى مجال الفكر والفن والعلم والإدارة أى جزء من أجزاء العالم. كما كانت أيضاً الفترة التى ازدهرت فيها بعض الممالك الأفريقية الكبيرة، ولقد لعب البربر فى شمال أفريقيا دوراً عظيماً فى تاريخ العالم العربى والأجزاء الآسيوية القريبة، كما كانت هناك أضخم وأعظم الممالك السودانية جنوب الصحراء الكبرى حيث استطاع الإسلام أن ينشر تعاليمه بين الشعوب الأفريقية وهم يقبلون عليها فى يسر وسهولة بل وكان للشعوب الأفريقية الفضل فى انتشار الحضارة الإسلامية جنوباً حتى أصبحت مدنية الإسلام أكثر قدرة على الاتساع فى المناطق الزنجية.

لقد قامت قبائل صنهاجه الطوراقية التى حكمت طريق القوافل بين غانا ومراكش لتمكنهم من القيام بدورهم فى تنشيط تعاليم الدين من جديد وكان لهذا الدور نتائجه البالغة الأهمية لكل من المغرب والسودان الغربى على السواء.

ظهور الدعوة المرابطية:

المرابطون هم صنهاجة الجنوب الملثمون، اتخذوا اللثام على وجوههم وصار شعاراً لهم، عاشوا فى صحراء المغرب الأقصى بين جنوبى المغرب الأقصى والمناطق المدارية حتى السنغال إلى بلاد السودان يعيشون على

الأنعام يركبونها فى تنقلاتهم ويتغذون من ألبانها ولحومها، ومن أهم قبائل صنهاجة اللثام كداله ولمتونه، ومسوقه دخلوا فى الإسلام في القرنين الثانى والثالث الهجرى، الثامن والتاسع الميلادى وحملوا رايته ونشروا دعوة التوحيد بين القبائل في الجنوب حتى بلاد السودان:

وظهر من بين صفوفهم في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالى الذى عرف بالتقوى والصلاح وبعد النظر ورجاحة العقل مما يؤهله أن يحمل رسالة إصلاح بين القبائل. وقد دفعه طموحه الديني لأن يعمل على توحيد صفوف القبائل الصنهاجية ودفعها إلى المجاهدة والنضال بين صفوف القبائل المغربية فى جميع الأنحاء.

بدأ يحيى بن إبراهيم رحلة البحث عن أصول الدين وفى عودته إلى القيروان عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م تقابل مع عمران الفاسى، وتلقى منه العلم وطلب منه أن يرشح من تلاميذه فقيهاً يصحبه إلى بلاده ليعمل علىٍ نشر علوم الدين بين صنهاجة اللثام ويهديهم إلى طريق الصلاح.

ووجه أبو عمران الأمير يحيي إلى أحد تلاميذه وهو وجاج بن زولو من فقهاء المغرب الأقصى ليختار أحد تلاميذه ليرافق الأمير يحيى إلى بلاده ليعلم الناس الدين الصحيح.

وتقابل الأمير يحيى مع الفقيه المالكى وجاج في سجلماسه واختار وجاج الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولى الصنهاجى الأصل ليرافق الأمير يحيى الجدالى في رحلة العودة.

عبد الله بن ياسين:

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير على الصنهاجي اللثامي سافر إلي بلاد الأندلس في عام ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩ م فى عهد ملوك الطوائف وتلقى العلم من أئمة العصر وأعلام الفكر ثم عاد إلي المغرب الأقصى وقابل فقيه السوس وجاج المالطي العالم الزاهد ثم رحل عبد الله بن ياسين إلى لمتونه قبيلة صنهاجة اللثام فأعجبوا به والتفوا حوله ثم لما رأوا أنه يحرض عبيدهم عليهم بدعوته إلي المساواه بين البشر ووجدوا أن وجوده خطراً عليهم انفضوا من حوله بل إنهم أكثر من هذا عزلوه وأبعدوه عن ديارهم.

ولما لم يجد استجابة من سامعيه وانصرافهم عنه عمد إلى اللجوء إلى جزيرة في مصب السنغال في رباط يتعبد فيه بتشجيع من يحيى أمير جداله فسمع به الناس والتفوا حوله وكثر عددهم أولئك الذين يملأ الإيمان قلوبهم وصاروا قوة يعتز بها هذا الفقيه، بوجودهم حوله، وقد صحب الأمير يحيى بن ابراهيم في رباطه حتى توفى عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م وبقى عبد الله فى رباطة حتى بلغ مريديه ألفاً فاجتمع بهم وأمرهم بالجهاد فى سبيل الله قائلاً لهم «اخرجوا فأنتم المرابطون» وهؤلاء المرابطون الملثمون صاروا جيشا يدافع عن الحق ويحمل الناس على الاستقامه واتباع الحق.

دولة المرابطين:

قيام الدولة المرابطية (٤٤٨-٥٤١ هـ/ ١٠٥٦ - ١١٤٧م)

خرج عبد الله بن ياسين هو وعمر اللمتونى الذى خلف ابراهيم الجدالى وعارضته جداله تعصباً، فلم يأبه عبد الله للمعارضة، واتجه هو وجماعة من المرابطين إلى غانه جنوباً واستولوا على أودغشت ودخلت غانه فى الإسلام ثم اتجهوا إلى السودان، وتوفى يحيى بن عمر اللمتونى وخلفه أخوه أبو بكر عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م وخضعت جداله لعبد الله كما خضعت لمتونه من قبل وصارت غانه ولمتونه وجداله في طاعة المرابطين.

وأصلح عبد الله أحوال هذه البلاد، وقضى على المنكر وألغى الضرائب ثم اتجهوا إلى الشمال واستولوا على درعه وسجلماسه وإقليمها. ثم بدأ المرابطون يتجهون إلى بقية القبائل الملثمة لتوحيدها في سبيل الجهاد فانضمت إليهم مسوقة ولمطه وجزوله. وفى عام ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م تمكن المرابطون يقودهم أبو بكر اللمتونى وعبد الله بن ياسين من فتح مدينة ماسه على المحيط من بلاد السوس. فقضوا على دعوة الرافضة ثم اتجهوا إلى الشمال واستولوا على إغمات، ثم اتجهوا رلى برغواطه في ساحل المحيط فى سلا بإقليم فاس وآنفه وآزمور فى تامسنه وآفى في إقليم دكاله وحاربوا ا لصفرية وهزموهم ، واستشهد عبد الله بن ياسين في عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م.

حقق الزعيم المرابطى أهدافه بعد الانتصارات التى تمت وانتشرت في جميع الأنحاء فتوحات المرابطين وتمت حركة مقاومة الفساد وأصلحت أحوال البلاد والعباد وكثرت جموع الملثمين والتى انضمت لحركة المرابطين

فقوى ا لمرابطون المجاهدون واستطاعوا أن يواصلوا الحمله إلى أبعد ما يستطيعون.

لقد تمكن المرابطون من إخضاع غانه وجداله ولمتونه فارتفع بذلك شأن المرابطين أولئك الذين جاهدوا لإحياء الدين الحق ونشر الفضيلة، ووأد الفساد ورفع راية العدل فى جميع أنحاء المغرب.

لقدل تحولت جموع تلك القبائل البدوية من التفرق والتخلف إلى جنود منظمة متحدة تدافع عن الإسلام وتبذل فى سبيل ذلك أرواحهم. لقد ألغى عبد الله بن ياسين الضرائب غير العادلة التى تنافى ماجاء فى الكتاب والسنة وحل محلها الزكاة والأخماس والأعشار. وطالب الأغنياء بمراعاة الفقراء وخصصت لبيت المال عمالا يسهرون على المراقبة والمحاسبة حرصاً على صيانة أموال المسلمين ونشر العدل ورفع الظلم في أنحاء المغرب وهو يواصل فى نفس الوقت الاشتغال ببث الدعوة بين أتباعه حتى ظهر مريديه وتلاميذه الذين عرفوا بإنكار الذات ولم يحفلوا بالمآرب الفردية فطهرت نفوسهم من أدناس الأنانية وحب الذات، ووطدوا أنفسهم على الإيثار والعمل لخير المجتمع منهم لمتاد بن نصير اللمتونى فقيه الصحراء وميمون ابن ياسين الصنهاجي. وبعد استشاد عبد الله بن ياسين وهو في بلاد السوس وهو يهاجم الجماعات حتى قضى عليهم ولما بلغه أن خلافاً عنيفا وقع بين قبيلة لمتونه ومسوفه بالصحراء أسرع إليهم في عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م لإصلاح أحوالهم، وندب ابن عمه يوسف بن تاشفين ليحل محله بالمغرب الأقصى، جاهد أبو بكر في بلاد السودان حتى استشهد في عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م وتابع خلفاؤه من بعده الجهاد في الجنوب. أما فى الشمال فقد تولى قيادة الشمال يوسف بن تاشفين، ذلك البطل الشجاع المجاهد فى سبيل الله الذى أسس مدينة مراكش عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢ م، فى السهل الذى يقع

شمالى أغمات وجعلها عاصمة الدولة، وعمرها ببناء المسجد الجامع، وأعقب ذلك البناء المخصص لإدارة شئون الحكم. وما إلى ذلك من مدارس وحمامات ثم بدأ ابن تاشفين يزيد من عدد جيشه حتى بلغ عدد الجيش المرابطى مائة ألف مقاتل من صنهاجه.

وفى عام ٤٦٠هـ / ١٠٦٧ م استولى على غمارة مروراً بمنطقة الريف إلى طنجه ثم أعاد فتح فاس عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م للمرة الثانية ثم توالت فتوحات المرابطين في بلاد المغرب الأقصى ثم استولى على طنجه عام ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م واستولى على تلمسان فى عام ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م ثم اتجه المرابطون إلي بلاد المغرب الأوسط واستولوا على الجزء الغربى من الجزائر، كما استولوا على ميناء سبته عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م .

ومنح يوسف لنفسه لقب أمير المسلمين، وأعلن تبعيته للخليفه العباسى فى بغداد، وطبع اسمه على السكه فى عام ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م خلفاً للأمير أبى بكر. كما عمل يوسف على إصلاح الأحوال الاقتصادية فرفع الضرائب وعين عمالاً على البلاد من ذوى السمعة الطيبة الذين عملوا على نشر الأمن والعدالة فى البلاد وعين لكل حاكم فقيها برتبة مستشار حتى لا يحيد أحد عن الشريعة الإسلامية فى أحكامه.

بعد أن تم للمرابطين سيادتهم على الصحراء فى جنوب المغرب الأقصى وبعد أن اتجهوا إلى الشمال وتم لهم النصر على الزناتيين، وبسطوا سلطانهم عليهم وأصبح المرابطون سادة المغرب بعد صراع دام عشرين عاماً ٤٤٧هـ - ٤٦٧/ ١٠٥٥ - ١٠٧٤م أخذوا على عاتقهم - وعلي رأسهم زعيمهم يوسف بن تاشفين - رفع راية التوحيد لنصرة المسلمين فى الأندلس. عمل يوسف على توحيد الجبهة الإسلامية وحشدها فى صف واحد ليواجهوا الأعداء صفا واحداً كالبنيان المرصوص.

المرابطون فى الأندلس :

بعد أن استقر الأمر بالمغرب ليوسف بن تاشفين (٤٨٠ -٥٠٠هـ/ ١٠٨٧ - ١١٠٦م) وبعد أن ظهرت أطماع النصارى فى بلاد الأندلس بوضوح وبعد أن جاءت الاستغاثة من أمراء وفقهاء الأندلس يستنجدون بالمرابطين وزعيمهم. وكان المرابطون أيضاً يعدون العدة من قبل للجهد ضد الأعداء فى الأندلس. وذلك حين دخلوا سبته في عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م فلم يكن أمامهم إلا الاستجابة لدعوة الجهاد. وبدأت طلائع المجاهدين المرابطين بالتوجه إلى الجزيرة الخضراء وعسكروا فيها وتوالت جموعهم من جميع بلاد المغرب كما لبى النداء جميع القبائل من المغاربة ومن العرب ومن بني هلال. ثم بدأ تحرك القوات المحتشدة من الجزيرة الخضراء متجهة إلى أشبيليه بقيادة أبى سليمان داود بن عائشه، وهناك قابل الجموع التى دفعها الحماس للإنضمام إلى جيش المرابطين.

واجتمعت جيوش الأندلس من أشبيليه والمريه وغرناطه والثغر الأعلى، ومن قرطبه ومن غيرها من جميع أنحاء البلاد الأسلامية. ولما اجتمعت تلك القوات أخذ يوسف بن تاشفين ينظمها فجعل معسكر للأندلسيين ومعسكر للمرابطين.

لقد ارتفعت الروح المعنوية للأندلسيين وهبت عليهم رياح الوحدة فكان هذا إضافة إلى القوة الحربية التى ظهرت حين عبرت جيوش المرابطين وصاروا هم والأندلسيين جبهة إسلامية متحدة تقف صفاً واحداً في مواجهة الجبهة التى فاجأها الصورة الجديدة التى صار عليها المسلمون.

ولقد رأى النصارى المسلمين وقد اتحدوا بعد فرقة وتشتت لقد صار المسلمون قوة بعد ضعف ولقد دب الخوف فى أوصال الفونسو السادس،

فأسرع يرفع الحصار عن سرقسطه وبلنسيه وراح يصرخ ويستنجد بالكنيسه ويأوربا المسيحيه فاجتمع الفرسان من المسيحيين من كل ناحية من أوربا ومن قشتاله وأرغونه وجليقيه بنبلونه وليون. لقد حانت ساعة الصفر حيث بلغ الاستعداد في كلا المعسكرين الإسلامى والمسيحى الغاية استعداداً للمعركة الفاصلة.

معسكر الزلاقة:

بدأ تحرك القوات المرابطية من أشبيليه إلى بطليموس في الشمال الغربى استجابة لدعوة أميرها بطليموس بن الأفطس. كما تحركت قوات الفونسو إلى ناحية بطليموس، ثم أسرع متجهاً بجيوشه إلى قوريه ليسبق المسلمين إليها، ثم عادت قوات الفونسو تتقدم نحو قوات المسلمين فى فحص الزلاقة ويفصل بينهما نهر بطليوس.

وفي ١٣ رجب عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦ بدأ العدو بقيادة البرهانى بمهاجمة المعسكر الأندلسى، وأحدث ثغرة بالمعسكر، فأضعفهم، ولم تفدهم الفرقة المغربية التى يقودها داود بن عائشه، فأسرع إليهم سير بن أبي بكر يقود جنوده من زناته ومغراوة. وتشجع النصارى وتابعت قواتهم القوات الأندلسيه المنهزمة، تاركين مواقعهم الأصلية، وحينئذ أسرع يوسف بن تاشفين يقود جيش لمتونه وضرب معسكر النصارى وأحرقه فأحس النصارى بما جرى فى معسكرهم من جيش المرابطين. فلما أحس الأندلسيون بهزيمة جيش الفونسو أسرعوا يهاجمون فلول الجيش المنهزم فصار جيش المعسكر الأندلسى من خلف النصارى الفارين، والمرابطون من أمام فوقع جيش ألفونسو بين فكى كماشه صنعها لهم ابن تاشفين بدهائه وخبرته في القتال.

وظل القتال مستمراً بين المسلمين والنصارى فبعث ابن تاشفين بفرقة السودان المسلمين بمزاريق وسيوف الهند ودرق اللمط، فهاجمت النصارى واخترقت صفوفهم، فأسرع الفونسو منسحباً من ميدان المعركة غير عابئ بعساكره.

ويرجع أسباب نجاح المسلمين فى معركة الزلاقة ـ بالإضافة إلى براعة ابن تاشفين في خطط القتال ـ إلى الأسلوب الجديد الذى لم يألفه النصارى الذين اعتادوا في حروبهم مع المسلمين علي الأفراد من الفرسان المحصنين بدروع من حديد من الرأس إلى القدم، فواجهوا فى موقعة الزلاقه جيوش المرابطين تقف صفاً واحداً في المعركة يمتطون الإبل كأنهم بنيان مرصوص، وجنود مدربة تتحرك وكأنها جدار يصعب اختراقه، بالإضافة إلى فرق من المشاة السودان مسلحين بالسهام يلقون بسهامهم ورماحهم بنظام معلوم، فهم يطعنون خيول الأعداء بالرماح والسهام فتضطرب وتتشتت فى الميدان.

كذلك استخدم المرابطون فى الزلاقه الطبول التى لها رنين يوقع الرعب في قلوب الأعداء وتعلموها فى حروبهم مع الشعوب الزنجية فى أقصى الجنوب الأفريقى. وفوق كل ذلك الروح المعنوية التى تمنحها العقيدة الإسلامية للمجاهدين الذين يدخلون المعارك ويطلبون إما النصر أو الاستشهاد.

نتائج معركة الزلاقة:

أخلى النصارى بلنسيه ورفعوا الحصار عن سرقسطه ـ وفقدوا خمسة عشر ألفاً من خيرة جنودهم، وتوقف المسلمون عن دفع الجزية المذلة إلى النصارى بعد أن انهزموا فى معركة الزلاقه وصار المسلمون آمنين من اعتداءات المسيحيين وظل الجزء الشرقي من الأندلس مكشوفاً للأعداء، وارتفع نجم الدولة المرابطية وزعيمها يوسف بن تاشفين فى العالم الإسلامى.

عاد يوسف بن تاشفين إلى بلاد المغرب بعد أن حقق النصر على أعداء الإسلام ونشر الأمن في ربوع بلاد الأندلس. وترك جيشاً مرابطياً، بقيادة سير بن أبى بكر للمحافظة على سلامة الجبهة الإسلامية ومواصلة الجهاد وإرهاب الأعداء ولكنه يبدو أن الفونس السادس لم يستوعب الدرس الذى لقنه له ابن تاشفين فى الزلاقه فلم يلبث أن عاود الكره منتهزاً عودة ابن تاشفين إلى المغرب، وعاد الفونسو ليهدد أشبيليه من جديد واستمرت المعارك بين المرابطين والأسبان. وتكررت الانتصارات المرابطيه الإسلامية ضد الأسبان ثم اتحدت جميع بلاد المغرب وبسط المرابطون سلطانهم على صحارى الجنوب وامتد سلطانهم إلى غانه حتى السودان كما انضمت إليهم بلاد الأندلس.

ثم تطورت الأحوال بعد ذلك في الدولة المرابطية حين انغمس المرابطون في أنواع الترف والنعيم، فتبدلت طباعهم وفقدوا خشونة الجندية، وأخذت بزخارف المدنية فتفشى العصيان فى الجنود وضعفت الدولة المرابطية وانهارت.

وجاءت الدولة الموحدية فخلفت المرابطين فى حكم المغرب والأندلس وقامت هذه الدولة المغربية الموحدية على أساس دعوة دينية إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ظهور الدعوة الموحدية:

دولة الموحدين (٥٢٤ – ٦٨٨ هـ / ١١٣٠ – ١٢٧٠ م)

قامت دولة الموحدين لتحكم البلاد المغربية والأندلس بعد ما غاب سلطان دولة المرابطين وانزوى، أقام الدولة الموحدية الفقيه أبو عبد الله محمد بن تومرت من هرغة إحدى بطون مصموده بالمغرب الأقصى، في السفح

الجنوبى لجبال أطلس ، وفى السهول وتعرف بجبال درن، ولمصموده بطون أهمها هرغة وهنتانه وتينملل ودكاله وهيلانه. ويشكلون غالبية فى المغرب الأقصى. ولد ابن تومرت عام ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م لأسرة تعيش فى قرية من قرى هرغة على سفح جبل أجليز قضى حياته فى حفظ القرآن وحضر حلقات الدرس في بلدته ثم فى مراكش، وفى نحو العشرين من عمره رحل إلى الأندلس عام ٥٠٠هـ / ١١٠٧م ونزل قرطبه ثم اتجه إلى المشرق ونزل بالإسكندرية وتتلمذ على الطرطوشى، كما تتلمذ على غيره من الأندلسيين والمغاربة وكان منهج الطرطوشى هو الورع والتقوى والتمسك الشديد بأهداب الدين، ووسيلته هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى عنف وصرامه وقد أخذ تلاميده بهذا المنهج وهذه الوسيله وكان أثره فيهم قوياً وواضحاً.

نادى ابن تومرت بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأخرج من المدينة وركب البحر متجهاً إلى المغرب، وفى هذه الرحلة كسر جرات الخمر التى على السفينة، وعندما ارتفع الآذان للصلاة لم يجد من بينهم من يهتم بالتوجه لأداء الصلاة ودعاهم إلى الصلاة وهم ينظرون إليه ويهزون أكتافهم. ولما هبت عاصفة بحرية وارتبك ركاب البحر قام ابن تومرت يدعو فهدأت فكأن الله سبحانه وتعالى قد اسنجاب لهذا الرجل الصالح الدعاء وتمت الرحلة البحرية بسلام.

وابتدأ ابن تومرت وكأنه في نظر من حوله من الركاب ولياً صالحاً مستجاب الدعوة فكان إذا تكلم أصغوا إليه، وصار ملء العيون والأسماع ونزل فى طريقه بالمهدية وهناك أعاد الكره فكسر ماراه من آلات اللهو وأوانى الخمر. ثم لما اتجه غرباً إلى بلاد المغرب وكان قد ظهر له معجبون التفوا حوله وظلوا برفقته وقد اطمأنوا إليه.

ومن هؤلاء المريدين الحاج يوسف الدكالى والحاج عبد الرحمن أبو بكر الصنهاجي ويكني بالبيدق بمعنى الجندى في مباراة الرياضه الذهنية، وقد قام البيدق بتسجيل تحركات ابن تومرت الذى فيما كتبه عن أستاذه أن الطلبه المغاربة اجتمعوا عند ابن تومرت ليستمعوا إلى ما يلقى من دروس وعظات، وقد استعان في عظاته بأسلوب الترغيب والترهيب الذى جذب إليه الكثير من الشباب.

ولما انصرف ابن تومرت من تونس متجهاً إلى قسطنطينيه إلى بجايه عاصمة الدولة الحمادية وتقابل مدينتي تونس ومراكش فضلاً عن مرونة الحكام فى معاملة الأهالى بالرفق فى حدود الشريعة المحمدية.

جعل ابن تومرت مقامه في مسجد الريحانه وأخذ يعدو في أسواق المدينة كما فى المسجد يدعو الناس إلى اتباع السنه وغدم الخروج عنها، ثم اتجه إلى ملاّله واستقر فى زاوية بها واشتغل بالتدريس والعبادة، وينطلق أحياناً إلى الطريق متجهاً إلى شجرة خروب، يتأمل كيف يمكنه أن يهدى الضالين من أمة محمد إلى الرشاد، وقد كثر عدد المارقين غير الملتزمين وكان كأنه يقرأ الغيب وما تخبئ له الأيام من مستقبل باهر.

ثم ظهرت في حياة ابن تومرت شخصية أسطورية كما يروى البيذق، وهى شخصية عبد المؤمن حتى بلغ مبلغ الرجال وقد تلقى تعليمه فى تجرا، ثم ذهب إلى جامع تلمسان ليستكمل تعليمه، ثم عقد العزم على الرحيل إلى المشرق ليكمل تعليمه هناك ومات أبوه وتزوجت أمه ورافقه عمه للإتجاه إلى بجايه فى الاتجاه إلى المشرق، سار عبد المؤمن برفقة عمه إلى هدفه الذى حدده لنفسه.

ونزلا فى بلاد متيجة لأيام ثم واصلا الرحلة إلى بجاية فى مسجد

الريحانه ثم انحرف عن قصده واتجه إلى ملاله رغبة فى سماع أخبار الفقيه السوسى عالم المشرق والمغرب كما أطلق على ابن تومرت، فعبد المؤمن سمع وهو بالمسجد مناجاة المصلين يتكلمون عن الفقيه فأراد أن يستمع إليه وهو ما دفعه إلى أن يغير من خط سيره الذى كان قد عقد العزم على السير فيه، وقد سار عبد المؤمن وحده ثم تقابل التلميذ والأستاذ، عبد المؤمن وابن تومرت، وطلب ابن تومرت من عبد المؤمن أن يبقى بالمغرب ولا يبرحه ويتجه إلى المشرق قائلاً له: «العلم الذى تريده بالمشرق قد وجدته بالمغرب». ثم طلب منه أن يقيم معه ا لليل فى ملاّله، فلما كان منتصف الليل أطلع ابن تومرت عبد المؤمن بأن أمر الدين يقوم بعد المؤمن، سراج الموحدين، وأعطاه كتاباً يقرأه وتنبأ له ولأتباعه بالخير والبركة، والويل لمن خلفوه، ونصحه بكثرة الذكر فينال العصمة والأمان. وهكذا كشف ابن تومرت لعبد المؤمن عن الدور الذى سيقوم به ، وبقى عبد المؤمن شهوراً كثيرة فى ملاّله. وأخيراً أصدر ابن تومرت تعليماته بالرحيل. فانطلقت الطاقة المحمدية إلى طريقها المرسوم.

وفى عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م بلغ أتباع ابن تومرت أعداداً كبيرة، بايعته أنه المهدى، وأخذ ابن تومرت ينظم أتباعه فى طبقات، فأول طبقة أهل عشرة وهم صحابته ويليهم أهل خمسين، وسمى حفظة المذهب وفقهاءه الطلبه. أى الدعاة، وسمى أهل دعوته الموحدين، وأعد جيشاً (٤٠٠٠٠) أربعون ألف مقاتل من الموحدين وجعل عليه عبد المؤمن بن على.

توفى المهدى عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٨ م ثم أعلن أتباعه بعد موته البيعه لعبد المؤمن من كافة الموحدين في مدينة تينملل عام ٥٢٤هـ / ١١٢٩ م باسم خليفة ابن تومرت. ولم يلبث أن أبعد فى الغزوات فى منطقة تادله واستولى عام ٥٢٦هـ/ ١١٣١ على درعه وتسابق الناس فى المغرب الأقصى إلى دعوته.

عبد المؤمن بن على (٥٢٤ - ٥٥٨هـ / ١١٣٠ - ١١٦٣م)

تولى عبد المؤمن خلافة الدولة الموحدية وقضى على الدولة المرابطيه، وعمل على بسط سلطان الموحدين على بلاد المغرب واستولى الموحدون على تلمسان في عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م وتتابع سقوط المدن وكذا العاصمة مراكش، أما فى بلاد الأندلس فقد ظهر عصر الطوائف الثانى، وفى عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م استولى ريموند صاحب برشلونه على طرطوشه وعلى لارده وافراغه، وقاوم أهل بلنسيه ومرسيه الموحدين إلى عام ٥٦٨هـ / ١١٧٨م ثم أذعنوا للموحدين وخضعت للموحدين أشبيليه وغرناطه واسترد الموحدون المريه من الفونسو السادس وتوفى الفونسو حزيناً بعدها.

وفى ظروف مواتية حين ظهر الصراع بين القبائل العربية الهلالية ودولة بنى زيرى فى القيروان والقلعة مما أضعف الدولة وصار نفوذها إسمياً وهاجم النورمانديون بعض ثغور أفريقيا من صفاقس وسوسه إلى المهدية. واستقل بعض شيوخ القبائل ببعض النواحى ثم هاجمت جيوش الموحدين المغرب الأوسط بقيادة عبد المؤمن بن على فى عام ٥٤١هـ / ١١٤٦م فقابله عرب الأثبج وجشم وأعلنوا ولاءهم فعقد لأبى الخليل بن كسلان شيخ الأثبج ولحباس بن مشيغر شيخ عرب جشم واستولى على بجايه ثم اتجه إلى أفريقيا. وفى أفريقيا تحالفت صنهاجه مع جيرانهم وقاموا بالهجوم على منطقة باجه واستولوا عليها.

فبعث إليهم عبد المؤمن بجيش يقوده عبد الله بن عبد المؤمن بلغ ثلاثين ألف مقاتل.

وفى عام ٥٤٧هـ / ١١٥٢م تقابل الموحدون والعرب في ناحية سطيف وظلت الحرب أربعة أيام انتهت بهزيمة العرب وسقوط أموالهم وأولادهم

ونسائهم غنيمة للموحدين وبعث عبد المؤمن بنساء العرب وأولادهم إلى مراكش في الحفظ والأمان وفى رعاية الموحدين وعنايتهم واجتمع أمراء العرب واتجهوا إلى عبد المؤمن بمراكش، فرحب بهم وأعاد عبد المؤمن نساءهم وأولادهم ليضمهم إلى صفه، ورجعوا جميعاً لبلادهم سالمين.

وفى عام ٥٥٣هـ / ١١٣٨م هاجم الموحدون المهدية ثم عملوا على تصفية الإمارات العربية التى خرجت على بنى زيرى واستولوا عليها جميعها وخضعت لهم كل أفريقيا واستولوا من النورمان على كل ما كان بأيديهم من مدن الساحل فى طرابلس بأفريقيا وأصبح سلطان الموحدين يمتد من برقه، حتى تلمسان فى المغرب الأقصى ولما حاول عبد المؤمن ضم العرب الهلالية لم يجد الحماس منهم فأخذ منهم ألفاً من كل قبيله ونقلهم إلى المغرب لإضعاف شوكتهم فى أفريقيا، وللاستعانة بهم فى حروبه ضد الفرنجه فى بلاد الأندلس.

وهكذا استطاع عبد المؤمن أن يوطد عرشه بالجنوب بعد أن هزم الخارجين عليه. وصارت دولة الموحدين من الشرق إلى ماوراء ا لقيروان وبلغ اتساع دولة الموحدين إلى أبعد مدى فصارت تحدها من الجنوب الصحراء الكبرى ومن الغرب المحيط الأطلنطى ومن الشرق لوبية ومن الشمال البحر المتوسط والبلاد الأندلسية. كما بعث عبد المؤمن بولده أبى يعقوب يوسف إلى الأندلس.

ويدأ عبد المؤمن فى تنظيم دولة الموحدين فألغى النظم الحربية المرابطية العسكرية لصرامتها الشديدة وأطلق حرية الفكر للعلماء وجعل مراكش عاصمة لدولته وأقام بها المساجد وأغدق عليها حتى صارت مراكز للعلوم والمعارف ونظم الإدارة وعلوم الدين. واهتم عبد المؤمن بلقاء الطلبة ومتابعتهم

بنفسه فيما تلقوه ويشجعهم ويثير فيهم الرغبة فى خير الناس وحبهم وكذلك اهتم بنشاطهم الحربى فى المبارزة والفروسية والسباحة وكان يدربهم فى بحيرة بجوار قصره - ويتابعهم - على أساليب القتال فى البحر وشئونه ويثير فيهم الحماس بتقديم الجوائز للمتفوقين منهم.

وأسند عبد المؤمن إلى هؤلاء مناصب الدولة الهامة وأنشأ لهم نظاماً جديداً، حاز عنده الثقة ووطد بهم سلطانه وجعله ملكا وراثياً لأسرته وجمع أولاده ومشايخ القبائل من جميع الأنحاء وعقد معهم مجلسا فى عام ٥٤٩هـ / ١١٥١م ثم أسند فيه ولاية العهد لولده الأكبر محمد وذكر اسمه فى خطبة الجمعة ثم عين بقية أولاده على بعض الولايات وجعلها وراثية فى عقبهم وعين مع كل واحد حاكماً واثنين من الكتبة، أما ولده أبو يعقوب يوسف فعين معه أبا زيد بن بكيت، واختار أبا حفص لولاية سبته وطنجه، وبعض ثغور الأندلس وعين أبا محمد عبد الله لولاية بجايه وأبا الحسن لولاية فاس وأبا يعقوب يوسف لولاية الأندلس وأشبيليه وما إليها من المناطق.

هذا وقد احتفظ عبد المؤمن لنفسه بالقيادة العليا ليحول بين الطغاة من التفرد بالشعب ومع ذلك فقد وقعت مخالفات من بعض الحكام ولم يكن بوسع عبد المؤمن التصرف فيها حيث كانت تصله أخبارها بعد وقوعها، ولكنه كان يوقع العقاب بمن أساء التصرف فيها ، واتبع عبد المؤمن سياسة الرفق وحرية الرأى وسمح بتداول الكتب التى حظر كتابتها أو نشرها، وحتى الكتب المعارضة سمح بتداولها والرد عليها فى نفس الوقت. كما اهتم عبد المؤمن بتنظيم شئون الحرب والجهاد في حروبه مع النورمان وحين استيلائه على تونس والمهدية وطردهم منها.

بلغ عدد الجيش الموحدى فى إحدى معاركه ضد النورمان ستين ألفاً من

المشاة فضلاً عن الفرسان وقسم الجيش إلى أربعة أقسام يفصل بعضها عن بعض أثناء السير مسيرة يوم، ويبدأ الجيش سيره بعد صلاة الصبح قبيل شروق الشمس وحتى الظهر ويبدأ السير بعد ثلاث قرعات من طبل ضخم من خشب رنان يسمع من مسيره يوم، وكل قبيلة تحت علمها الخاص ثم يتوقف الجيش استعداداً للسير في اليوم التالى، وذلك لتنظيم تموين الجيش ولإمكان التصرف والسيطرة على الجنود. ويحمل العتاد من خيام وخلافه على ظهور الجمال والدواب. ويقود الرعاة قطعان من الثيران والأغنام لحاجة الجند إلى الطعام.

ويحيط بعبد المؤمن بعض أولاده والشيوخ والقادة وهم فوق ظهور جيادهم ومسلحون، وجماعات الموسيقى العسكرية والولاة والقضاه والوزراء والكتاب ثم يأتى الجند. ولكل مكانه ولا يجوز لأحد مغادرة المعسكر دون إذن من القائد ثم توزع الأقوات بالتساوى بين الجميع. واهتم عبد المؤمن بالمشاه المدربة المسلحة أكثر من الفرسان إذ أن قوات المشاه هى التى تحسم المعركة.

كما اهتم عبد المؤمن بجمع الضرائب من المدن فجمع المعلومات من سكان كل مدينة وثرواتها وغلاتها لإمكان تحديد ما يقدر عليها من ضرائب. فالثغور تقدم التجارة والسفن، والصحراوية تقدم الفرسان والخيل والحمير والجمال، ويقدم البعض الآخر الجند والمشاة وأنواع الأسلحة. ومن تقع عليه عقوبة بسبب ما يفرض عليه ضعف ما هو مطلوب عادة. كما أنشأ عبد المؤمن مصانع السلاح، فصنع القسى والنشاب والخوذات والدروع والهام وغيرها من أنواع الأسلحة الأخرى، وخصص المخازن لحفظ السلاح لحين الحاجة إليه. ثم بعث عبد المؤمن بولده يوسف إلى الأندلس فى جماعة من كبار قادته ليعملوا تحت قيادة أبى يعقوب.

ولما انتهي في عام ٥٥٥هـ / ١١٦٠م من طرد النوماندیین من جميع أراضى أفريقيا، أعد نفسه للاتجاه إلى الأندلس فاتجه إلى طنجه ماراً بوهران، وفى وهران دبر بعض قواده المقربين مؤامرة ضده بقصد التخلص منه حيث سئموا من الحروب وتاقوا الرؤية لأهليهم وأبلغ رجل مخلص عبد المؤمن بالمؤامرة وتبادل الرجلان كل مكان الآخر فحل الرجل مكان عبد المؤمن وذهب عبد المؤمن مكان الرجل ونفذت المؤامرة فقتل الرجل بالخناجر على ظن أنه عبد المؤمن ونجا عبد المؤمن، ولكنه انتقم من الخونه بطريقته الخاصة بحيث لم يشأ أن يحدث بلبلة فى صفوف القيادة فتخلص من المتآمرين بغير ضجة وإنما فى الخفاء. واحتفى عبد المؤمن بالشهيد الذى ضحى بنفسه حماية للزعيم الموحدى وبنى مزاراً دفن فيه الشهيد.

وفى عام ٥٥٦هـ / ١١٦١م عبر عبد المؤمن إلى الأندلس ونزل جبل طارق وأنشأ به حصناً وسماه جبل الفتح وأقام بالحصن شهرين وقدم عليه خلالها كبار رجال الأندلس لتحيته. وبدأ المسلمون بقيادة عبد المؤمن بالاستعداد لقتال النصارى، وقدم عبد المؤمن ثمانية عشر ألف فارس. صاروا على ضفاف وادى آنه غربى الأندلس. وفى هذه السنة ٥٥٦هـ / ١١٦١م فتح المسلمون حصناً من حصون بطليموس وقتلوا حاميته، واشتبكوا مع الفونس ملك طليله في موقعة فقد فيها النصارى ستة آلاف قتيل غير الأسرى ثم فتح المسلمون بطليوس وباجه وغيرها ثم عين محمد بن الحاج والياً على هذه الولاية الجديدة وعاد بعدها عبد المؤمن إلى العاصمة مراكش.

وفى عام ٥٥٧هـ / ١١٦٢م قامت معركة بين ابن سعد والموحدين، وقد أعد كل منهما عدته للمعركة إعداداً جيداً والتقت جيوشها غرب غرناطه وتمكن الموحدون من إننزال هزيمة ساحة ساحقة بابن سعد وأنصاره من بقايا المرابطين ومن النصارى، ثم قامت معركة ثانية بين الفريقين فى فحص

قرطبه في نفس العام وأوقع الموحدون بابن سعد أفدح الخسائر. ثم قام عبد المؤمن بإعداد جيش ضخم مكون من ثلاثمائة ألف فارس وحشد أسطولاً ضخماً من أربعمائة سفينة كبيرة، جهزت في الثغور المغربية لتعاون في الأعمال الحربية.

وفي عام ٥٥٨هـ / ١١٦٣م توفي عبد المؤمن وهو في الثالثة والستين. وحكم ثلاث وثلاثين سنة وأخفى خبر وفاته حتى دخل يوسف إلى المغرب قادماً من أشبيليه وازدهرت العلوم والفنون في عهد عبد المؤمن الذي اشتهر بغزارة علمه وفصاحته وحقق أهدافه بأقرب مما يتصور فقد كان موفقاً في اختيار رجاله فضلاً عن شجاعته وبعد نظره وكان حاضر البديهة يتحمل المشاق والشدائد بروح عاليه، يميل إلى الزهد والتقشف غايته الجهاد ضد أعداء الإسلام، وخلف امبراطورية تمتد من المحيط إلى غرب حدود مصر، ومن الصحراء الكبري إلى بلاد الأندلس.

فتح عبد المؤمن هذه البلاد خلال عشرين عاماً بعد استيلائه على مراكش، وتولى بعده حكم البلاد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن.

استمرت انتصارات الدولة الموحدية في صراعها ضد الأعداء، حتى تبدلت الأحوال بعد ذلك عندما قامت وتكررت الثورات ضد الحكام فضاعت هيبتهم وأسقطت القلاع والحصون في يد النصارى حين فقد المسلمون الشجاعة والفروسية حتى أكل الفساد هممهم، وفترت عزيمتهم. بينما اتحدت قشتاله وليون في مملكة واحدة فكان ذلك أعظم حادث في تاريخ أسبانيا في القرن السابع الهجري / ١٣م وكان إيذاناً بإتمام انحلال سيادة المسلمين في أسبانيا، والحجر الأساسي للفتوحات التي قام بها فرديناند في الأندلس.

مرين وتوالى ضعف الدولة الموحدية التى ضعفت ضعفاً شديداً فقضت عليها الدولة المرينية واستولوا على مدينة فاس بالمغرب كما قامت على أنقاض الدولة الموحدية الدولة الحفصية في تونس عام ٦٢٧هـ / ١٢٣٠م وهى فرع لدولة الموحدين وامتداد لها، ومملكة غرناطه وهى آخر ما تبقى للمسلمين من ممتلكات فى أسبانيا وقد استقل بها بنو الأحمر وأبو نصر عام ٦٣٥ هـ / ١٢٣٨م. ولم تعترف هذه الدول ببعضها البعض بالاستقلال فاستمرت الحروب فيما بينهم وربما وقعت الحرب بين الأمراء المرشحين للملك للدولة الواحدة، ولتقارب القوى الحربية والسياسية لكل منهم لم ينحسم النزا ع.

ونظراً لاعتماد تلك الدول على مساندة العرب فى وقت الحرب فقد خصصوا المزايا والهدايا للعرب أما فى وقت السلم فيجرد حكام تلك الدول العرب من المزايا التى خصصت لهم فى وقت الحرب مما ترتب عليه ثورات العرب ضد تلك الدول حتى ساد الضعف واضطرب الأمن وقل الإنتاج واستحكمت العداوة بين القبائل ا لعربية مما أدى فى النهاية إلى طمع مسيحى أسبانيا ـ بعد أن تمكنوا من طر المسلمين من الأندلس ـ فى امتلاك المغرب.

ممالك غينيا

ممالك غينيا

بعد ظهور البرتغاليين عقب الحركة البحرية واكتشاف رأس الرجاء الصالح منذ أوائل القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى، بدأ الأوربيون يهتمون بهذه المناطق، ولكنهم لم يتمكنوا من التوغل إلى داخل ممالك غانا القديمة ومالي والذى يمثل النصف الجنوبى الغابى لغرب أفريقيا حتى ا لقرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى.

وقد تأثرت المجتمعات الزنجية فى السودان الغربى والأوسط بمؤثرات جاءتها من الشرق من وادى النيل من منطقة فسيحة من الأرض تصل مساحتها إلى ثلاثين ألف متر مربع بين خطى الطول الشرقيين ٢٩، ٣٠ درجة وبين خطى العرض الشماليين ١٠، ٢٠ درجة، وتكون الجبال طابعاً منكسراً لسلاسل جبلية طويلة من الصخور الخشنه غير المستوية السطح، وتصل بوديان فسيحة وسهول ممتدة والمنطقة الجبلية جيدة المياه من الآبار والحفر.

يوجد الماء فى السفوح الأمامية، وتمتلئ المنطقة المحيطة بها بالرغم من أن الإكثار من الزراعة على المنحدرات قد أدت إلى انتزا ع الغابات المجاورة لأماكن الإقامة، وهذا هو الطابع الجغرافي المميز.

وسكان الجبال الذين يصل عددهم إلى نحو مليون ليسوا أقل من المنطقة التى يعيشون فيها تميزاً لهم عن غيرهم، ويضع بعض علماء الأنثربولوچى سكان جبال النوبا مع كل مجموعات الجبال فى مديرية الفنج كوحدة جنسية جزءية، أى كوحدة من السلالات التى تمتد إلى دارفور بل وإلى ماوراء هذا فى نيجيريا وساحل الذهب (غانا). وتدين هذه المجتمعات الزنجية لأوائل

النازحين من وادى النيل الذين جلبوا معهم مظاهر الحضارة والفن. وهؤلاء النازحون هم الذين أسسوا ممالك كاكنم وبورنو والهوسا الذين بفضلهم تمدين السكان، بدليل ما ظهر من الفن النيجيري وثقافته. ففى الإقليم النيجيرى في جنوب غرب بحيرة تشاد كانت مجالات الزراعة والفخار وأعمال المعادن على درجة عالية من الرقى، كما أن فنون النحت تشير إلى بقايا الفترة التى عاشتها حضارة النوك فى الإقليم شبه الصحراوى فى أفريقيا خلال الألف السابقة للميلاد.

لقد عرف شعب النوك فن سبك المعادن مما يؤكد نفوذ وادى النيل وأثره الكبير فضلاً عن الأفكار السياسية التى عرفتها المنطقة منذ البداية وإلى العرب يرجع أصل (الأكان) أحد شعوب غانا إلى الشمال إلى أعالى النيجر، وربما كانت فكرة الممالك الشوانية هنا قد ظهرت مباشرة عن طريق المصادر الشرقية إلا أنها ربما ظهرت أيضاً بصورة غير مباشرة فى الممالك السودانية التى سادت السودان الغربى، وحتى هنا فقد خضع ا لسودان لنفس المؤثرات التى خضعت لها ممالك الشمال.

ويبدو أن مهارة الزنوج فى الزراعة وما تبع ذلك من نجاح أحرزوه فى إقامة دولة مستقره قادرة على التحكم فى تجارة مساحة واسعة قد أدى إلى زيادة سكانية فى نطاق السافانا، حيث تسود السافانا فى الأقاليم المدارية التى تتعرض لفصل جفاف طويل فى الشتاء وفصل ممطر فى الصيف، وتزداد كثافةالسافانا بالقرب من الغابات المطيرة. وفى غرب أفريقيا تعرض الغطاء النباتى فى كثير من المناطق للتغير نتيجة للتدخل البشرى فى استمرار إزالته لممارسة الزراعة، وكانت الزيادة السكانية مسئولة عن طرد جماعات من السكان فى صورة تيار منتظم يتسرب إلى

نطاق الغابات المجاور، ولم يكن من الممكن احتلال نطاق الغابات بمثل الكثافة السكانية العالية في النطاق الزنجي الأفريقيى خاصة فى المنطقة المحصورة بين الكمرون وبين شرق ساحل العاج، وتعد الكمرون همزة وصل بين وسط أفريقيا وغربها. وتتميز بثلاثة أقاليم هى المرتفعات الغربية، وتعرف بجبال الكمرون والهضاب الوسطى فى منطقة تقسيم المياه والأحواض الساحلية. وهى مراكز عمرانية وأهمها ميناء الكمرون. أما ساحل العاج فبالرغم مما بها من موارد اقتصادية إلا أن ظروفها الطبيعية خاصة غطاء الغابات الكثيفة أعاقت تنميتها وأخرت تطورها إلا أنه أمكن التغلب عليها فيما بعد بمد الخطوط الحديدية بين الغابات، وكذلك إنشاء القنوات وترتب على ذلك إنشاء كثير من الصناعات، مما جعل من أبيدجان العاصمة مركزاً يجمع عدة طرق برية وحديدية، تصلها ببقية دول غرب أفريقيا بخطوط طيران مباشرة.

وقد زادت الكثافة السكانية فى المنطقة المحصورة بين الكمرون وبين ساحل العاج فى استجلاب نباتات صالحة للغذاء من جنوب شرق آسيا ومن غيرها من المناطق الأخرى من العالم. مما شكل أعظم قدر من الحاصلات الزراعية فى إقليم الغابات فى غرب أفريقيا الزراعى حالياً.

وقد كان التسلل من نطاق السودان فى جماعات صغيرة ثم بدأت تزداد وتقوى عن طريق الممالك السودانية التى استطاعت أن تتقدم كثيراً بحيث كان الغطاء الغابى على قدر يسير من الكثافة والازدحام.

ومعظم شعوب الممالك الأولى التى عرفت هنا مثل الأكان واليوريا والذين يمكن اعتبارهم من سكان *الغابات* الحقيقيين، وقد نشأوا أصلاً إما فى شمال نطاق الغابات الحقيقى وإما عند الهوامش الشمالية له. ولقد كانت

بونو وباندا تمثلان البذور الأولى لمالك الأكان التى قامت فى نطاق السافانا الشجرية شمال غابات ساحل الذهب فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى وكان أول امتداد لشعب الأكان فى اتجاه الجنوب من هذا الإقليم، وقد وصل إلى وادى نهر الفولتا، الذى مهد لهم سبيل الوصول إلى أضيق منطقة غابية على الساحل العشبى متجنبين فى ذلك المسار نطاق الغابات بقدر استطاعتهم ولم تكن هذه الغابات قد اخترقت اختراقاً مباشراً لأى مسافة كبيرة حتى حوالي القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى. ويبدو أن منطقة إيفى كانت تمثل النقطة التى التقى عندها شعوب ممالك اليوربا وأسرة بنين ذات التاريخ العريق وكانت تقع فى نطاق نيجيريا الغابى عند حافته الشمالية، ولقد كانت الأويو إحدى ممالك اليوروبا التى سادت المسرح السياسى فى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى حتى بلغت قمة التنظيم السياسى قد اتخذت مركزاً لها إلى الشمال من نطاق الغابات. وكما كانت ممالك السودان تعتمد على الفرسان كانت هذه المملكة أيضاً، وإن كان ذلك لايصلح لحرب الغابات إلا أن الخيول كانت تمثل رمزاً دينياً لقوة بنين التى تبعد عاصمتها بعداً كبيراً عن نطاق السافانا داخل الغابة.

ويمكن اعتبار هذا دليلاً على أن مشيدى هذه الممالك لم يكونوا أصليين فى المنطقة. وإنما وفدوا إليها من نطاق السافانا، كما أن تراث بنين الأصليه يدل على أن الأسرة الحاكمة قد جاءت نازحة من آيف قبل مجئ البرتغال بثلاثة قرون.

ويشترك السودان الغربى والأوسط مع ممالك غينيا فى أن كلا منهما يتميز بانتشار العمران فى أرجائه المختلفة خاصة فى الشرق. فعلى الرغم

من أن نظامها الاقتصادى يعتمد على الزراعة إلا أنه توجد هناك مجتمعات سكنية يعيش فيها السكان حول منازل ملوكهم ورؤسائهم يحمون حقوقهم من أى غزو مفاجئ قد يباغتهم به عدو فى النهار أو فى الليل. وتختلف هذه المجموعات السكنية في حجمها من القرى البسيطة التى تتمثل فى مجموعة مترابطة بينهم صلة قرابة إلى المدن الكبيرة التى يسكنها سادة القوم من أنساب مختلفة متخذين مناطق سكناهم حول قصر الملك، وتجاورهم مساكن الغرباء الذين يفدون إلى المنطقة من خارجها وفى الممالك الشرقية خاصة عند اليوروبا، تشابه الأنماط الجغرافية مثيلتها عند ممالك الهاوسا بعيداً عن الشمال.

وقبائل الهاوسا من القبائل التى اعتنقت الإسلام، وكان لاعتناق قبائل الهاوسا هى وقبائل الفولانى ـ هما من القبائل الرئيسية فى الشمال ـ الأثر الأكبر فى حماية شمال نيجيريا من التغلغل الاستعمارى، وحفظ لهذه المنطقة عاداتها وتقاليدها فى نفس الوقت الذى امد الإسلام سكان هذه المناطق بحماس شديد للدفاع عن حريتهم والقتال فى سبيل كرامتهم. وممن له الفضل فى نشر الإسلام فى تلك المناطق بصورة واسعة.

السلطان رابح فضل الله ، الذي كان يحكم برنو وملحقاتها وكان دور عنيف فى قتال الفرنسيين فى السودان الغربى خلد إسمه من أجل الدفاع عن حق الحرية ومن أجل حماية ممتلكاته.

وكانت كل مملكة من هذه الممالك تلتف حول نواة تتمثل في مدينة مسورة بجدار كبير تلتف حول مساحة واسعة تكفي لإيواء السكان، وتكفى مواردهم الغذائية فى حالات الطوارئ. وكانتمعظم مدن غينيا هذه تقع بعيداً عن المناطق التى طرقها الأوربيون حتى القرن الثالث عشر الهجرى /

التاسع عشر الميلادي، ويخرج من هذه القاعدة بنين (داهومى) فهى الوحيدة التى طرقها الأوربيون خلال أسفارهم وكشوفهم فى القرن الحادى عشر هـ / ١٦ - ١٧ م فقد شهدت بنين تاريخاً مسيئاً في فترة تجارة الرقيق البرتغالية حيث ابتليت بهذه التجارة البشرية، وقد كان أهم طريقين لوصول مختلف المؤثرات من السودان إلى الجنوب فى خلال العصور التاريخيه مطابقان أهم نظامين من نظم التجارة التى تربط السودان بغينيا. فمعظم تجار الشرق كانوا من ممالك الهوسا الذين ولوا جهودهم شطر الجنوب الغربى عن طريق اليوروبا، وكان ينتشر فى النصف الغربى من غرب أفريقيا من جهة أخرى تجار الماندى. وكان كلا هذين النظامين من التجارة يلقى الآخر عند حافة النطاق الغابى إلى الشمال من ساحل العاج ، وقد تأثرت هذه النظم عن طريق العمل فى التجارة بهذا الأقليم ، إن تجار الماندى كانوا قد عرفوا فعلا بونو وزاروها وكان ذلك فى بادئ الأمر من أجل الحصول على الذهب فى منتصف القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى.

على أنه قبل ظهور الأوربيون في المنطقة كانت توجد شبكة من طرق التجارة تربط كل المدن والقرى فى جميع أجزاء غرب أفريقيا فيما بين الساحل والصحراء الكبرى وكان التبادل التجارى بين مناطق الماندى والهوسا واليوربا له طابع العالمية.

على أن الممالك السودانية قد تطورت فى الفترات السابقة على اتجاهها إلى الجنوب فتجار الهوسا والماندى هم أول من اتجه إلى الجنوب لتصريف سلع الشمال عبر الصحراء الكبرى وقد جلبت هذه التجارة لهم الرخاء، وتوطدت العلاقات التجارية بممارسة تجار السودان نشاطهم فى غينيا وقد اتجهت ممالك غينيا كذلك إلى التجارة للاستفادة المادية الكبيرة منها.

وكذلك راجت تجارة الملح الذى كان يأتي من الشمال عن طريق الصحراء الكبرى عبر السودان، وكانت أهم مصادر غينيا تتمثل فى تبر الذهب الذى وصل إلى السودان ثم إلى البحر المتوسط عن طريق ساحل الذهب (غانا) ومن قبلهم عمال وانجارا وثمار الكولا التى وصلت إلى السودان من المغرب. وقد صار العاج عنصراً مهماً بعد تصديره إلى أوربا. وكان يصل من الشمال والخرز والحلى وبعض السلع المعدنية مثل السيوف والمعادن النادرة كالنحاس وسبائكه والأقمشة والأصواف والخيول والماشية.

وكانت اليوروبا من الجماعات التى تنسج الأقمشة واليوربا من المجموعات القبلية الكبيرة وقد أخذت من الأوربيين الكثير من عاداتهم وحضارتهم ويعتنق الكثير من أفرادها المسيحيه واشتغل اليوربا بالزراعة كعمل أساسى لها. كما عرفت غينيا تجارة الرقيق الذين عملوا بالزراعة للملوك وغيرهم من الطبقات الممتازة من الشعب. وكان عمال القوافل أيضاً من العبيد، ومعظم هؤلاء العبيد كانوا من جنوب السودان، وقد ازدادت واتسعت حاجة الأوربيون للرقيق من ساحل غينيا خلال ا لقرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى.

وقد امتلأت غينيا فى أسواقها بالأقمشة المستوردة من مراكش، تلك التى أقبل عليها الوطنيون وقد أقامت غينيا علاقات تجارية مع المدنية الإسلامية فى السودان وفى شمال أفريقيا، وعندما قدم الأوربيون إلى ساحل غينيا لغ نشاطهم التجارى الغاية، لقد كان دخول التجارة العالمية إلى غرب أفريقيا من الجنوب له دور مؤثر بالنسبة لاقتصاديات المنطقة والتوازن القوى بين ممالكها.

جنوب أفريقيا :

تمتد أفريقيا الجنوبية إلى الجنوب من نهرى كونين واللمبوبو، وتتكون من خمس وحدات سياسية تختلف من حيث المساحة والسكان ويحظى هذا الأقليم بأهمية كبيرة على مستوى القارة فهو يضم أكبر تجمع للأوربيين فى أفريقيا حيث بدأوا استيطانه مبكراً منذ القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى، وظلت هذه العناصر البيضاء تسيطر على جمهورية جنوب أفريقيا وناميبيا رغم أنهم يمثلون أقلية من السكان.

ويتميز هذا الإ قليم بثرائه خاصة دولة جنوب أفريقيا من حيث أنها أغنى دول القارة وأكثرها تقدما فى التعدين والصناعة.

وتتكون أفريقيا الجنوبية من خمس وحدات سياسية هى : ناميبيا وبتسوانا ، وليسوتو، وسوازيلاند ودولة جنوب أفريقيا. وقد بدأت أولى خطوات الاستيطان الأوربى فى كيب تاون عاصمة مقاطعة الكاب فى عام ١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م.

بدأت أولى خطوات الاستيطان الأوربى على يد مجموعة من المستوطنين أوفدتهم شركة الهند الشرقية الهولندية لتأسيس محطة لإمداد وتموين السفن التجارية فى الطريق إلى الهند الشرقية، ثم استمر تدفق المستوطنين من هولنده وفرنسا وألمانيا، واتسعت مناطق استيطانهم نحو الشمال والشرق على امتداد المناطق الساحلية والداخلية ثم احتلت بريطانيا منطقة كيب تاون عام ١٢٠١هـ / ١٧٩٥م فتحول البوير وهم المستوطنون الهولنديون إلى الاتجاه إلى الداخل واحتلوا الأجزاء الشرقية من هضبة جنوب أفريقيا منذ الثلاثينات من القرن الثانى عشر هـ / الثامن عشر م وأسسوا مقاطعتى أوانج الحرة والترنسفال.

وفى عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م وفدت مجموعة من المستوطنين للاستيطان فى المناطق الزراعية على امتداد الحدود الشرقية لمستعمرة الكاب واستوطنوها كذلك أقليم البانى وجعلوا عاصمتهم مدينة جراهامزتون، ثم استوطنت مجموعة بريطانية أخرى ناتال. ولما اكتشف الذهب فى الترانسفال والماس فى كمبرلى فى عامى ١٢٨٤، ١٢٨٧هـ / ١٨٦٧، ١٨٧٠م قدمت أعداد كبيرة من المهاجرين الإنجليز وتزايدت أعداد المهاجرين من الإنجليز، وامتد نفوذهم فى الداخل فوقعت الحرب بين البوير (الهولنديين) والإنجليز فى ١٣١٧ - ١٣٢٠هـ / ١٨٩٩ - ١٩٠٢م وانتصر فيها الإنجليز.

وفى عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م أعلن اتحاد جنوب أفريقيا تحت التاج البريطانى، وفى عام ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ انسحب الاتحاد من الكومنولث البريطانى وأعلن قيام جمهورية جنوب أفريقيا. وهكذا صار الجنوب الأفريقى يسكنه جماعة البوير الهولنديون ولغتهم الأفريكانز والبريطانيون ولغتهم الإنجليزية واللغتان وهم الأفريكانز وهى مشتقة من الهولندية القديمة واللغة الإنجليزية معترف بهما لغة رسمية للبلاد.

والسكان الأصليون وهم زنوج البانتو الجنوبيين وأهم قبائلهم الزولو والإكوزا والسوتو والنوانا وهؤلاء صلتهم قليلة بالمستوطنين الأوربيين، كما أن الهتنتوت على علاقة بهولندى الكاب ولكن لم يندمجا معاً، ولذلك لجأ الهولنديون إلى جلب الرقيق من غرب أفريقيا ومن الملايو . وقد شكلت تلك الجماعات معاً ما عرف فى منطقة الكاب بالملوني. ثم دب خلاف بين السكان الأصليين والمستوطنين الهولنديين فاضطر غالبية السكان الهتنتوت إلى اللجوء إلى صحراء كالهارى وناميبيا.

والآسيويون وهم أحفاد العمال والهنود الذين جلبوا للعمل من بلادهم في الفترة ما بين النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادي وبداية القرن الرابع عشر الهجرى/ العشرين الميلادي.

ويعيش الأوربيون الإنجليز في غالبيتهم في المدن، بينما البوير يعيشون في المناطق الريفيه. أما السكان الأصليون وهم البانتو فيعيشون في النصف الشرقي من البلاد في معازل البانتو في منطقة تبدو على شكل حدوة حصان وتمتد عبر ناتال والترنسفال وفي الكاب الشمالية.

ويعيش معظم السكان الملونين في النصف الغربي من البلاد رغم أنه قليل السكان، حيث يمارسون العمل في المزارع والتعدين تماماً كما يعمل البانتو في الأقاليم الشرقية . أما الآسيويون فيتركزون في ناتال حيث مازال يعمل قطاع كبير من الهنود في مزارع القصب العلمية وفي بعض الحرف الأخرى، وقد أصبح معظم الهنود من التجار يعيشون في رضاء.

شرق وشمال شرق أفريقيا خلال العصور الحديثة والوسطى

شرق وشمال شرق أفريقيا
خلال العصور الحديثة والوسطى

انتشر الإسلام فى شرق وشمال شرق أفريقيا بفضل جماعة من التجار المسلمين الذين استقر بعضهم فى الأجزاء الساحلية خاصة فى الموانى، واستولوا على ميناء مصوع وجزر دهلك المجاورة، ففى القرن التاسع والعاشر هـ / الخامس عشر والسادس عشر م كانت الحبشة تسيطر على معظم ساحل البحر الأحمر المقابل لليمن وامتدت سيطرتها على شواطئ خليج عدن، وحتى زيلع على الساحل الشمالى للصومال.

وكان المسلمون على وفاق مع الحبشة المسيحية، وكان لظهور المسلمين فى تلك البقعة من القارة الأفريقية، أثر فى إضعاف العلاقات القائمة بين الحبشة والأمبراطورية البيزنطية مما ترتب عليه اشتغال الحبشة بتجارة العرب والمسلمين، كما كان المصريون على وفاق مع العرب والمسلمين وقد تبعهم فى ذلك الحبشة خاصة وأن كنيسة الحبشة كانت تتبع الكنيسة المصرية التى تدين بالمذهب اليعقوبى (الطبيعة الواحدة الذى لم يقبل به مجمع خلقدونه عام ٤٥١م)

على أن الخطر الذى واجهته الحبشة جاءها من وثنى الجنوب الذين هاجموا الحبشة وأحدثوا بمدنها خسائر فادحة. فقد هاجمتها دولة أجاو الوثنية التى فى منطقة داموت على النيل الأزرق. ثم استردت الحبشة مكانتها عندما هاجمت الوثنيين وطردتهم من بلادها واستطاعت الحبشة أن تمد حدودها السياسية شمالاً لتضم مقاطعات أمهره ولاستا وجوجام وداموت ثم جعلوا من أمهرة فى ا لجنوب مركزاً لملكة الحبشة بدلاً من تيجرد الشمالية.

ومنذ بداية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادى ظهرت عدة دول إسلامية بدءاً من ميناء زيلع وفى اتجاه الشمال مع طريق التجارة الطبيعى نهر هواش نحو شوا الجنوبية إلى أديس أبابا. وكان يحكم هذه الدول سلالة صومالية الأصل تشتغل بتجارة الرقيق والعاج والذهب مع الوثنيين والدول المسيحية. وقد امتد النشاط التجارى إلى سودان وادى النيل وأوغندا شمال كينيا.

ثم تطورت الأحوال بين الحبشة والممالك الإسلامية فى المنطقة إلى حركة عدائية، فغلبت فيها الحبشة أولاً، إلا أن قادة المسلمين الذين تراجعوا منسحبين حتى وصلوا إلى اليمن استطاعوا أن يجمعوا شتاتهم ويستردوا قوتهم، ليعودوا إلى الجزء الشرقى القصى من الساحل الصومالى، ليبدأوا فى إنشاء أول دولة إسلامية أطلق عليها «دولة عادل» وفى أوائل القرن العاشر هـ / السادس عر م ظهر العثمانيون الذين فتحوا مصر ثم واصلوا سيرهم جنوباً إلى البحر الأحمر وصاروا قوة للمسلمين فى شرق أفريقيا.

ومنذ بداية العصر الإسلامى تحول العرب المسلمين إلى الساحل الشرقى لأفريقيا واستقروا فيه، فكان ذلك نقطة تحول فى تاريخ هذه المنطقة، فقد اتت هذه العناصر العربية من عمان ومن شيراز على الجانب الشرقى من إيران وقد تم تأسيس مدينة مقديشو وبرافا على الساحل الصومالى. كما أسسوا مدينة (كلوه) وبنوا القصور وهى الميناء التجارى، كما أسسوا عشرات المدن الحجرية، وأسسوا مسجداً فى زنجبار كما نزلت جماعات من المسلمين فى الساحل الشرقى فى الصومال وكينيا وتنجانيقا، وعمروا المكان بالبيوت المبنية من الكتل الصخرية وسك سلاطين

كلوه نقوداً نحاسية ثم تم تداولها في جهات أفريقيا حتى جنوب الصحراء الكبرى.

اشتغلت كلوه بالتجارة مع روديسيا وكاتنجا، واستخدموا ميناء صومالا وجعلوا على السفن المارة رسوماً محددة مقابل عبورهم ، كما عرفت مالندي وممباسا منذ القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى بمناجم الذهب الذى قاموا بتصديره إلى الهند، ووجدت مصانع الصلب لصناعة السيوف، كما وجد فى مقديشيو مصنع للنسيج ينتج الأقطان والملابس المصنوعة من وبر الجمل كانت تصدر إلى مصر لتباع فى أسواقها، وقد كان لقبائل البانتو ظهوراً واضحاً في السهل الساحلى لشرق أفريقيا.

والبانتو قبائل توجد فى الشرق فى أوغندا ورواندا وبوروندى وكينيا وتنزانيا ومالاوى وزامبيا، كما يوجد قبائل البانو التى تعيش فى الجنوب فى روديسيا وموزمبيق وجنوب أفريقيا وبتسوانا وليسوتو وأجزاء من جنوب أفريقيا، والبانتو يعيشون فى الكونغو والكاميون والجابون وأنجولا

وفى السهل الساحلى لشرق أفريقيا تأثر مسلموا البانتو باللغة والحضارة السواحلية، وقامت اتصالات بين البانتو والحضارة الإسلامية على ا لساحل الشرقى وبين الداخل الأفريقى من الشرق، كما كان الصوماليون الذين اشتغلوا بالتجارة بعد دخولهم الإسلام يتبادلون التجارة مع الجالا الوثنيين فى جنوب مملكة الحبشة، وتبادلوا التجارة البحرية كذلك مع جماعات جنوب كلوه، ومع مناطق الذهب على الساحل وفي روديسيا ومناجم النحاس فى كاتنجا.

وفى القرن السادس الهجرى/ الثاني عشر الميلادى تدفق البانتو من تنجانيقا إلى جنوب البحيرات للزراعة، كما فتحوا طريق التجارة بين الساحل وداخل أفريقيا وفى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى/ الثالث عشر الميلادى كانت مملكة أوغندا على سواحل بحيرة فيكتوريا الشمالية الغربية تستورد الأقمشة القطنية وسلعاً أخرى من العالم الخارجى.

وعندما واصل البرتغاليون إلى ساحل زنجبار في القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى كان هدفهم الرئيسى هو السيطره على التجارة البحرية ليحلوا محل العرب فى هذه التجارة فجعلوا هدفهم السيطرة على الساحل الشرقى لأفريقيا ثم تحولوا بعد ذلك إلى الخليج العربى ثم شرق آسيا.

وفي عام ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢ واجهت البرتغال الموجودة في مملكة عادل الصومالية وصدتهم عن الوصول إلى الحبشة. ثم بدأ البرتغايون في اجتذاب الكنيسة الحبشية إلى الكنيسة الغربية فى روما إلا أن رجال الدين المسيحيين فى الحبشة رفضوا ذلك، وقد تحول البرتغاليون بعد ذلك إلى شواطئ موزمبيق وزنجبار وممبسا ومجموعة جزر لامو، وتفرغوا للحصول على الذهب الزمبيزى الذى تمكنوا من تصديره إلى أوربا.

أما العرب فقد كان وجودهم في المناطق الواقعة فى شمال مدينة كلوه، وقد وطدوا علاقاتهم مع قبائل البانتو السواحليين فاندمجوا معهم. وفى عام ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م ضعف البرتغاليون وانسحبوا مطرودين من الخليج العربى وفى ١١١٣هـ/ ١٧٠٠م تمكن العثمانيون من طرد البرتغاليين من حصن مصوع القلعة المنيعة فى ممباسا فى القرن الثانى

عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى انسحب البرتغاليون من الساحل الشرقى لأفريقيا وانفرد العرب بالساحل الشرقى الأفريقى وشيد العرب المدن والممالك السواحليه ثم جعلوا من الساحل الشرقى لأفريقيا قاعدة للعبور منها إلى الداخل للقارة الأفريقية.

وقد كان للملوك بنى نبهان فى عمان نفوذ فى الساحل الشرقى لأفريقيا منذ القرن ٦ هـ / ١٢م.

ويرجع نجاح الأمبراطورية العمانية إلى تفوقهم فى بناء السفن الحربية وظل النبهانيون يحكمون عمان بجدارة نحو خمسة قرون.

لقد عمل العمانيون على نشر الإسلام والثقافة العربية فى سواحل أفريقيا، وقامت تجارة منظمة بين الساحل العمانى والساحل الشرقى لأفريقيا بل إن قبائل عربية انتقلت إلى شرق أفريقيا لتؤسس لها إمارات خاصة كما فعلت الأسرة النبهانية فى جزيرة بات.

وفى عهد أحمد بن سعيد (١١٥٥ - ١١٩٨ / ١٧٤٢ -١٧٨٣) تمكنت أسرة البوسعيد العمانية من توسيع الدولة فضمت إليها أجزاء من شرق أفريقيا (زنجبار) ولما وصلت أنباء خلع أسرة اليعاربه الحاكمة فى عمان إلى محمد بن عثمان حاكم ممبسا وتولى أسرة البوسعيد حكم البلاد أعلن محمد بن عثمان الاستقلال عن عمان.

وقد رسم الإمام أحمد خطة للتغلب على محمد بن عثمان الخارج عن الطاعة. وقد نجح فى خطته التى انتهت بالتخلص من محمد بن عثمان بالقتل بمعرفة جماعة من أنصار الإمام أحمد الذين دبروا مؤامرة قتل ابن عثمان واستولوا على ممبسا فأعادوها إلى تبعيتها لعمان وأختير

سيف بن خليفه حاكما لممبسا واعتقلوا على شقيق بن عثمان وسجنوه بسجن فى القلعة، ولكن اجتمع بعض أنصار على وساعدوه على الهروب من سجن القلعة والحامية فى غفلة من ذلك. وقد صادف وجود إحدى السفن الأجنبية راسية في الميناء فتدخل ربانها لمساعدته وهاجم القلعة وأطلق قذيفة من مدفع فى سفينة فأثار الخوف فى القلعة وجعلوا على بن عثمان حاكماً على المدينة فى عام ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م وبذلك عادت ممبسا إلى استقلالها عن عمان.

وقد استعان الإمام أحمد حاكم عمان بالزنوج الأفريقيين للمشاركة فى جيش الدفاع العمانى، كما خصص السفن الحربية للدفاع عن البلاد كما خصص سفناً صغيرة للاستعانة بها فى نقل البضائع من وإلى الساحل الشرقى فى كلوه وزنجبار.

وقد ظلت المنطقة الساحلية لشرق أفريقيا من رأس ديلاجدو إلى لامو وجنوبى الصومال، تحت سلطان آل بوسعيد العمانى حتى عام ١٢٧٣ / ١٨٥٦, وقد اهتم عرب الساحل بالزراعة فكانت زراعة القرنفل ناجحة حتى أنهم انتجوا نحو ثلاثة أرباع المحصول العالمى من القرنفل واشتغلوا بتصديره إلى مختلف الأنحاء، كما قاموا بتصدير العاج واستوردوا الأقمشة والسلاح والذخيرة من أنحاء العالم، كما نشطت تجارة العرب مع داخل أفريقيا بتسيير القوافل، التى قد تمضى فى قلب أفريقيا لمدة عام كامل أويزيد.

وقد شارك عرب زنجبار والساحل وشعب أنياموزى الذى وسط تنجانيقا الغربى ومن اتحاد تنجانيقا وزنجبار تكونت تنزانيا فى عام ١٣٨٤ / ١٩٦٤ فى ارتياد الطرق الداخلية للقارة وشقوا طريق التجارة

غرباً حتى مملكة لوندا كازمبير في كاتانجا الجنوبية فى النصف الأول من القرن ١٢هـ / ١٨م وهم الذين نظموا التجارة المتنامية الأهمية مع الممالك الكبيرة التى كانت فى غرب بحيرة فيكتوريا مثل كاراجوى وبوجنده وبونيورو من أواخر القرن ١٢ هـ / ١٨ م حتى منتصف القرن ١٣هـ / ١٩م.

وقد تفوق العرب فى التجارة الداخلية بقدرتهم على التنظيم . فكانت مخازن تجارية، وقد ساعد . على النجاح ماكان لهم من حقوق تضاهى الامتيازات الأجنبية، الأمر الذى جعل لهم نفوذاً وسلطاناً في مناطق مثل غرب تنجانيقا وإنيامويزي على بحيرة تنجانيقا وقد أمد العرب الحكام في أفريقيا بالسلاح والملابس، وفى مقابله يحصلون على الرقيق والعاج.

دول شرق أفريقيا

أثيوبيا
مصر
السودان
تنزانيا
كينيا
أوغندا
رواندا وبوروندى
أريتريا
جزر القمر
مدغشقر
موزمبيق
الصومال
چيبوتى
زامبيا (روديسيا الشمالية)
مالاوى (نياسالاند)
زيمبابوى (روديسيا الجنوبية)
موريشيوس
سيشل
ريونيون

فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات من القرن ١٢ هـ / ١٨م في عصر محمد على ظهر المصريون فى السودان ففى عام ١٢٢٦ / ١٨٢٠ فتح محمد على السودان بعد أن قام بطرد سلاطين الفرنج فى سنار وأقام حاكما مصرياً فى الخرطوم، وقد استعان المصريون بالسودانيين بإلحاقهم جنوداً بالخدمة بالجيش المصرى، وكذلك أدخل المصريون المدنية وحكم القانون والإسلام إلى أعالى النيل ودخل كثير من أهل السودان الجنوبى مثل الدنكا الجندية وحصل بعضهم على مراكز قيادية عالية فى الجيش فى النصف الثانى من القرن ١٢هـ / ١٨م . بدأت أثيوبيا في التوسع نحو جيرانها الضعفاء نتيجة للضعف الداخلى . ولما كان منتصف القرن ١٣هـ/ ١٩م بدأ الضعف يلحق بأثيوبيا وتتحول إلى ولايات عدة ثم أقام الرأس كاسا نفسه إمبراطور فى منطقة الحدود الشمالية الغربية لأثيوبيا عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م باسم الإمبراطور تيودور. وقد تمكن من تنظيم الجيش ببراعة واستطاع أن يعيد السيطرة على الجالا الوثنيين الذين طالما هاجموا أثيوبيا فى جنوبها الغربى، وقد أمكنه توحيد تيجرة وأمهرة في الشمال بولاية شوا الجنوبية ثم تطور الموقف لغيرصالحه فانصرف عنه رجاله من قادة الجيش.

ثم تولى يوحنا الرابع الزعيم التيجرانى حكم البلاد ولكنه لم يلبث أن تخلى عن الحكم لأحد أتباعه هو (منلك ملك سوا) بعد أن اعترف به خلفا له في عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م وقد قام منلك شوا بتوسيع حدود المملكة شرقاً وجنوباً وغرباً فى أراضى آفار وصومال وهرر وأوجادين والجالا فى الجنوب والكافا وممالك سيداما التى كان يحتلها الجالا فى الجنوب الغربى.

وفى عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م احتلت إيطاليا جزءاً من ساحل الصومال واعترف سلطان زنجبار بقيادة إيطاليا وفى عام ١٣١٢ / ١٨٩٥ هاجم

الإيطاليون الحبشة ولكن منلك استطاع أن يهزمهم فى معركة عدوه. لكن إيطاليا عاودت الكرة فى عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ وتمكن موسولينى من احتلال الحبشة لعدة سنوات فقط حتى أزاحهم البريطانيون فى عام ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩هـ / ١٩٣٩- ١٩٤٠م. وأعيد إمبراطور الحبشة إلى السلطه.

مصر والسودان:

خضعت مصر والسودان معاً للسيطرة البريطانية منذ أواخر القرن الثالث عشر هـ / التاسع عشر م، بينما هما يتبعان الدولة العثمانية منذ القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.

ومنذ عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢ حتى عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م تحولت مصر إلى محمية بريطانية، وفى عام ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢م أعلن الإنجليز استقلال مصر مع بقائهم فى القناة، لأن بريطانيا وجدت نفسها فى حرب مع تركيا صاحبة السلطان الشرعى الإسمى على البلاد ومنذ ذلك الحين كانت مصر مستقله إسماً وتكون مملكة على رأسها الملك فؤاد بن الخديو اسماعيل برغم أن جيوش الاحتلال البريطانية كانت لاتزال فى منطقة السويس، ولم يكن هذا الاحتلال مقبولاً من الحزب الذى جمع الوطنية وهو حزب الوفد.

وفى عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م تولى حزب الوفد الحكم، واختلف الوفد مع الملك فؤاد والإنجليز ليعود الحكم إلى يد المعتدلين من أصحاب المصالح ملاك الأرض، ولكن هؤلاء لم ينالوا ثقة الشعب، ثم اتحد المعتدلون والوفد وطالبوا بانتخابات عامة، وبعد مضى بضعة سنين اتفق خلالها الوفد مع الإنجليز على عقد المعاهدة المصرية الإنجليزية عام ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦م التى نصت على انسحاب الجيش البريطانى إلى نطاق ضيق على جانبى قناة السويس.

وفى عهد الملك فاروق وقع الخلاف بين مصر والإنجليز لظهور ميول سياسية نحو دول المحور التي كانت قد وصلت بجيوشها إلى منطقة العلمين بالصحراء الغربية فى مصر.

وفى عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م بدأت السلطة فى مصر للعمل على تكوين جامعة الدول العربية ومواجهة مشكلة فلسطين ولكن لم يكن الاتجاه السياسي لمواجهة مشكلة فلسطين صحيحاً وإنما ظهرت حكومة الوفد والقصر بمظهر غير مشرف فى معالجة مشكلة فلسطين مما اضر بها ضرراً بليغاً بعد أن تحولت حملة فلسطين من مواجهة عسكرية إلى اتجاه سياسى. الأمر الذى ترتب عليه قيام حركة فى الجيش المصرى لتطهير البلاد من الفساد.

بدأت حركة الضباط الأحرار بعد الاستيلاء على الحكم فى عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م والعمل على إصلاح الحياة المصرية وعودة الحكم إلى الشعب الذى أعلن تأييده للحركة ثم ظهرت القوى الخارجية المعادية التى أدركتأن حركة الضباط الأحرار تهدف إلى قيام الوحدة العربية ولكن مصر استطاعت فى عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م أن ترغم الإنجليز على الانسحاب من البلاد.

ولجأت بريطانيا وفرنسا إلى القوة وقام العدوان الثلاثى (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) بمهاجمة مصر خاصة بعد إعلان مصر تأميم قناة السويس، ورغم هذا العدوان الثلاثى على مصر، فقد استطاعت مصر أن تدير القناة بكفاءة عالية.

كان الإنجليز يتحينون الفرص للإنفراد بحكم السودان دون المصريين، وكان حكم السودان مشتركاً بين مصر وبريطانيا، وفى عام ١٣٧٥هـ /

١٩٥٥م اتفقت مصر وانجلترا على منح السودانيين حق تقرير المصير بعد فترة انتقال تنتهى في عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م وتشرف خلالها لجنة دولية على السودان. وفى ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦ أعلنت السودان رغبتها في الحصول على حريته واستقلاله والتخلص من الاستعمار وانسحبت القوات الأجنبية من السودان وأجريت انتخابات عامه وتشكل برلمان وطنى وتكونت حكومة وطنية وأعلن استقلال السودان حتى قام فريق من الضباط بقيادة جعفر النميرى فى عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ الذى أعلن قيام جمهورية السودان الديمقراطية، ثم شرع السودان فى الاتجاه لتقوية عرى الصداقة بين السودان ومصر وبقية أشقائه من الدول العربية.

والآن وفى بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرون الميلادى / الخامس عشر الهجرى، وبعد ظهور البترول في أرض السودان وخاصة فى الجنوب بدأ البترول يمثل أحد أهم الأدوار الحديثة فى الصراع بين حكومة السودان وثوار الجنوب، فحقول البترول توجد على الحافة الشمالية لجنوب السودان وخط الأنابيب يسير فى شمال السودان إلى الخرطوم وبور سودان ومن ثم فإن المواقع الجغرافية أصبحت عاملاً جديداً للصراع بين الحدود المشتركة بين الشمال والجنوب. هذا، فضلاً عن الصراع الأثنى والدينى واستدعاء قضايا حقوق الإنسان ودعوة أحزاب المعارضة (رفقة طريق بين أحزاب شمالية وجنوبية) إلى إعادة الديمقراطية وتداخل دولى (وبخاصة أمريكي) مما يعقد الموقف كثيراً ويجعل حل المشكلة - ولو مرحلياً - أمراً شائكاً.

يتميز شمال أفريقيا بموارده الغنية، لذلك ولظروفه الطبيعية التى راقت المستوطنين الأوربيين والآسيويين فانتشروا فى هذه المنطقة بكثافة تفوق المناطق الأفريقية الأخرى.

وقد قسمه المستعمرون الأوربيون إلى عدة أقسام سياسية بالرغم من أنه يشكل وحدة جغرافيه متكاملة. وقد نزح العرب القادمين من شبه الجزيرة العربية إلى هذا الإقليم، الأمر الذى لفت انتباه البرتغاليين ثم الأوربيين إليه خاصة بعد رحلة فاسكوداجاما الذي وصل إليه فى عام ٩٠٤ / ١٤٩٨ ثم تغلب العرب على البرتغاليين وأجلوهم عن ممبسا عام ١١١٠هـ / ١٦٩٨م .

ولقد لعب التجار العرب دوراً هاماً فى حياة شرق أفريقيا الاقتصادية والثقافية، وكان شرق أفريقيا حتى القرن ١٣هـ / ١٩م وقفاً على التجار العرب الذين يتعاملون فى منتجاته العديدة، والواقع أن العرب كانوا على دراية كبيرة بتلك المنطقة وأقاليمها الداخلية حتى بحيرة فيكتوريا وتنجانيقا على الأقل وأنشأوا بها طرقاً منتظمة للقوافق كان أهمها ذلك الطريق من بحيرة تنجانيقا حتى دار السلام مروراً بطابورة. وقد كانت جزيرة زنجبار المركز الرئيسى كما كان سلطان زنجبار يسيطر فى الواقع على الشريط الساحلى المقابل لجزيرته وقد تزايدت أهمية شرق أفريقيا اقتصادياً وسياسياً بعد فتح قناة السويس في عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩ م، وقد أدرك البريطانيون تلك الأهمية وبدأت في الظهور كقوة استعمارية تنافس سيادة العرب على هذا النطاق.

وفى القرن الثالث عشر هـ / التاسع عشر م بدأت البعثات التبشيرية الأوربية عملها فى نشر النفوذ الأوربى حيث فرضت الحماية البريطانية على زنجبار فى عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م .

وفي عام١٣١٧هـ / ١٨٩٩م فرضت الحماية الألمانية على تنجانيقا ثم تحولت إلى الانتداب البريطانى بعد الحرب العالمية الأولى.

أما أوغنده فكانت محمية بريطانية فى عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م وحصلت

على الاستقلال فى عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢ م ورواندا وبوروندى فتحولتا إلى الانتداب البلچيكي بعد تحررهما من النفوذ الألمانى بعد الحرب العالمية الأولى ثم تحت الوصاية البلچيكية. وفى عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م تم الاستقلال لهاتين الدولتين. وقد تحولت كينيا إلى مستعمرة بريطانية فى عام١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م بعد أن تخلت عن سيطرتها عليها شركة شرق أفريقيا البريطانية واستقلت كينيا في عام١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

وفى الحرب العالمية الثانية تحولت تنجانيقا إلى الوصاية البريطانية ثم استقلت في عام ١٣٨١ هـ / ١٩٦١م.

وفى أبريل عام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤ انضمت زنجبار إلى تنجانيقا في شكل اتحاد. وفى أكتوبر من نفس العام أطلق على هذا الإتحاد إسم دولة تنزانيا.

تنزانيا:

يوجد بها بعض المرتفعات العالية وهى مشهورة بكونها واحدة من المناطق القليلة فى أفريقيا التى يمكن العثور فيها على حيوانات الصيد البرية، وجبل كليمنجارو فى تنزانيا من الجبال المشهورة فى العالم . وفى تنزانيا أكبر مناجم الماس فى العالم، كما يوجد أنواع أخرى من المعادن ذات القيمة العالية. وقد عانت تنزانيا من إهمال المستعمرين، فظلت تستخدم كسوق للبضائع التى تنتجها البلاد الأخري المجاورة لها.

النشاط الاقتصادى :

قد أدرك نواب الشعب التنزانى حال البلاد وإهمال المستعمر بثرواته وبشعبه فأعلنوا الثورة ومحاربة الجهل والفقر والمرض وجعلوا شعارهم «الحرية والعمل الشاق وبدأوا يهتمون بالزراعة فاهتموا بزراعة القطن والبن

والشاى وانتشرت الحركة التعاونية في البلاد وصاروا يسوقون البن والقطن بمعرفة المنظمات التعاونية للزراعة وسرعان ما استجاب المزارعون لفكرة التعاون التى ظهرت ثمرتها لهم. وقد بدأوا يهتمون بطرق المواصلات ومن ذلك إقامة الطريق الموصل إلى سفوح جبل كليمنجارو، وهو المتفرع من طريق موشى أورشا القديم بطول سبعة أميال وقد نمت على جانبى الطريق المزارع الكثيفة، بينما لم يكن يوجد قبل ذلك غير بعض مزارع الماشية.

وتوجد فى تنزانيا آلاف الأميال المربعة من الأراضى الخصبة الحسنة الرى، ويقوم الخبراء فى الزراعة والتغذية بدراسة علمية للمشروعات الخاصة بالرى وتوليد الكهرباء من مساقط المياه، ومنها مشروع بانجاني الذى ينظم مجموعة من السدود للعمل على رى الأراضى المرتفعه بالقرب من كليمنجارو.

وتعد مدينة دار السلام مركز الصناعات الرئيسية فى تنزانيا خاصة الصناعات الغذائية وصناعة النسيج اعتماداً على انتاج القطن والسيسل وهى من المحاصيل الرئيسية فى صادرات البلاد وتستخدم ألياف السيسل في صناعة الحبال وبعض أنواع السجاجيد وهو مادة خام لصناعة الورق وبعض الأدوية مثل (الكورتيزون). ويشغل هذا المحصول مساحة واسعة، وينقل بالسكك الحديدية إلى مراكز التجميع حيث يتم إعداده آليا وتخليصه من كثير من المخلفات قبل تصديره.

ويأتى السيسل فى الترتيب الثالث فى قائمة الصادرات، وتعد تنزانيا أكبر منتج له فى العالم.

ويزرع البن في المناطق الباردة نوعا فى نطاق المرتفعات الشمالية الشرقية وخاصة على منحدرات جبل كيمنجارو، ويزرع قرب أورشا والدبانى

وحيث يزرع البن العربى، وعلى سفوح كليمنجارو البركانية تقوم قبيلة التشاجا بزراعته فى مزارع محدوده.

ويزرع الشاى فى إقليم مرتفعات مبايا وأورنجا وأوسمارا، وتزرع تنزانيا أيضاً القطن فى منطقة بحيرة فيكتوريا ويزرع بنسبة أقل من ذلك في المقاطعة الشرقية. ومن المحاصيل الأخرى التى تزرعها تنزانيا القمح والذره والفول السودانى، كما تقوم تنزانيا بزراعة البيريثرم الذى تحتوى زهوره على مادة مطهرة تستخدم فى حفظ المواد الغذائية، وكمبيد حشرى. وفى أراضى الإقليم الغربى حول نهر مالافاراسى تشغل المراعى الهائلة نحو نصف مساحة تنزانيا ويسود الرعى المتنقل وقطعان الماشية والأغنام والماعز.

وتوجد فى تنزانيا إمكانيات هائلة فى حقل الإنتاج المعدنى، ويعتبر الماس أهم الصادرات المعدنية ويستخرج من منطقة واسعة قرب شيانجا على خط السكك الحديدية بين لابور وموانزا، وتوجد مناجم غنية للذهب في إقليم البحيرة، ويرتفع إنتاجها بصورة منظمة وحقول الرصاص فى الشمال الغربى الذى ينتظر استغلاله بصورة كبيرة. وتعد مدينة دار السلام مركز الصناعات الرئيسية فى تنزانيا خاصة الصناعات الغذائية وصناعة النسيج اعتماداً على إنتاج القطن والسيسل. كما يتم تجهيز اللحوم وتعبئتها. وفى مدينة تانجا وأورشا تقوم بعض الصناعات الأخرى.

وفى مجال التعليم تستقبل المرحلة الإبتدائية الأطفال فى تنزانيا حيث يبدأون بدراسة المعارف الأولية ولكن فى بعض الأحيان يتعذر على البعض منهم مواصلتهم فى التعليم إلى المرحلة التالية ويعادون إلى مدارسهم لعدم وجود أماكن بمدارس المرحلة الأعلى. ولكن يستمر البعض الآخر فى دراسته

لمدة أربع سنوات بعد الدراسة الإبتدائية (مدتها أربع سنوات) وبعد هذه السنوات الثمانية، يجد عدد أقل من التلاميذ فرصتهم فى التعليم الثانوى، حيث يقضون عامين آخرين قبل أن يتمكنوا من الالتحاق بإحدى الجامعات. ومجموع مدة الدراسة أربعة عشر عاماً.

كينيا:

تبلغ مساحة كينيا ٥٨٢,٦٥٠ كم٢ وعدد سكانها يصل إلى ٢٩ مليون فى عام ٢٠٠١م وتتركز الغالبية العظمى منهم فى وسط البلاد وغربها، وفى نطاق يمتد من بحيرة فيكتوريا حتى ساحل المحيط الهندى.

قبل عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م وإلى الشمال من مستعمرة موزمبيق البرتغالية كانت تمتد منطقة واسعة يدَّعى سلطان زنجبار حق السيادة عليها. وفى تلك السنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م استطاع أحد المغامرين الألمان ويدعى كارل بيترز أن يصل إلى زنجبار هو وبعض الزعماء الأفارقة وحصل منهم على إثنى عشر معاهدة عليها توقيع هؤلاء الزعماء الوطنيين بتبعية مساحة من الأرض قدرها ٦٠,٠٠٠ ميل مربع للشركة الألمانية التى يملكها ثم عاد إلى برلين حيث أعاد تنظيم الشركة وأطلق عليها إسم شركة أفريقيا الشرقية الألمانية.

ثم حصل على موافقة الوزير الألمانى بسمارك لتعلن ألمانيا حمايتها على تلك الأرض الأفريقية.

وفى عام ١٣٠٣هـ ١٨٨٥م وصل المكتشف الإنجليزى سير هارى جونستون إلى منطقة كليمنجارو وعقد عدداً من المعاهدات مع بعض الزعماء الأفريقيين. ثم اتفقت دول انجلترا وفرنسا وألمانيا على تأليف لجنة لتسوية

الخلاف بينها إذا ماكان لسلطان زنجبار الحق فى هذه المنطقة. وصدر قرار اللجنة فإذا به يسمح للسلطان بجزيرتى زنجبار وبمبا إلى جانب شقه ساحليه عرضها عشرة أميال وطولها ٤٠٠ ميل لبريطانيا والجنوبية لألمانيا. أما فيما وراء هذه المنطقة الساحلية فقد اقتسمه الإنجليز والألمان، وكان خط التحديد يمتد غرباً حتى بحيرة فيكتوريا. وفى مقابل ذلك أطلقت يد فرنسا فى مدغشقر.

ثم تقدمت شركة أفريقيا الشرقية البريطانية وشركة أفريقيا الشرقية الألمانية إلى السلطان تطلبان استئجار منطقة النفوذ الخاصة بكل منهما. وبقيت المنطقة الداخلية موضع الخلاف، فانجلترا لا ترغب فى أن تتوسع ألمانيا حتى تلتقى بدولة الكونغو الحرة عند بحيرة تنجانيقا فتمنع بريطانيا من تنفيذ مشروع مد خط حديدى عبر القارة من مدينة الرأس إلى أقصى الجنوب إلى القاهرة فى الشمال. ولم تكن أوغندا قد تحددت تبعيتها لأى من الدولتين انجلترا أم ألمانيا، وكان كارل بيترز قد وصل إلى عاصمة أوغندا وعقد معاهدة مع ملكها، إلا أن المشروع لم يتم لأن انجلترا عقدت معاهدة هليجولاند مع ألمانيا فى يوليو ١٨٩م / ١٣٠٨هـ حصلت ألمانيا بموجبها على شبه جزيرة «هليجولاند» ذات الأهمية الاستراتيچية لألمانيا. فى مقابل ذلك فيما يختص بأفريقيا الشرقية، تنازلت عن دعاواها فى أوغندا، وفى جزيرتى زنجبار وبمبا ومنطقة ويتولا (الواقعة على ساحل أفريقيا الشرقية البريطانية) ونياسالاند، واستغلت بريطانيا الفرصة فأعلنت حمايتها على نياسالاند وزنجبار وبمبا وأوغندا.

ثم اشترت الحكومة البريطانيةحقوق شركة أفريقيا الشرقية البريطانية وممتلكاتها فى أفريقيا لفشل الشركة وإخفاقها ودفعت بريطانيا للشركة ربع مليون جنيه. وفي عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م أعلنت الحماية على أوغندا وعلى

أفريقيا الشرقية البريطانية إلى بحيرة فيكتوريا وذلك بعد إضافة مقاطعات نيفاشا وكيسومو التي اقتطعت من أوغندا. وأشرف على هذه المحمية مندوب مسئول أمام الخارجية البريطانية.

ثم تحول الاختصاص إلى وزارة المستعمرات في عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م . وفى عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م ضمت إلى الممتلكات البريطانية وأطلق عليها إسم مستعمرة كينيا. وأصبحت بذلك من مستعمرات التاج البريطانى، أما الأراضى الواقعة على الساحل والتى كان قد سبق استئجارها من سلطان زنجبار أطلق عليها اسم محمية كينيا.

وفى عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م وقعت معاهدة مع إيطاليا تنازلت فيها بريطانيا لإيطاليا عن نهر جوبا ومنطقة الجانب البريطانى من النهر يتراوح عرضها بين خمسن ومائة ميل تم التسليم رسمياً فى عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م. وبذلك تنازلت بريطانيا عن جزء من كينيا دون أن يكون لأهل البلاد أنفسهم رأى في الأمر.

لقد اتبعت بريطانيا سياسة التميز العنصرى وإبعاد الأفريقى عن الإدارة والقيود المفروضه على حياته الاجتماعية وهدفها تمكين الرجل الأبيض من السيطرة على اقتصاديات المستعمرات. ولما كانت الزراعة هى العنصر الرئيسى فى النظام الاقتصادى اكتسبت الأرض أهمية قصوى بالنسبة للطرفين المستعمر الأوربى وأيضاً أهل البلاد الأصليين.

بدأ المستعمرون البريطانيون فى الاستحواذ على الأراضى من الوطنيين أو من شركة أفريقيا الشرقية منذ بداية القرن ١٣هـ / ١٩م وسياسة نقل الأراضى إلى أيدى البيض وضع أساسها سير شار اليوت الذى عين مندوباً سامياً عام ١٣١٧هـ / ١٩٠٠م إذ كان يرى أنه لابد للسكك الحديدية التى

انشئت من أن تغطى نفقاتها ولا يتحقق هذا الهدف إلا بملء المناطق الخالية من السكان أو الاستغلال بالمستعمرين.

وكانت السياسة المرسومة منذ البداية تحويل كينيا إلى مستعمرة للرجل الأبيض، وطبقت فى كينيا النظام الاقطاعى فاعتبرت الأرض ملكاً للتاج البريطانى. على أن يكون أصحابها الوطنيون مستأجرين. وبذلك يتسنى نزع الأراضى منهم ونقلهم من مكان إلى آخر طبقاً لما تراه السلطات.

وفى عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢ خولت الحكومة البريطانية للمندوب السامى أن ينقل أراضى التاج لمن يشاء وجعلوا للحاكم حق بيع الأراضى لمن يريد لغاية (١٠٠٠) ألف فدان وتأجيرها لمدة ٩٩ عاماً. وعند انتهاء مدة الإيجار تعود الأرض إلى الحكومة دون تعويض، كما أنه لا يجوز للمستأجر التنازل عن الأرض إلا بموافقة المندوب السامى .

وكانت الحكومة تقدم المساعدات للمستعمر الأوربى، ففى عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣ م قدمت للفلاحين الأوربيين ١١٧٠٠٠ جنيها لمساعدتهم فى استغلال الأراضى الجديدة وحمايتهم ضد الخسائر التى قد يتعرضون لها، وليس هذا من حق أهل البلاد الأصليين وكانت الحكومة تنمح أجود الأراضى وأوفرها إنتاجاً، للأوربيين الذين يحتكرون القوة الاقتصادية دون الأفريقي الأصيل.

وعندما تفاقم أمر الثورة الوطنية فى كينيا التى عرفت بثورة (الماوماو) وعجز القوات العسكرية والقوانين الاستثنائية وأنظمة الطوارئ من القضاء عليها تحولت الإدارة البريطانية فى كينيا لمحاربة الشعب بإلقاء القبض على زعماء اتحاد كينيا الأفريقى وحل الهيئات الوطنية وإغلاقها المدارس وحاولت الإدارة البريطانية تغطية الموقف بغلالة من الأكاذيب ضد الشعب

فأعلنت أن قوانين الطوارئ كانت ضرورة لمكافحة موجة الإجرام التى كانت تقوم بها جماعة الماوماو وزاعمة فى نفس الوقت أن إتحاد كينيا الأفريقى كان يعمل لهاغطاء.

لقد رفضت بريطانيا التسليم بأن يكون للأفريقيين حقوقاً ديمقراطية أو حتى اجتماعية كأعضاء فى العائلة الإنسانية. ورفضت الاعتراف بأنهم أحرار لا يباعون ولا يشترون، لقد قامت بريطانيا بحركة من الإرهاب الشديد شملت جميع السكان دون البيض والدخلاء الذين أثاروا هذه المذبحة التى عرفت فيما بعد باسم الماوماو.

ولقد أوفدت بريطانيا أكثر من ١٢ كتيبة عسكرية إلى جانب أسطول كامل من سلاح الطيران وتشكيله من رجال البوليس يبلغ إثنى عشر ألف جندى، وكتائب الحرس الوطنى التى تضم المجرمين من خريجى السجون، ثم بدأت بإقامة معسكرات اعتقال.

أعلنت حكومة كينيا أن عدد المعتقلين فى عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م قد أربى على ٤٩ ألف شخص إلى جانب ٨٢ ألف أسير، واعترف الكتاب الأبيض فى نفس العام بأن الحالة في كينيا لا تزال أبعد عن الاستقرار وأن الموقف العسكرى لا يشير إلى انتهاء حالة الطوارئ وإلى أن الثورة لا تزال تلقى تأييد الشعب الأفريقى في كينيا.

وفى عام ١٣٧٥هـ / مارس ١٩٥٥م عرض المجلس التشريعى الكينى، كما عرض جيش التحرير الزراعى المفاوضة مع الحكومة البريطانية لإيقاف إطلاق النار والوصول إلى تسوية سياسية معلناً أنه لا يمكن الوصول إلى تسوية سلمية أو حل للمشاكل الكينية بدون إباحة الحريات وتمتع الكينيين الأفريقيين بحكومة مستقلة. ولكن الحكومة البريطانية رفضت العرض

متمسكة بوجوب تسليم جميع الزعماء أنفسهم.

وظل الموقف بين شد وجذب من الطرفين حتى اضطر البريطانيون إلى التسليم بحق شعب كينيا في الاستقلال وتحقق لشعب كينيا الاستقلال في ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

الصناعة والتعمير:

تعتمد كينيا على توليد الكهرباء من المحطات الحرارية، وتحصل على الكهرباء من سد أوين في أوغنده ومن شلالات بانجاني في تنزانيا، كما أن بها معامل لتكرير البترول في ممبسا.

وتقوم كينيا بتصنيع المنتجات الزراعية من حلج القطن وصناعة السكر وعصر الزيوت من بذرة القطن والفول السوداني، وبها صناعة لحفظ الفاكهة والخضر واستخراج مستخلص البيروثروم كمبيد حشرى وبها أيضاً الصناعات الغذائية والمنسوجات، وفى نيروبى العاصمة وفى ممبسا توجد غالبية الصناعات. ونيروبى أكثر المدن ازدحاماً بالسكان. وهى أكبر المراكز للشركات التجارية العالمية. أما ممبسا فهى أكبر الموانى الكينية. ومن مدن كينيا تاكورو وكيسومو وتقوم بها صناعة التعليب وتجميد الأسماك من بحيرة فيكتوريا، كما توجد ورش لإصلاح السفن.

وتمثل السياحة المصدر الثالث للدخل القومى في كينيا بعد صادرات البن والشاى. ويعتمد الاقتصاد الكينى على تنشيط الصادرات والاهتمام بالسياحة كمصدر من مصادر الدخل القومى، وقد استفادت كينيا من عضويتها في رابطة التجارة لتنشيط وارداتها فتوسعت فى الصناعات الغذائية وهى صناعة للسوق الذى يستوعب هذه الصناعات، وهى تصدر

لأعضاء الرابطة المربى والزبده والعصائر والأغذية المعلبة والبيرة والسجاير.
وتستفيد كينيا من ميناء ممبسا كمنفذ بحرى يخدم عدة دول أفريقية مجاورة لها، وتتقاضى مقابله بالعملة الصعبة، ويسدد كل مغادر لمطار نيروبى مبلغ عشرة دولارات بالعملة الأجنبية، وفى عام ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦ زارها مليون سائح وقد أعدت كينيا نفسها لزيادة عدد السائحين إلى عدة ملايين خلال سنوات قليلة، الأمر الذى يساعدها على زيادة رصيدها من العملة الصعبة.

والحياة فى كينيا ليست رخيصة حيث تواجه كينيا المتغيرات العالمية فى الأسعار بالنسبة للواردات فمثلاً خريج الجامعة الذى يتقاضى راتباً يقدر بألفى شلن والدولار الأمريكى يساوى ١٧ شلن. أى أن خريج الجامعة يتقاضى حوالى ١٢٠ دولار شهرياً. وهو مبلغ ضئيل ولو أنه أفضل من كثير من بلدان العالم الثالث.

وفي مجال السياسة الخارجية فإن كينيا تعمل على مراعاة حسن الجوار مع جيرانها ففى ١٤٢٣هـ / ١٨ أبريل عام ٢٠٠٢ صرح مساعد وزير الخارجية الكينى بأن القوات الأجنبية المرابطة فى ميناء ممبسا لن تشن هجمات على أية دولة أفريقية يعتقد أنها تأوى إرهابيين، وقال إن ألمانيا وبريطانيا أرسلتا قوات إلى ممبسا فى مهام مراقبة جوية لإحباط محاولات لأعضاء تنظيم القاعدة للهرب إلى الصومال.

وفي ١٢ يونيه من نفس العام عقد الرئيس مبارك جلسة مباحثات منفردة وأخرى موسعة مع الرئيس الكينى موي فى شرم الشيخ وتركزت محادثاتهما حول النزاعات الإفريقية ا لراهنة وسبل فضها وخاصة بالنسبة للوضع فى جنوب السودان وفي الصومال، كما تطرقت إلى العلاقات

التجارية بين مصر وكينيا فى إطار تجمع الكوميسا وقضايا التنمية الأفريقية.

أوغندا:

تعد أوغندا من أغنى البلاد الأفريقية، فهى أعظم البلاد إنتاجاً للقطن، والبن وتشغل الأراضي الزراعية أكثر من ربع مساحة البلاد، ويعمل نحو ٩٠٪ من السكان فى الزراعة والرعى، ويزرع في أوغندا الكثير من المحاصيل سواء للاستهلاك المحلى مثل الموز والكاسافا والذره الرفيعه والدُخن والفول السودانى والأرز. ويعد القطن والبن أهم المحاصيل التجارية.

ويتمثل الإنتاج المعدنى فى النحاس الذى صار من الصادرات الرئيسية لأوغندا. ومن الخامات المعدنية الفوسفات والقصدير والحديد والكوبالت. وأهم الصناعات هى حلج القطن وصناعة السكر واستخراج الزيوت وتجهيز البن والشاى وقد قامت صناعات كثيرة بالقرب من كمبالا منطقة الإنتاج الزراعى وغيرها من المناطق الإنتاجية الأخرى.

كما ساعد توليد الطاقة الكهربائية من محطة أوين إلى تقدم الصناعة فى البلاد. وتقوم محطة التوليد هذه من مدينة جنجا على شلالات أوين من عند مخرج النيل من بحيرة فيكتوريا. وقد أصبحت هذه المدينة مركزاً لكثير من الصناعات خاصة صهر النحاس. كما قامت فى أوغندا صناعة النسيج والصناعات الغذائية وتكرير السكر والورق والتبغ وغيرها. وقد أنشئت الخطوط الحديدية فى أوغندا وكذلك فى شمال البحيرة والأقاليم الشرقية والغربية ومنها كمبالا العاصمة، وجنجا ومبال وعنتيبى.

وفى فترة الاستعمار البريطانى لأوغندا منذ القرن ١٣هـ/ ١٩م نشطت

الإرساليات البروتستانتيه والكاثوليكية فى أوغندا وكانت السبب الرئيسى في نشوب الحرب بين بعض الأفريقيين والبعض الآخر وأدت تلك الحرب إلى اعتبار أوغندا تحت الحماية البريطانية، ومنذ ذلك الوقت أوجبت بريطانيا على الكاباكا (الملك) والكاتيكير (رئيس الوزراء) وأموانيكا (وزير المالية) أن يكونوا من أتباع كنيسة بريطانيا. وأن يكون أملاموزى (وزير المالية) من أتباع كنيسة الروم الكاثوليك، وليس من عجب أن يخضع الكاباكا ووزراؤه لضغط موظف المحمية البريطانية من ناحية ورجال الدين من ناحية أخرى لمنح الامتيازات الاقتصادية للدولة والكنيسة.

وفى عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م أعلن بعض الوطنيين التقدميين عن وجودهم باسم باتاكا، أى شيوخ العشائر. وقد اضطهد البريطانيون هذا الحزب الذى يرأسه «بادلو موكالا» وبلغ عدد المسجونين في سجن ماوتجا بالقرب من كمبالا أكثر من ثلاثة آلاف شخص.

وقد قسم البريطانيون أوغندا إلى أربع مقاطعات ويحكم كل مقاطعة ملك، وولايتين تقعان تحت الحكم البريطانى مباشرة. وينتهى نظام الحكم فى أوغندا إلى الحاكم العام البريطانى الذى يعاونه مجلسان أحدهما تنفيذى، والآخر تشريعى. ويتكون الأخير من ١٦ عضو يعينهم الحاكم العام ، منهم أربعة أوربيون وثمانية من الأفريقيين وأربعة من الهنود.

وفى عام ١٣٦٨ / ١٩٤٨ أنشئ مجلس أعلى لإدارة شئون شرق أفريقيا ويتكون من حكام كينيا وأوغندا وتنجانيقا ويرأس هذا المجلس الحاكم العام لكينيا بالرغم من أنه لا تربط هذه البلاد الثلاث وحدة سياسية، فكينيا مستعمرة وأوغندا محمية وتنجانيقا تحت وصاية الأمم المتحدة، لكن إنشاء هذا المجلس جعل منها وحدة إدارية.

ومهمة هذا المجلس هى إيجاد وحدة إدارية تعمل للمصلحة المشتركة للمناطق الثلاث. ويشرف هذا المجلس على شئون الدفاع والنقد وضرائب الدخل والطيران المدنى والرحلات الجوية والجمارك والسكك الحديدية والموانى وجميع مرافق وسط أفريقيا.

وقد اهتم هذا المجلس بإنشاء شبكة خطوط حديدية تربط وسط أفريقيا وبقية أجزاء القارة بالإضافة إلى الخطين الطويلين اللذان يبدآن من ساحل المحيط الهندى ليصل ممبسا بكينيا وكمبالا عاصمة بوجندا ويصل ثانيها بين دار السلام في تنجانيقا (تنزانيا) وبحيرة فيكتوريا. كما أنشئ إلى جانب المجلس الأعلى مجلس تشريعى لمعاونته في مهمته وتقديم الاقتراحات الخاصة بالمشروعات ذات المصالح المشتركة والإعراب عن رأى أى منطقة بصدد أى مشروع من المشروعات التى يتولى المجلس الأعلى تنفيذها.

وقد بدأت بريطانيا بأوغندا لتكوين أمبراطوريتها الجديدة فى أفريقيا بعد أن انتهت إمبراطوريتها فى آسيا. وفى النصف الثانى من القرن ١٣هـ / ١٩م بدأت بريطانيا تعمل على احتلال أوغندا، وفى عام ١٩٠٠ فرضت بريطانيا السيادة البريطانية على مملكة أوغندا، لاستغلالها لفائدتها الخاصة وذلك بموجب اتفاق عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م.

وفى عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م قامت الثورة وأضرب عمال كمبالا مطالبين بزيادة الأجور، ثم تطور الإضراب إلى مظاهرة شعبية ضد الحكومة. بسبب تمكين الحكومة الأوربية والشركات الأجنبية من السيطرة على كل شئ في البلاد من أرض ومواد معدنية.

وفى عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م وقع خلاف بين الحاكم البريطانى لأوغندا وبين الملك الأوغندى موتيسا الثانى بسبب إصرار البريطانيين علي بيع

الأراضى الأوربيــة ورفض أوغندا لذلك. كـمـا طالب الملك الأوغندى بالحكم الذاتى داخل نطاق الكومنولث ورفض الحاكم البريطانى ذلك، ونفى الإنجليز الملك إلى لندن، فقامت الثورة ضد الإنجليز، واستمرت ورفض الشعب الأوغندى التعاون مع الإنجليز وأعلنت البلاد العصيان مالم يعد موتيسا من المنفى، واشتد النزاع بين الإنجليز والمقاومة وقامت بريطانيا بنفى زعماء البلاد الأوغنديين، ولكن المقاومة زادت اشتعالاً.

ظلت الأحوال في أوغندا مصطربة حتى اضطرت الحكومة البريطانية إلى الإذعان لمطالب شعب أوغندا، وأعادت موتيسا إلى عرش البلاد. وفى عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م تحققت عودة الملك وانتصر الشعب الأوغندى، وفى عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م حصلت أوغندا على الاستقلال.

أوغندا والعلاقات الخارجية:

عرضت الحكومة البريطانية فى عام ١٣٧٥ / ١٩٥٥ على الأوغنديين تشكيل اتحاد بين أوغندا وكينيا، ولكن أحد الزعماء الأوغنديين رد على ذلك فى جلسة للجمعية التشريعية فى أوغندا فى ١٣٧٥هـ / يناير ١٩٥٥ بقوله إذا كان لابد من أن تتحد أوغندا مع غيرها فإنى أتساءل لماذا لا نتحد مع مصر والسودان.

كما أيد السيد / موسازى رئيس حزب مؤتمر أوغندا الوطنى دعوة الاتحاد مع مصر وعارض وجهة النظر البريطانية التى تقول بأنه لا ضير على أوغندا من اتحادها مع كينيا والسودان، وقال أنه لا قيمة لها ويجب أن تتحد مع مصر.

ولأوغندا علاقات طيبة مع جيرانها وهى من دول حوض النيل، ففى إبريل من عام ١٩٠٢م / ١٣٢٠هـ قررت أوغندا والسودان استئناف علاقتهما

الدبلوماسية كاملة بعد قطعها عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م مع تعيين سفراء عوضاً عن القائمين بالأعمال الموجودين فى كمبالا والخرطوم. كما وصل إلى الخرطوم وفد على مستوى عال من موسيفينى إلى الرئيس المشير تتعلق بموقف أوغندا فى لجنة حقوق الإنسان بجنيف فضلا عن البروتوكول الموقع بين البلدين بشأن مطاردة الجيش الأوغندى لجيس الرب المعارض فى الأراضى السودانية.

وفى أوغندا في عام ١٤٢٣هـ / يونيو ٢٠٠٢م فى اجتماع وزراء خارجية دول الإيجاد تقرر إنشاء آلية جديدة للإنذار المبكر فى المنطقة تكون هذه الآلية إحدى الهيئات التابعة لمنظمة الوحدة الأفريقية. وتركز أعمالها في المرحلة الأولى على الوضع فى الصومال والسودان.

وفى نفس عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م عقد اجتماع للقمة بين الرئيس حسنى مبارك وموسيفينى لبحث دعم العلاقات بين مصر وأوغندا وذلك في خلال زيارة الرئيس الأوغندى للقاهرة، تناولت خلال المباحثات الأوضاع فى القارة وإعلان قيام الإتحاد الأفريقي والتعاون السياسى والاقتصادى بين مصر وأوغندا، وتطورات الوضع في الشرق الأوسط.

رواندا وبوروندى

تقع دولتا رواندا (في الشمال) وبوروندى (في الجنوب منها) فى منطقة هضبة مرتفعة شرق الوادى الأخدودى الغربى ويجاورهما زائير غرباً وتنزانيا شرقاً وأوغندا فى الشمال الشرقى لكل منهما.

ومنذ عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م إلى عام ١٣٣٥ هـ / ١٩٤٦م كانت ألمانياتسيطر على المنطقتين ثم وضعتا تحت الانتداب البلجيكى بالاتفاق مع عصبة الأمم فى عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م وفي عام ١٣٦٦هـ / ١٩٤٦م صار الإنتداب وصاية فى ظل هيئة الأمم المتحدة وبعد ذلك فى عام١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م حصلت الدولتان على الاستقلال . ولم يكن حصول رواندا وبوروندى علي الاستقلال نتيجة لجهود بذلتها الدول الأفريقية لمكافحة الاستعمار. ففى المؤتمر الثالث للشعوب الأفريقية الذى عقد في ١٣٨١هـ / مارس ١٩٦١م اتخذت قرارات لمناهضة الاستعمار منها إنشاء صندوق لتحرير أفريقيا ومساهمة الدول الأفريقية فيه، وإنشاء جهاز فعال لدعم هذا الصندوق ورصد كل ما تحتاجه تلك البلاد الأفريقية التى تكافح ضد الاستعمار وغير ذلك من أساليب المقاومة الأخرى مثل إنشاء المحطات الإذاعية وغير ذلك، كما طالب المؤتمر بجلاء القوات البلجيكية عن رواندا وبوروندى أكثر الدول الأفريقية ازدحاماً بالسكان وأكثرها فقراً، ويتواجد السكان فى المناطق الصالحة للزراعة مما أوجد ضغطاً كبيراً على الأرض الزراعية وأدى الرعى الزائد إلى تعرية التربة خاصة فى الأقاليم المرتفعة الممتدة من الشمال الغربى جنوب وسط البلاد وبقية الأراضى قليلة الكثافة. ونتيجة للكثافة السكانية فى الدولتين اتجه غالبية السكان إلى الهجرة الخارجية فيخرجون من رواندا إلى أوغندا ومن بوروندى إلى تنزانيا وزائير.

وتعد الزراعة الحرفة الرئيسية للدولتين. يزرعون من المحاصيل الكاسافا والفول والذره والبطاطا ويعيش غالبهم في أكواخ على شكل خلية النحل ويزرعون حولها الخضر والموز، ويزرعون فى المناطق المرتفعه البن، أما القطن ونخيل الزيت فيزرع فى بعض مناطق الوادى الأخدودي، وتشكل هذه المحاصيل وخاصة البن الاقتصاد النقدى للبلاد، وتمارس الرعي قبائل التوتسى في بوروندى وشمال شرق رواندا.

وتقوم البلاد بأعمال التعدين حيث ينتج القصدير وبعض المعادن المرتبطه به تستخرج من شمال بحيرة تنجانيقا وشرق بحيرة كيفو وكيجالى عاصمة رواندا ويصل سكانها إلى ١٢٠,٠٠٠ نسمه وهى فى الوادى الأخدودى في الطرف الشمالى الشرقى لبحيرة تنجانيقا وتمر عبر طريقها التجارة الدولية حيث تنقل بالقوارب إلى كيجوما فى تنزانيا، ثم بالسكك الحديدية إلى دار السلام. كما تنقل إلى ميناء كاليمس في زائير ثم بالسكك الحديدية إلى نهر الكونغو أو كاساى حتى متادى على ساحل المحيط الأطلسى.

ويتكرر في الطريق إعادة شحن البضائع، الأمر الذى يضعف من صلاحية البضائع المصدرة. والتوتسى بالرغم من أنهم يمثلون حوالى ١٥٪ من السكان فى رواندا إلا أنهم هم الذين يحكمون البلاد، وقد فاز بول كاجاجي بمقعد الرئاسة فى رواندا بنسبة ٩٥٪ فى عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م من الأصوات وهو ينتمى إلى عرقية التوتسى وهم يمثلون حوالى ١٥٪ من السكان والهوتو يشكلون ٨٥٪ من الشعب مرشحهم هو تواجيرا مونجو حصل على ٣,٥٪ من الأصوات. والصراع بين التوتسى الأقلية (١٥٪) والهوتو الأغلبية (٨٥) بينما التوتسى الأقلية هم أبناء الصفوة وتتركز فى أيديهم السلطة والثروة والتعليم منذ الاستعمار البلچيكى الذى رحل عن

البلاد عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، ويعيش الهوتو على الفتات مهمشين مطحونين في رواندا في وسط أفريقيا.

ولن تستقر أحوال رواندا مادام هذا حالها، فالهوتو يسعون لنيل حقوقهم بقوة السلاح وربما يدفعهم إلى ذلك أكثر نجاح نظرائهم فى بوروندي المجاورة الذين يعيشون الظروف نفسها ويقتسمون السلطة مع االتوتسى تنفيذا لاتفاق سلام تم إبرامه في ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م بعد كفاح عسكري وسياسى طويل راح ضحيته أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ إنسان منذ عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

أريتريا:

في مطلع القرن ١٠هـ / ١٦م بدأت البرتغال أولى محاولات الاستعمار الغربى للسيطرة على أريتريا كى يكون لها موطئ قدم يحاصرون به باب المندب ويؤمنون التجارة القادمة عن طريق رأس الرجاء الصالح، ثم كانت محاولة مصر بعد ذلك للسيطرة على أسمره فى عهد الخديوية وبعدها انتقل الصراع على أريتريا بين انجلترا وفرنسا إلى عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م فأعلنت إيطاليا الحماية على منطقة أريتريا، وفى عام ١٣٠٨هـ ١٨٩٠م أصدر ملك إيطاليا مرسوماً بتأسيس مستعمرة أريتريا، ثم بعد ذلك جاءت فترة استعمار بريطانى من ١٣٦٠ - ١٣٧٢هـ / ١٩٤١ - ١٩٥٢م وكانت آخر مراحل الاستعمار الأجنبى والسيطرة الخارجية على أريتريا من قبل الأثيوبيين، حيث ضمت أثيوبيا أريتريا لتصبح ضمن أراضيها حتى جاء عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١ لتسيطر حركة التحرير الوطنى الأرتيرى على العاصمة أسمره، وتفتح بذلك طريق الاستقلال أمام أريتريا على مصراعيه. وفى عام ١٤١٢هـ /يونيه ١٩٩١م تم تشكيل حكومة أريتريه مؤقته وفى

١٤١٢هـ / أغسطس ١٩٩١ وقع الرئيس الأثيوبى مليس زيناوى رئيس الحكومة الانتقالية الأثيوبية والرئيس الأريترى أسياسى أفورقى رئيس الحكومة الأريتريه المؤقته اتفاقاً اعترفت فيه أثيوبيا بموجبه بحق أريتريا فى تقرير المصير، وقد حدد رئيس الحكومة الأريتريه المؤقته أسياسى أفورقى مهام المرحلة المؤقته والتى بدأت من ١٤١٤هـ / مايو ١٩٩٣ عندما يتم إجراء الاستفتاء ولمدة ثلاثة أيام شارك فيه ثلث سكان أريتريا تقريباً (٢,٥مليون) نسمه. وقد جاءت نتيجة الاستفتاء الذى أشرفت عليه هيئة الأمم ومنظمة الوحدة الأفريقية وبعض الهيئات الأخرى بموافقة (٩٩٪) من الشعب الأرتيرى على الاستقلال .

وبذلك صارت أريتريا دولة مستقلة ورفع العلم الأرتيرى فى احتفال عام للدولة الجديدة حضره عدد من رؤساء الدول في ١٤١٤هـ / ٢٣ مايو ١٩٩٣م وفى اليوم التالى من الاحتفال عقد المجلس الوطنى الأرتيرى أولى جلساته فى أسمره وتم انتخاب أسياسى أفورقى رئيساً للمجلس والحكومة الأرتيريه الانتقاليه التى حلت محل الحكومة المؤقته وأصبح أفورقى القائد الأعلى للقوات المسلحة ومنح صلاحيات كاملة بصفته رئيساً للحكومة للتصرف في كافة شئون الدولة.

ويبلغ طول الساحل الأرتيرى (١٠٨٠كم) وأسمره العاصمة ولموقع أريتريا أهمية كبرى للملاحة البحرية فى المنطقة من شمال قناة السويس حتى باب المندب. وهذا الموقع الجغرافى الهام لأريتريا يفرض عليها إقامة علاقات متينه مع الدول المحيطة بها. السودان فى الشمال وأثيوبيا في الجنوب وجيبوتي فى الجنوب الشرقى من أريتريا والجانب الشرقى للبحر الأحمر المقابل لأريتريا تقع المملكة السعودية واليمن، وتقدم السعودية للاريتريين تسهيلات كبيرة ويقيم فيها ما يجاوز الأربعين ألف أريترى.

وأريتريا يوجد بها النفط فى جزيرة «دهلك» ومناجم الذهب والنحاس وخام الحديد والفضة والرخام وفى أريتريا أراضى زراعية شاسعة. وبها ميناء مصوع وهو ميناء هام.

المجتمع الأريترى :

تشكل المجتمع الإريترى من هجرات أدت إلى تزاوج بين العناصر السامية والحامية الزنجية، وهى تتألف اليوم من تسع مجموعات بشرية مختلفة ا لأديان والطباع والعادات والتقاليد وأعراف الحياة فهناك «التجراى» وهم مجموعة من القبائل الرعوية ا لتى تتكلم لغة التجرى وهى قبيلة مسلمة فى الغالب ماعدا أقلية مسيحية تعيش على طول الشريط الساحلى الشمالى وحول المرتفعات الشمالية وفي منخفضات بركه، وهناك العرب «الرشايده» وهم قبيلة تنتشر على طول الشريط الساحلى الممتد من ميناء مصوع فى الوسط إلى خط الحدود الشمالى مع السودان وهم جميعاً مسلمون وهناك قبائل «الساهو» التى تعيش فى مناطق الحافة الشرقية للهضبة الأريتريه فوق السهول والسفوح المنحدرة نحو الساحل في القسم الأوسط من أريتريا، وهم مسلمون فى الغالب، وقليل منهم مسيحيون.

وهناك البلين وغلبيتهم مسلمون وبينهم أقلية مسيحية، يقيمون عند الطرف الجنوبى للمرتفعات الشمالية حول مدينة كرن. وهناك «الحوارب» أو «البداويت» وهم قبائل رعوية فى الغالب موزعة على مناطق الحدود الشمالية مع السودان. ووسط إقليم بركه، ويدينون جميعهم بالإسلام. وهناك «التجرينيه» وهى أكبر القوميات الأريتريه وتقيم فى مقاطعات الهضبة الأريتريه ، «والتجرينيه» هي اللغة الرسمية المعتمدة فى أريتريا إلى جانب اللغة العربية ويعتنق غالبيتهم المسيحية باستثناء أقلية تعتنق الإسلام.

وهناك «الباريا» أو «النارا» وهؤلاء ينحصر وجودهم فى أواسط إقليم بركة الغربى المجاور للسودان وهم جميعاً مسلمون وهناك «العضر» وهم سكان الشريط الساحلى الجنوبى المعروف باسم «دنكاليا» والممتد من ميناء مصوع حتى مضيق باب المندب، والعضر أو الدناكل مسلمون بأجمعهم وهناك البازا أو الكوناما. ويتركز وجودهم فى ضواحى مدينة بارنتو والمناطق الواقعة إلى الجنوب الغربى منها على امتداد سهل القاش، وأكثريتهم مازالوا على الوثنية فيما اعتنقت مجموعة صغيرة منهم الإسلام أو المسيحية.

ونتيجة لهذه التقسيمة السكانية لأريتريا فإنه عند إعداد الدستور كان لابد من الاستعانه بذوى الخبرة من قانونيين وباحثين واجتماعيين وشخصيات سياسية مع الاستفادة بتجارب الشعوب للوصول بالدولة إلى الإيجابيات مع تجنب السلبيات من الأمور.

ومن الناحية الاقتصادية؛ فأريتريا تعمل لوضع سياسة اقتصادية تنموية واقعية متوازيه . كما تعمل الدولة على تشجيع القطاع الخاص.

دور المرأة الأريتريه :

لم يقتصر دورالمرأة الأريتريه على تربية النشئ، فهى قد ساهمت فى تحرير البلاد بحمل السلاح ومشاركة الرجال فى تحمل المشاق وساهمت بكل الصور جنباً إلى جنب مع الرجل. ولذلك ينتظر أن يكون للمرأة الأريتريه دور كبير فى الحياة السياسية وإدارة شئون الدولة مثلها مثل الرجال، فقد وقفت جنباً إلى جنب مع الرجل فى حمل السلاح حتى تم تحرير البلاد والحصول على الاستقلال.

أريتريا ودول الجوار:

فى ١٤٢٣هـ / أبريل ٢٠٠٢م وافقت أسمره العاصمة الأريتريه على قرار اللجنة الخاصة بترسيم الحدود بين أريتريا وأثيوبيا الصادر فى ١٤٢٣هـ / ١٣ أبريل ٢٠٠٢هـ فى لاهاى واعتبرته نهائياً ولا عودة فيه. وهكذا انتهت الحرب بين أثيوبيا وأريتريا فى منطقة حوض النيل. كما أن الأوضاع قد استقرت بين أريتريا واليمن حول الحدود المائية فى أرخبيل حنيش بالبحر الأحمر. وبعد احتلال أريتريا لجزيرة حنيش ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م واستقرت العلاقات بعد ذلك بين البلدين بعد أن أخلتها أريتريا عقب التحكيم الدولى.

كما أنشأت ليبيا منظمة مع دول الساحل والصحراء ودولا من غرب أفريقيا وتشمل السودان وأريتريا وجيبوتى وهى دول فى حوض النيل، ولهذه المنظمة الليبية نشاط اقتصادى واستثمارى وثقافى وسياسى ومعونات مالية وإغاثه إنسانية، كما أن السعودية لها نشاط بدول شرق أفريقيا ومنها أريتريا حيث للسعودية نشاط تعليمى يتبع المنهج السعودى.

وقد يكون من الأفضل أن يوجد تنسيق للسياسة العربية فى دول شرق أفريقيا توحيداً للجهود العربية الأفريقية.

دول الأندوجو:

هى دول حوض النيل وتكونت من تسع دول فى عام ١٤٠٤هـ / ١٩٩٣م انضمت أريتريا بعد الاستقلال إلى دول حوض النيل ليصير العدد عشرة، والأندوجو كلمة سواحليه تعنى الإخاء أى أن الدول الإفريقيه العشر هم أفراد أسرة واحدة.

جزر القمر:

جمهورية مستقلة وهى تتكون من عدة جزر تقع فى المحيط الهندى بين شمال جزيرة مدغشقر والساحل الأفريقى عند دائرة ١٢ جنوباً ومساحتها ١٦,٠٨٣كم٢ (ستة عشرألفاً وثلاثة وثمانون كيلومترا مربعاً، وعاصمتها مورونى وقد انضمت دولة جزر القمر إلى جامعة الدول العربية عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م تاريخ استقلالها وكانت تابعة لفرنسا. وفى يونيو ٢٠٠٢ / ١٤٢٣ هـ قام العقيد عثمان غزالى بتشكيل أول حكومه لجمهورية جزر القمر الاتحادية.

مدغشقر:

جمهورية مستقلة مساحتها ٥٩١,٦٧٥ كم٢ وهى جزيرة بالمحيط الهندى يفصلها عن الساحل الأفريقى مضيق موزمبيق.

أهم صادراتها البن ويزرع على السفوح الممتدة بين السهل الساحلى الخصب والجبال الداخلية التى تغطيها الغابات. ومن غلاتها الأخرى الأرز والذره والفانيليا وقصب السكر والسيسل والراميا.

أهم موانيها تامانيف وتربطها سكك حديدية بالعاصمه تاناناريف ويماجونجا يسكنها الملاجاش وهم عنصر مالاوى.

اعترفت بريطانيا بالحماية الفرنسية على الجزيرة بعد حروب فى ١٣٠٨هـ / أغسطس ١٨٩٠م وعارضت المقاومة الوطنية الفرنسيين، ثم رضخت وأصبحت الجزيرة وملحقاتها فرنسية وفى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م صارت مدغشقر عضواً بهيئة الأمم المتحدة وفى نفس الوقت انضمت لمنظمة الوحدة الأفريقية (الاتحاد الأفريقى).

وفى يونيو ٢٠٠١م / ١٤٢٢هـ اجتمع ستة من الزعماء الأفارقه لبحث نزاع قام بين الزعماء فى مدغشقر فى أديس أبابا العاصمة الأثيوبية وحضرها ستة من رؤساء الدول الأفريقية ودعا الزعماء الأفارقة إلى إجراء انتخابات فى مدغشقر لحل الأزمة السياسية بين حكام مدغشقر واجتمعت لجنة فض المنازعات في منظمة الوحدة الأفريقية ودعا الزعماء الأفارقه مانانا وراتسيراكا إلى حل الميليشيات وإزالة الحواجز من الطرق ووقف كل أعمال العنف فى مدغشقر وانتهى الأجتماع في نفس عام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م واعترف المجتمع الدولى برئاسة مانانا لدولة مدغشقر.

موزمبيق :

يرجع النفوذ البرتغالى بها إلى القرن ١٠هـ / ١٦م، حيث أنشئت بعض المراكز مبكراً وامتدت السيطرة البرتغالية حتى رأس دلجادو شمالاً فى الوقت الذى كان فيه النفوذ العربى يضعف تدريجياً في هذه المناطق الساحلية. وكان هدف البرتغال الرئيسى من وراء ذلك هو السيطرة على طريق التجارة فى المحيط الهندى. وأصبحت موزمبيق مرتبطه بالمستعمرات البرتغالية في الهند .منذ أواخر القرن العاشر هـ / ١٦م بل إنها فى بعض الأوقات كانت تحكم مباشرة من جوا المستعمرة البرتغالية على ساحل الهند.

وقد استمر التوغل نحو الداخل متتبعاً مجرى نهر الزمبيزى، ولكن عندما حاولت البرتغال ربط مستعمرة موزمبيق بمستعمرة أنجولا عبر وسط جنوب القارة فشلت فى ذلك بسبب التغلغل الإنجليزى ونشاط سيسل رودس فى هذا الإقليم من وسط أفريقيا. وقد تحددت حدود موزمبيق فى عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م، ولم يحدث تغير فيها بعد ذلك سوى إضافة مساحة صغيرة من مستعمرة شرق أفريقيا الألمانية عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٩م وقد استقر

البرتغاليون على شواطئ موزمبيق بعد مقاومة عنيفه من شعب موزمبيق ضمن مناطق أخرى من القاره الأفريقيه وجعلوا من موزمبيق قاعدة بحرية لهم تبحر منها السفن شرق الهند إلى جواراسا.

ثم ضعف البرتغاليون وطردوا من الخليج العربى فى الربع الأول من القرن الحادى عشر هـ / السابع عشر م ثم ظهر العثمانيون وقويت شوكتهم ، وخرج الساحل من قبضة الاحتلال البرتغالى وبقى فى المناطق الداخليه من أفريقيا يستغل الموارد الهامة للقارة بينما عادت العلاقات الثقافية والتجارية مع المراكز الإسلامية الرئيسية. وشهد القرن الثانى عشر الهجرى / الثامن عشر الميلادى مولد مدن وممالك سواحليه معظمها عربية. ومن هذه القواعد العربية بدأ التوغل الجدى من الساحل إلى داخل القارة.

ثم بدأ الصراع بين البرتغاليين والبريطانيين على امتلاك مساحات من الأراضى داخل القارة الأفريقيبة واتسع نفوذ بريطانيا حتى روديسيا واتسع شمالاً واستطاعوا وقف البرتغاليين من العمل على فتح طريق عبر القارة الأفريقية بين أنجولا التى تقع غرب أفريقيا وموزمبيق وتقع على ساحلها الشرقى. وقد حصلت موزمبيق وأنجولا على استقلالهما فى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

وفى عام ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م استضافت موزمبيق القمة الإفريقية الأولى. ثم شرعت موزمبيق فى القيام بالاتصالات وحضور الاجتماعات لتحسين أحوالها الاقتصادية. ففى عام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م انضمت موزمبيق إلى اجتماع يضم مجموعة من الدول الأفريقية وهم رئيس جنوب أفريقيا ورؤساء زامبيا وناميبيا وبتسوانا وتنزانيا ومالاوى وبحضور رئيس وزراء كندا إلى بريتوريا للتباحث في سبل فتح الباب أمام المنتجات والسلع الأفريقية لدخول الأسواق العالمية وجذب الاستثمارات إلى أفريقيا.

الصومال :

بدأ اهتمام فرنسا بشرق أفريقيا في الربع الأخير من القرن الثالث عشر هـ/ التاسع عشر م. عندما أنشأت فى عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م في أبوك المطلة على مدخل البحر الأحمر فى شمال ما عرف بعد ذلك بالصومال الفرنسى، ثم أعلنت حمايتها بعذ ذلك بسنوات على هذه المنطقة التى تشكل مع موانيها أهمية استراتيجيه كبرى حيث تتحكم في مضيق باب المندب، وقد أنشأ الفرنسيون بعد ذلك خطاً للسكك الحديدية ممتداً من ميناء جيبوتى حتى أديس أبابا فى عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م وفي عام١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩هـ إحتلت ساحل البحر الأحمر الجنوبى ثم استولوا فى عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م على مينائى مصوع وعصب، وفى عام ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م أعلنت إيطاليا الحماية علي منطقة أريتريا ثم امتد نفوذها بعد ذلك إلى الصومال الشرقى المطل على المحيط الهندى، وفى عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م قامت الحرب العالمية فقامت إيطاليا بمهاجمة الصومال البريطانى وأخرجت القوات البريطانية منها لتحل محلها. ثم تغير الموقف العسكري لصالح البريطانيين، واستسلم الإيطاليون وحل محلهم البريطانيون في عام ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م .

وفى عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م انتهت الحرب العالمية الثانية وتولت هيئة الأمم المتحدة موضوع استقلال الصومال فى عام ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م ثم قررت منح الصومال استقلالها بعد عشر سنوات تبدأ من عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م وفى عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م أصبحت الصومال عضواً فى المجلس الاستشارى لهيئة الأمم المتحدة، ثم اتحد الإقليمان الصومالى الإيطالى والصومالى البريطانى ليصبحا دولة واحدة مستقلة فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

وجمهورية الصومال تحتل موقع استراتيجى ممتاز فهو يقع فى مدخل

البحر الأحمر جنوباً ويواجه الجزء الجنوبى من شبه جزيرة العرب، كما يقع على ساحل المحيط الهندى وهذا الموقع الممتاز جعل الدول الاستعمارية ترسم سياسات بعيدة المدى لربطه بها حتى تتحكم فى هذه المنطقة الهامة من أفريقيا، وفضلاً عن ذلك ففيه ثروات معدنيه وزراعية تحتاج إلى بذل قليل من الجهد العلمى والمادى لتملأ البلاد خيراً.

ففى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م اجتمع زعماء الإقليم الشمالى والإقليم الجنوبى فى مقديشو، وأصدروا بيانا يعلن استقلال ووحدة الإقليمين الصوماليين، وتم انتقال السلطة من الحاكم الإيطالى إلى الحاكم الوطنى آدن عبد الله عثمان الذى صار رئيساً لجمهورية الصومال المستقله فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ولم تترك القوى الاستعمارية الدولة الصومالية لتنمو وتتطور في طريقها الصحيح. وتدخلت يد الاستعمار لتوقع بين الأشقاء. وحل الخلاف بين زعماء القبائل محل الوفاق وتحول الخلاف حتى وصل إلى المواجهات المسلحة. وصدرت قرارات من مجلس الأمن لحظر السلاح ومنع تصديره إلى الصومال.

وعلى الرغم من هذا الحظر الذى صدر فى العقد الأخير من القرن ١٤هـ/ ٢٠م إلا أن السلاح يصل مهرباً من الأقاليم المجاورة للصومال حتى يستمر الموقف مضطرباً والأمن مفقوداً، ثم أصدر مجلس الأمن فى أوائل عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م باستمرار الحظر المفروض على تصدير الأسلحة للصومال.

وتقوم الجامعة العربية بمحاولات للمصالحة الصومالية والعمل على تعزيز الجهود في هذا السبيل. وقد عقد مؤتمر للمصالحة الصومالية في نيروبى حيث شكلت لجنة الصومال من عشرة أعضاء على مستوى المندوبين من الجامعة العربية فى ١٤٢٣هـ /مايو ٢٠٠٠م لبحث تعزيز الدور العربى فى المصالحة الصومالية قبيل انعقاد مؤتمر المصالحة فى نيروبى.

جيبوتى :

تنافست كل من بريطانيا وفرنسا فى القرن التاسع عشرم الثالث عشرهـ على الأرض الأفريقية. وقد سبقت فرنسا بريطانيا في استعمار جيبوتي والسيطرة علي خليج تاجورا من خلال مجموعة من الاتفاقيات التى عقدتها مع سلاطين المنطقة وشيوخها فى أعوام ١٨٦٢، ١٨٨٤، ١٨٩٦م / ١٢٧٩، ١٣٠١، ١٣١٤هـ، وعندما أعلنت فرنسا اتجاهها لتصفية مستعمرتها جيبوتى اشتعل الصراع السياسى بين الصومال وأثيوبيا، كل منهما يدعى أحقيته المطلقة فى جيبوتى ، فالصومال تعتبر جيبوتي وخليج تاجورا الذى تطل عليه جزءاً أساسياً من الوطن الصومالى بأقاليمه الخمسة وجيبوتى هى ذلك الإقليم الخامس الذى يجب أن يعود إلى الوطن الأم والصومال يستند فى ذلك إلى أسس حضارية ودينيه وتاريخيه وعرقيه قوية. فكل الساحل الصومالى بما فيه جيبوتى وأوجادين جزء أساسى من الامتداد الجغرافى الطبيعى للصومال، والقبائل التى تسكنه هى أيضاً امتداد (عرقى) وبشرى للقبائل الصومالية القديمة واللغة واللهجات متقاربة مترابطة.

والحبشة تصر من ناحية على أحقيتها في ضم جيبوتى إليها زاعمة أنها امتداد جغرافى وبشرى لها وأن الإمبراطورية الحبشية مارست نفوذها على هذا الساحل منذ أقدم العصور وخاصة منذ توسع الإمبراطورية وتمددها الجغرافى على يد الإمبراطور منلك(١٨٨١ - ١٩١٣م / ١٢٩٩ - ١٣٢١هـ) مؤسس أثيوبيا الحديثة.

وفى عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م أجرى استفتاء شعبى فى جيبوتى جاءت نتيجته بتأييد ٩٨٪ من شعبها البالغ حوالى ربع مليون نسمه أنذاك الاستقلال

عن فرنسا وأوقفت محاولات الإلحاق والضم. وفى يونيو ١٩٧٧م / ١٣٨٩هـ أعلن الاستقلال وتم رفع العلم الوطنى الجيبوتى وأصبحت العضو ١٤٨ فى منظمة الأمم المتحدة والعضو رقم ٤٩ فى منظة الدول الأفريقية (الاتحاد الأفريقي) والعضو ٢٢ فى جامعة الدول العربية.

وجيبوتى هى المدينة الكبرى فى الجمهورية والعاصمة التى يسكنها مايزيد على ٣٠٠ ألف نسمه بينما يبلغ سكان الجمهورية ثلاث أربا ع المليون.

والسكان الذين من أصول عربية وخاصة اليمن وعمان يزيدون على عشرين بالمائه من مواطنى جيبوتى. ويشتغل الكثيرون منهم فى مختلف مجالات العمل فى التجارة وفى الوظائف العامه ومنهم من له علاقة مستمرة فى مواطنهم الأصليه فى بلاد العرب. ومازالوا يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم ولم تزل بيوتهم عربيه.

ولجيبوتى علاقة تعاون مع فرنسا ففى عام ١٩٧٧م / ١٣٩٨هـ وقعت جيبوتى مع فرنسا عدة اتفاقيات فى عدة ميادين مثل التعليم والجيش وانتداب الموظفين والمدربين. ولأثيوبيا حدود مع جيبوتى فى الشمال والغرب والجنوب الغربى، كما أن للصومال حدود مع جيبوتى فى الجنوب الشرقى وكلا البلدين له روابط تاريخيه طويله مع جيبوتى، وبعض القبائل فى هذين البلدين لها امتدادات في جيبوتى.

ومن الدول التى خضعت للحم البريطانى ، روديسيا الشمالية (زامبيا) وروديسيا الجنوبية، ونياسالاند، ارتبطت فى اتحاد فيدرالى استمر عشر سنوات (١٩٥٢ -١٩٦٣م / ١٣٧٢ - ١٣٨٢هـ) ثم استقلت نياسالاند عام ١٩٦٤م / ١٣٨٣هـ وغيرت اسمها إلى مالاوى، وكذلك روديسيا الشمالية التى غيرت اسمها إلى زامبيا. أما روديسيا الجنوبية فقد تحول اسمها إلى زيمبابوى.

وفى أفريقيا تتعدد الوحدات السياسية وتتباين من حيث الحجم والشكل والسكان والموارد، وتعد السودان والجزائر وزائير أكبر دول القارة مساحة كل منها نحو ألف مرة قدر مساحة موريشيوس، ومع ذلك فإن السياسة المصرية تعتبر جمهورية موريشيوس نقطة ارتكاز لها في المناطق الأفريقيه الفرعية حيث يوجد بها أسواق واعدة تمثل حالة نمو اقتصادى، ورئيس جمهورية موريشيوس هو الرئيس أتيroood جوجنوت، ولها سفارة بالقاهره.

سيشل :

تقع فى المحيط الهندى، مساحتها ٤٠٥كم٢، وتضم ٩٢ جزيرة بركانية، وتقع على بعد ١٦٠٠ كم من زنجبار وعاصمتها فيكتوريا على جزيرة هي أكبر الجزر، احتلتها فرنسا فى القرن ١٢هـ / ١٨م ثم تنازلوا عنها لبريطانيا فى عام ١٢٣٠هـ / ١٨٤١م. تصدر الكوبرا والفانيليا والقرفة وسماد الجوانو. يتكلم السكان بلهجة فرنسية.

إما جزيرة ريونيون :

فتقع فى المحيط الهندى، فى شرق جزيرة مدغشقر ولفرنسا قاعدة عسكرية فيها.

دول غرب أفريقيا

جامبيا
سيراليون
غانا
نيچيريا
بنين
السنغال
غينيا
كوت ديڤوار
ڤولتا العليا
النيجر
مالى
ليبيريا
كيب فرد
توجو
غينيا بيساو

غرب أفريقيا

جامبيا

فى عام ١٦٦٤م / ١٠٧٥هـ بدأ الإنجليز في إنشاء قلعة عند مصب نهر جامبيا، وتبدو جامبيا كجيب طولى يمتد فى جنوب السنغال من الشرق للغرب حول النهر الذى أخذت منه اسمها، وهذا النهر يمثل لها العمود الفقرى. وتمتد معه بطول يصل إلى ٢٣٠كم٢ ويصل عدد سكانها إلى ما يربو على ثلاثة أرباع مليون نسمه ويرتادها كثير من السنغاليين حيث تعد امتداداً طبيعياً للسنغال ويمارس السنغاليون العمل والتجارة فى جامبيا. وأهم مدن جامبيا بانجول وهى العاصمة وتقع على المصب الخليجى لنهر جامبيا وهى تصدر الفول السودانى ومدينة سركندا وهى مدينة صغيرة ويزرع الأهالى الأرز فى الجهات الساحلية والدخان، ومعظم سكانها من المسلمين.

وفى عام ١٩٥٤م / ١٣٧٤هـ منحها البريطانيون دستوراً سمح بتولى ثلاثة من الأفريقيين منصب الوزير، وبالرغم من أن الدستور يبيح لجامبيا الخروج من الكومنولث إلا أنهم يفضلون البقاء فيه، ولدولة جامبيا نشاط فى التعاون الأفريقى فى مجالات متعددة منها مجال صناعة وخدمات تكنولوچيا المعلومات والاتصالات لسد حاجة السوق الأفريقية والمساهمة فى تنمية القارة فى إطار مبادرة المشاركة الجديدة والمعزوفه باسم (نيباد) لسد الفجوه الرقمية.

وفى إحدى الاجتماعات التى شاركت فيها جامبيا فى القاهرة على مستوى وزراء خارجية الدول الأفريقية في مايو عام ٢٠٠٢م / ١٤٢٣هـ .

أكد البيان الختامى للجنة الوزراء لوزراء اللاتصالات الأفارقة أهمية توحيد الموقف الأفريقى فى مواجهة القمة العالمية لاتخاذ موقف أفريقى واحد.

سيراليون :

فى عام ١٧٨٧م / ١٣٠٢هـ أنشأ الإنجليز مستعمرة سيراليون فى أول محاولة لهم لتوطين العبيد المحررين بها، وصارت سيراليون محمية بريطانية عام ١٨٩٦م / ١٣١٧هـ. وتبلغ مساحة سيراليون ٧١٧٤٠ كم٢، وعدد سكانها يبلغ نحو ٤,٥ مليون نسمه، وقد خصصت سيراليون أول قيامها لتوطين الرقيق المحررين طبقاً لقانون تحريم تجارة الرقيق. وتم إنشاء أول مستوطنه فى فريتون عام ١٧٨٧م/ ١٢٠٢هـ، ولما تحولت شبه جزيرة سيراليون إلى مستعمرة بريطانية فى عام /١٨٠٨ / ١٢٢٣هـ ظل إنشاء المستوطنات للمحررين على حاله خلال النصف الأول من القرن ١٣هـ / ١٩م، وهؤلاء المحررين هم الذين تولوا شئون البلاد مثلهم مثل شعب ليبيريا ولكن الأهالى الأصليين استطاعوا أن يصححوا الأوضاع ويتولوا هم شئون البلاد.

وفى سيراليون يزرع الأرز فى مناطق المستنقعات الساحلية، كما يزرع النخيل المسمي البياسافا ويستخرج منه ألياف يصنع منها الحبال والفرش وهى المصدر الرئيسى للألياف فى العالم، ومن المنتجات الزراعية نوى نخيل الزيت، ويعد هذا المنتج المحصول النقدى فى قائمة الصادرات، وتنتج سيراليون فى الأقاليم الجنوبية الشرقية البن والكاكاو وهذه الأقاليم كانت تغطيها الغابات قبل تحويلها لأراض زراعية.

كما أن فى سيراليون الثروات المعدنية من خام الحديد والماس، ويصدر الحديد للخارج بعد تعدينه. أما الماس فيوجد فى الجنوب الشرقى من البلاد

فى المناطق الفيضية فى الطبقات الحصوية على عمق قدمين أو ثلاثة. وفى إقليم هانجا عند الجنوب الشرقى لسيراليون، ويتم تعدين الكروم.

وفريتون هى العاصمة والميناء الرئيسيه. وقد تم إنشاءها في عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م ، وتليها فى الأهمية مدينة «بو» وهى ملتقى طرق برية وحديدية فى الجنوب الشرقى من سيراليون. وقد حصلت سيراليون على الاستقلال فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

غانا (ساحل الذهب):

تعد غانا وعاصمتها أكرا من الدول الرئيسية فى غرب أفريقيا وبلغت درجة عالية فى التنمية الاقتصادية بالنسبة للدول المجاورة حيث نجحت فى كثير من المشروعات الاقتصادية مثل مشروع سد نهر الڤولتا الذى يعد أكبر محطات الطاقة الكهربائية فى العالم المولدة للمياه.

وتعد غانا أولى دول العالم فى إنتاج الكاكاو، وقد عرفت غانا تعدين الذهب وصدرته ألى دول الشمال الأفريقى، وتهافتت عليه الدول الأوربية منذ عهد الاستعمار البرتغالى. وتتميز دولة غانا بالتنوع فى المظاهر الطبيعية والاقتصادية وتكون مواردها أساساً لتطور كبير تأثر به ارتفاع الدخل القومى وقامت به عدة من الصناعات. وغانا تعد أكثر الدول المدارية تصنيعاً في أفريقيا وتوجد أغلب الصناعات منها الغذائية فى مثلث كورادى – كوماسى – أكرا ، وتربطها شبكة من طرق النقل على مستوى جيد.

نيچيريا:

نيچيريا أكبر دولة أفريقية فى عدد السكان وقد بلغ عدد سكانها فى عام ٢٠٠٠م / ١٤٢١هـ نحو مائة مليون نسمه، وقد تحررت نيچيريا وحصلت

على استقلالها فى أكتوبر عام ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ وصارت دولة اتحادية عاصمتها أبوجا، وتتمشى أقاليمها الإدارية مع التوزيع العرقى القائم، فالإقليم الشمالى تسود به جماعات الهوسا والفولانى، والشرقى قبائل الإيبو، والغربى جماعات اليوروبا، وتمتد قبائل الإيبو فى الإقليم الغربي.

كما أن هناك جماعات أخرى كثيرة منها الكانورى فى الإقليم الشمالى وبينى فى الإقليم الغربى الأوسط والنوب كذلك فى الإقليم الشمالى.

وتنقسم نيچيريا إلى ١٢ ولاية فيدرالية تختلف مساحة وسكاناً، وتعد الولاية الغربية وعاصمتها إبدان أكبر الولايات سكاناً (١١ مليون) نسمه كما تعد الولاية الشمالية الشرقية أكبرها مساحة (٢٧٢٠٠٠ كم٢) حيث تبلغ مساحتها أكبر من ربع مساحة نيچيريا مجتمعة، ويكون المسلمون نحو نصف سكان نيچيريا ويتركزون فى الشمال بينما تصل نسبة المسيحيين إلى حوالى الثلث ويعيشون فى الجنوب والجنوب الغربى.

وتتمتع نيچيريا بموارد كافية من مصادر القوى، والوقود ويتمثل ذلك في مصدرين رئيسيين هما : البترول والغاز الطبيعى من ناحية والفحم من ناحية أخرى، وقد بدأ البحث عن البترول مبكراً قبيل الحرب العالمية الثانية ولكن لم يبدأ الإنتاج بكميات تجارية إلا فى عام ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨م وذلك فى منطقة الإنتاج؛ فى دلتا النيجر ومنذ ذلك التاريخ بدأ حفر آبار جديدة وتزايد الإنتاج بسرعة كبيرة حتى بلغ ١٣ مليون طن في عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م ثم تغير إلى ٥٤ مليون طن فى عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ثم إلى ١٢٠ مليون طن فى عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م وأصبحت نيچيريا بذلك سابع دول العالم فى إنتاج البترول، وقد أنشئ معمل تكرير البترول للاستهلاك المحلى. وكذلك تعمل الشحومات البترولية في بورت هاركورتا والتى تعد ميناء

تصدير البترول النيچيرى حيث تصلها أنابيب البترول من الحقول المجاورة.

ويكون البترول والغاز الطبيعى نحو ٩٠٪ من جملة صادرات نيچيريا إلى الخارج. وقد أثر اكتشاف البترول والغاز الطبيعى تأثيراً كبيراً فى الاقتصاد القومى لنيچيريا حيث انعكس فى نواحى التنمية المختلفة مثل النقل والصناعة وأنشئت صناعات عديدة منها صناعة الأسمنت والمنسوجات والأخشاب والطاط والصابون والصناعات الغذائية، فضلا عن التنمية الزراعية بالإضافة إلى التعليم والخدمات الصحية.

والمواصلات وهى ذات أثر كبير فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية وأبوجا هى العاصمة الفيدرالية والميناء الرئيسى لنيچيريا. وقد أنشئت على جزيرة لاجوس الساحلية ثم امتد العمران إلى الجزر المجاورة من جزيرة إدو فى الشمال الغربى وجزيرة إكوى فى الشرق ثم إلى اليابس المجاور التى ترتبط معه بجسر يمر عليه خط حديدى نحو الشمال ثم يتفرع إلى ضواحى المدينة.

وقد مارس الأوربيون تجارة الرقيق فى لاجوس، ولاجوس من المراكز الصناعية الهامة فى نيچيريا ويصلها بالداخل خط حديدى. وتمتد الخطوط الحديدية حتي كانو وتجورو فى أقصى الشمال الشرقى.

ومدينة أبدان وهى عاصمة الإقليم الغربى وبها أكبر مركز صناعى هام لصناعة التبغ والصناعات الغذائية والبلاستيك والإطارات، كما يتفرع منها الخطوط البرية والجوية. وقد كافحت نيچيريا من أجل الوحدة الوطنية والاستقلال حتى تمكنت من طرد المستعمر. وفى أكتوبر عام ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ تحقق لنيچيريا الاستقلال.

وعن نشاط فرنسا فى الغرب الاستعمارى، فقد أنشأت مراكز تجارية فى

القرن ١١هـ / ١٧م على ساحل غرب أفريقيا بعض.المزارع العلمية في وادى نهر السنغال الأدنى فى أوائل القرن التاسع عشرم/ الثالث عشر الهجرى ونجحت بعض هذه المراكز التجارية وبسطت فرنسا سيطرتها على الساحل ثم شرعوا فى الاتجاه نحو الداخل. ففى الخمسينات من القرن ١٩م / ١٣هـ أقاموا مشروع لربط ممتلكاتهم بخط أرضى مباشر وقد عبرت بعثة فرنسه عام ١٨٦١م / ١٢٧٨هـ أراضى السنغال إلى منتصف النيجر وأنشأت اتصالاً مباشراً بالممالك المحلية في أرض الساڤانا التى عرفت باسم السودان الفرنسى.

ثم قامت البعثات العسكرية التى فرضت معاهدات مع الأفارقة وبنت قلاعاً في الأماكن الهامة. ففى عام ١٨٨٣م/ ١٣٠١هـ بنت قلعة باماكو ثم امتد النفوذ الفرنسى إلى الداخل من الساحل الجنوبى من داهومي، وبذلك تم الاتصال الأرضى بين المستعمرات الفرنسية من السنغال إلى داهومى (بنين).

بنين (داهومى)

بعد دستور الجمهوية الخامسة فى فرنسا فى عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م أعيد تنظيم المستعمرات الفرنسية، استقلت ساحل العاج وداهومى (بنين) وڤولتا العليا والنيجر وأفريقيا الوسطى والسنغال والجابون ومالى وموريتانيا واتحدت السنغال ومالى فى عام ١٣٧٦هـ ١٩٥٩م فى اتحاد مالى ثم انفصلتا بعد ذلك وتحقق الاستقلال فى ١٣٧٧هـ / ١٩٦٠م.

واتحدت جمهوريات تشاد وأفريقيا الوسطى والجابون والكونغو (برازافيل) فى اتحاد اقتصادى وحصلوا على الاستقلال فى عام ١٣٧٧هـ / ١٩٦٠م . ثم استقلت المناطق الواقعة تحت وصاية فرنسا وهى الكاميرون

وتوجو وأصبحتا جمهوريتين عام ١٣٧٧هـ / ١٩٦٠م.

أما بنين (داهومى) فهى تمتد امتداداً طولياً نحو الداخل بجبهة بحرية ضيقة، بينما يضيق اتساعها من الغرب بشكل واضح، مساحتها ١١٢٦٢٢كم٢ يسكنها حوالى ٥ مليون نسمه عام ١٤٢١ه / ٢٠٠٠م ، وفى العهد الاستعمارى أقيمت حدود سياسية وتعرضت قبائلها للتقسيم.

وقد بلغ عدد أشجار النخيل فيها نحو ٣٠ مليون نخله منزرعة فى أرض مساحتها ٤٠٠كم٢ في الجنوب. وقد استطاع الأهالى فى بنين استصلاح البحيرات الساحلية وزرعوها زراعة كثيفة بالذره والكاسافا والكوبرا بخلاف المناطق الداخلية التى تنتج الفول السودانى والبن والقطن. ولقد عمل الفرنسيون على ربط مستعمراتهم بعضها ببعض حتى امتد نفوذهم من الساحل الجنوبى من داهومى إلى السنغال فى الربع الأخير من القرن ١٣هـ / ١٩م. وفى عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م أقيم اتحاد أفريقيا الفرنسية الذى ربط بين داهومى (بنين) بالسنغال وغينيا الفرنسية وساحل العاج. وقد حصلت داهومى (بنين) على الاستقلال فى عام ١٣٨٠ / ١٩٦٠م.

وفى عهد الاستقلال أصبح لبنين ارتباطات بينها وبين الدول الأفريقية وأيضاً الدول الأوربية والأمريكية من ارتباطات مالية ونقدية وجمركية وذلك مثل اتفاقية لومى مع دول الاتحاد الأوربى والتى صارت الأن اتفاقية كوتونو عاصمة بنين.

السنغال :

هى منطقة سواحل الأطلنطى وفيها عاصمة أفريقيا المدارية الغربية دكار ومساحتها ١٩٦٠٠٠ كم٢، وبعدد من السكان يصل إلى أكثر من ٦ مليون نسمه وهى عالية الكثافة السكانية بالنسبة للدول المجاورة لها.

والسنغال تعد أكثر الدول المدارية قرباً واتصالا بالأوربيين، كما أنها تقع فى منطقة انتقال بين أفريقيا الغربية شمالاً والزنجية جنوباً، وتعد السنغال أكثر أقسام البلاد تقدماً. وشهدت استعماراً فرنسياً مبكراً فى أوائل القرن ١٣هـ / ١٩م واكتملت السيطرة عليها في عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م. وقد شارك السنغاليون فى الجيش الفرنسى، واعتمدت فرنسا فى بعض قوتها العسكرية عيها، وقد بعث السنغاليون بممثلين لهم سياسيين منذ الحرب العالمية الأولى، وشارك النساء السنغاليات فى الانتخابات حيث لهن حق التصويت.

وتمثل الزراعة عماد الاقتصاد السنغالى وتتركز فى النطاق الغربى من البلاد، والسنغال أكبر مصدر للفول السودانى فى العالم . ويجذب محصول الفول السودانى كثيراً من الأيدى العاملة من غينيا ومالى للعمل الموسمى في زراعته وفى حصاده، وتقوم السنغال بعصر أغلب محصول الفول السودانى وتصديره للخارج.

كما تزرع السنغال الأرز على نهر السنغال وفى دلتاه وفى وادى كاسا أوانس الأدنى، وتزرع القطن فى المناطق الداخلية شرق البلاد، وأصبحت تحقق اكتفاءً ذاتياً من منتجاته، كما تصدر الخضروات إلى أوربا وبعض الدول الأفريقية.

وتعد دكار التى أنشئت في عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م محطة ملاحية هامة للسنغال وأيضاً لدول غرب أفريقيا التى ليس لها منفذ مثل مالى . والسنغال محطة ملاحية للسفن الفرنسية التى تبحر منها فى خطوط بحرية لأمريكا الجنوبية.

وفى عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م امتدت خطوط السكك الحديدية، وبعد أن

استخدمت دكار كقاعدة بحرية منذ أواخر القرن ١٣هـ / ١٩م وأقيم بها حاجز للأمواج وصار بها مرفأ به أرصفة وصل طولها إلى ستة كيلو مترات مما جذب إليها آلاف السفن طلباً للمياه والوقود للشحن والتفريغ.

والسنغال بالإضافة إلى كونها ميناء بحرى فهى مركز للاتصالات الجوية وخدمة الطيران بين أوربا وأمريكا الجنوبية وبين أفريقيا وأمريكا الشمالية. ونالت السنغال استقلالها فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

غينيا:

مساحتها ١٠٦٢٠٠ميل مربع وعاصمتها كوناكرى، على ساحل غينيا وعدد سكانها نحو ستة ملايين نسمه، وتعد هضبة فوتاجالون أبرز مظاهر التضاريس فى غينيا وتتميز بصخور الحجر الرملى الأردفيشى والسيلورى المرتكز على قاعدة معقدة تظهر في مرتفعات غينيا وسهول البحر، وقد استصلح السكان مناطق المانجروف وحولوها إلى مزارع علميه.

وتقوم الزراعة فى الأودية العميقة والتى تبدو فيها مراكز العمران البشرى كثيفة، وأبرز المحاصيل التى تزرعها جماعات الفولانى الذره الرفيعة معتمده على موارد وفيرة من المياه سواء من الأنهار أو الينابيع. وتستورد زراعة الموالح والأناناس على منحدرات الأودية والموز فى بطونها.

وتعد كانكان المحطة النهائية لخط السكه الحديد من كوناكرى وهى محطة هامة للمرتفعات الغينية وقد حولت غينيا اقتصادها إلى اقتصاد اشتراكى وسحبت فرنسا مساعداتها لها عقب استقلالها فى ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م وامتنعت فرنسا عن فتح أسواقها للمنتجات الغينية، إلا أن دول شرق أوربا فتحت أسواقها لمنتجات غينيا الزراعية من البن والموز، وبدأ

استغلال المناجم فى غينيا والمزارع بمساعدة الدول الشرقية والاشتراكية كما أنشأوا فى غينيا بعض المصانع. وقد ساعدت الطاقة الكهرومائية المحلية على تنقية وتمويل بعض المعادن وإنشاء الصناعات.

وكوناكرى هى العاصمة وهى أيضاً الميناء الرئيسى فى البلاد. وقد أقيمت كوناكري فى جزيرة تومبو ثم ارتبطت بشبه جزيرة كالوم المجاورة، ويتميز ميناؤها بالعمق. كما بدأ الميناء يشهد قيام صناعات مختلفة من الصابون وتعليب الفاكهة وصناعات البلاستيك، وقد حدث هذا بعد اكتشاف خام الحديد واستغلاله فى عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م.

وكانكان هى المدينة الثانية على نهر فيلو رافد النيجر، وتقع كانكان على نهاية خط السكه الحديد في غينيا الذى يربط المدينة بكوناكرى ممازاد من أهمية كانكان.

كوت ديفوار(ساحل العاج):

تعد ساحل العاج من أغنى المناطق التى بها موارد اقتصادية بوفرة كبيرة إلا أن الغابات الكثيفة بها قد أعاقت تنميتها فلم يصبها التطور الذى سارت عليه دول أفريقية أخرى. ولكن تغيرت ظروف ساحل العاج إلى الأفضل بعد مد خط سكك حديد عبر الغابات حتى بواكيه في عام ١٣٢١هـ / ١٩٣٤م وإلى واجادوجو فى عام ١٣٧٤ / ١٩٥٤م، وتطور العمل بعد إنشاء قناة فريدى، وصار ميناء أبيدجان عميقاً، ومن هنا بدأت ساحل العاج تشهد تقدماً اقتصادياً بفضل وسائل النقل البرية والبحرية.

وقد تطورت مدينة أبيدجان العاصمة والميناء الرئيسى تطوراً كبيراً فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين م/ ١٤هـ حيث تم إنشاء كثير من الصناعات بها. ومدت جسور لتربط اليابس بجزيرة بسام حيث الميناء

والمنطقة الصناعية الرئيسية، وتخدمها المدينة بعدة طرق برية وحديدية تربطها بظهيرها الغنى وتمتد حتى فولتا العليا وترتبط بول غرب أفريقيا بخطوط طيران مباشرة.

ويتميز ساحل العاج بوجود الغابات المدارية المطيرة التى تعد مصدراً هاماً للأخشاب. خاصة الماهوجنى وتصدر ساحل العاج البن والكاكاو ونخيل الزيت والموز. أما الأرز فهو المحصول الغذائى الرئيسى، وساحل العاج تعد ثالث دولة منتجة للبن والكاكاو فى العالم.

ويستخرج الماس وهو أهم المشروعات المعدنية من إقليم بو أحد روافد نهر بنداما إلى الشمال من مدينة سجويلا، كما يستخرج المنجنيز ويعدن بكميات كبيرة ثم يصدر من أبيدجان. وساعد استخراج واستغلال المعادن توليد الطاقة الكهربائية من نهر بيا، وميناء ابيدجان يمتد إلى دولة النيجر، وهو من أكبر الموانى غرب أفريقيا. وساحل العاج غنى بالثروة المعدنية. وقد حصلت ساحل العاج على الاستقلال عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

فولتا العليا:

تبلغ مساحتها ١٠٥٩٠٠ كم٢ ويصل عدد السكان نحو مليون نسمه، وتربتها رملية، ولكنها تزرع زراعة كثيفة بمحاصيل الفول السودانى والذرة الرفيعة وتعانى فولتا العليا من انخفاض المستوى الاقتصادى للسكان ومن قلة الموارد المائية، وتعانى بعض المناطق من انتشار ذباب تسى تسى، الذى يجعل الاستقرار البشرى أمراً بالغ الصعوبة، ولذلك فإن فولتا العليا من أفقر دول غرب أفريقيا، وأكثر صادراتها الماشية، والفول السودانى وعاصمتها واجادوجو.

ويربط فولتا العليا خط السكك الحديدية الذى يمر بواجادوجو وأبيدجان فى ساحل العاج وهو يربط فولتا العليا بدول الساحل الغربى وهو منفذ تجارتها إلى الخارج. والكثافة السكانية عالية بها مما يضطر معه الكثير من الأيدى العاملة إلى الهجرة إلى الدول المجاورة مثل غانا وساحل العاج. وتعد فولتا العليا من الدول الهامة فى التجارة العابرة فى غرب أفريقيا مثل الحيوانات الحية والأسماك المصدره من وإلى ساحل العاج وغانا. وحصلت فولتا العليا على الاستقلال في عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

النيجر:

تقع جمهورية النيجر إلى الغرب من تشاد وشمال نيجيريا ومساحته ١,٢٨٤٠٠٠ كم٢، والسكان نحو ٦ مليون نسمه، يغلب عليها الظاهرة الصحراوية دون غيرها من جيرانها في غرب أفريقيا، ومواردها المائية قليلة، وتعانى من واقعها الداخلى والظروف القارية أكثر من جيرانها. وتوجد الزراعة فى الأطراف الجنوبية لتشاد وعلى طول الجزء الأوسط من الحدود بينها وبين نيچيريا، وأكبر الجماعات العرقية فى النيجر قبائل الهوسا على الحدود بين تشاد ونيچيريا، وتمتد المنطقة المنتجة فى النيجر من بحيرة تشاد حتى مدينة نيامى العاصمة. ونهر النيجر في منطقة الصنغاى وبها تنمو نباتات الاسيس وهى أساس حرفة الرعى.

أما الزراعة فتقوم فى جنوب غرب النيجر فى التربة الرملية المفككة، الذرة الرفيعة، الفول السودانى أهم المحاصيل الزراعية. ومدينتى مارادى وزندر هى مراكز تجارتهما. وفى الأودية الفيضية الموسمية بالقرب من مارادى يزرع القطن والأرز فى إقليم الجرما. وفى وادى النيجر الفيضى الموسمى، كما تزرع فيه بعض المحاصيل مثل الذره الرفيعة والفول السودانى، كما

يوجد القليل من النشاط الزراعى في الشمال فى بطون الأودية في هضبة العبر البركانية.

وتنقسم النيجر عرقيا بين قبائل الصنغاى فى الغرب والهوسا فى الشرق وعاصمتها زندر. أما قبائل الطوارق الرعوية فتعيش فى الشمال وزندر هى المركز التجارى للفول السودانى والجلود والصمغ العربى الذى يصدر عن طريق نيجيريا.

ولا توجد بالنيجر جماعات عرقية رئيسيه وهى مشكلة من ثلاثة أقاليم اقتصادية وثقافية موزعة وغير مميزة، ولأن النيجر دولة مغلقة يصعب اتصالها بالعالم الخارجي وليس لها غير طريق واحد تتجه تجارتها إليه هو طريق كانو في نيجيريا ثم تنتقل منه إلى الجنوب ، إلى بلدة باراكو فى جمهورية بنين ثم القطار إلى كوتونو على الساحل أو تتجه بريا عن طريق واجادوجو ثم تنقل بالسكة الحديد إلى أبيدجان فى ساحل العاج.

وقد حصلت النيجر على استقلالها فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ولجمهورية النيجر علاقات علمية وثقافية مع مصر، ففى ابريل من عام ٢٠٠٢ تم بحث سبل التعاون العلمى والثقافى بين جامعة الأزهر ودولة النيجر والمؤسسات التعليمية والثقافية بالنيجر، وبحث رئيس جامعة الأزهر وسفير دولة النيجر بمصر عقد اتفاقيات علمية وثقافية تربط بين جامعة الأزهر والجامعة الإسلامية للبنين بالنيجر، وطلب سفير النيجر إمداد الجامعة الإسلامية بالمناهج والمقررات وأعضاء هيئة التدريس والمساهمة فى إنشاء وافتتاح الجامعة الإسلامية للبنات التى تنفذها النيجر حالياً.

مالى:

سيطر الفرنسيون على ساحل غرب أفريقيا أوائل القرن ١٣هـ / ١٩م، ثم شرعوا فى الخمسينات حيث اخترقت بعثة فرنسية أراضى السنغال حتى منتصف النيجر وأقامت اتصالات مباشرة مع الأمم الأخرى من الممالك الأفريقية المحلية فى نطاق السافانا الذى عرف بالنطاق السودانى الفرنسى. ثم توغلت البعثات العسكرية التى فرضت معاهدات مع الأفارقة وأقامت عند النقاط الاستراتيجية مثل (باماكو ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م) وفى عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م امتد النفوذ الفرنسى إلى تمبكتو وأعلن قيام اتحاد أفريقيا الفرنسيه فى عام ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م لتشمل عدة دول ومناطق أفريقيه حتى ظهرت الإمبراطورية الفرنسية الكبرى فى غرب أفريقيا.

وفى عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م، ونتيجة لظهور الحركات التحررية فى أفريقيا، حصلت بعض الدول على استقلالها داخل المجموعة الفرنسية، وفى عام ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م اتحدت السنغال ومالى ثم انفصل الاتحاد بعد ذلك، وقد حصلت مالى على استقلالها فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

ودولة مالى ذات مساحة كبيرة تبلغ مليون وربع مليون كيلو متر مربع، إلا أن عدد سكانها سبع ملايين نسمه، ولأن أرضها صحراوية فإن التجمع السكانى بها تزيد كثافته في منطقة التجمع عند ثنية النيجر وأطراف البلاد الجنوبية لوجود الموارد المائية التى تمكنهم من الزراعة، ونهر النيجر هو المصدر الرئيسى للمياه وطريق ملاحى من كورورا (غينيا) إلى العاصمة المالية باماكو التى ازدهرت وكثر فيها العمران منذ الاستعمار الغربى وهى سوق ومركز للمواصلات. وهو مصدر كبير لصيد الأسماك التى تصدر مدخنه ومجففه لدول الجوار.

والماشية مصدر رئيسى فى حركة الاقتصاد حيث يبلغ عددها نحو خمسة مليون رأس، وتصدر الماشية إلى غانا وساحل العاج. ويزرع في مالى في منطقة ماسينا قرب مجرى النهر الأرز، كما يزرع قصب السكر، ومحاصيل الألياف بواسطة الآلات. كما توجد فى مالى زراعة الفول السودانى قرب خط السكه الحديد فى الغرب حيث الأمطار تكفى لقيام الزراعة.

ويعد النقل البرى للتجارة أكثر أهمية من النقل عن طريق الموانى البحرية، والنقل البحرى يتم عبر دكار فى السنغال، ولكنه طريق يستغرق مسافات طويله. أما تجارة الأسماك فتتم بالطريق البحرى إلى غانا وساحل العاج حيث يصدر لهما من موبتسى الأسماك والماشية.

أما تمبكتو ذات التاريخ العريق فى العصر الوسيط حيث كانت طريق للقوافل عبر الصحراء، فقد فقدت أهميتها بعد انعدام القوافل لاستعمال هذه الطرق للعبور.

ليبريا:

فى عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م تأسست جمعية الاستعمار الأمريكيه بقصد إعادة الرقيق إلى أفريقيا التى قدموا منها مرغمين ومساقين بالأغلال إلى أمريكا ليكونوا عبيداً مقهورين. وبعودتهم إلى وطنهم أفريقيا، تعود إليهم حريتهم مرة ثانية.

وفي عام ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م قامت بعثة استكشافية من الولايات المتحده الأمريكية واتجهت إلى شواطئ ليبيريا لمعرفة مدى صلاحيتها للتعمير، وأمكنهم شراء قطعة كبيرة من الأرض بالمبادلة ببعض الملابس والأدوات من أسلحة ومن الدخان وأدوات النظافة والمشروبات الكحولية وغير ذلك من لأشياء القليلة الثمن.

وقد بلغ عدد من بقى من الأحفاد العائدين من السود الأمريكيين نحو خمسة عشر ألف رجل بما يعادل ١٪ من السكان، وقد بلغ عددهم نحو مليون ونصف المليون نسمه. في عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م وقد قدر لأولئك السود العائدين من أمريكا أن يشكلوا الطبقة الحاكمة فى ليبيريا دون غيرهم من أبناء البلاد الأصليين.

وهكذا فقد أصبح الشعب الليبيرى مقسم إلى أغلبية بعيدة عن السلطة وليس لها أية قوة اقتصادية أو سياسية وأقلية متماسكه ومتحدة وتعمل على التمسك بالسلطة والسيطرة على البلاد حتى لا يصل إلى السلطة أحد ممن يمثلون الأغلبية المطلقة فى البلاد ويظلوا محرومين من كل الحقوق التى كفلها لهم العرف والقوانين التى تحكم الشعوب فى أنحاء العالم.

علي أن العلاقة الوحيدة المسموح بها بين الأقلية والأغلبية هى الاختلاط غير المشروع، وقد احتفظ الأبناء غير الشرعيين من ذلك الاختلاط غير الشرعى بأسماء آبائهم من الطبقة الحاكمة والأرستقراطية، وقد ترتب على ذلك أن بدأت الطبقة الحاكمة تضعف ويحدث فيها التفكك والضعف نتيجة للاختلاط بين الأنساب، ولكن استطاع أحد رؤساء ليبيريا وهو الرئيس تايمان أن يرقى بجهوده فى تعيين البعض من المقهورين فى الوظائف، وأن يدخل بعضاً منهم إلى مجلس النواب ومجلس الشيوخ.

وفى عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م قامت جماعة الاستعمار الأمريكية التى كانت تدير شئون ليبيريا بتسليم البلاد إلى جوزيف جنكنز روبرتس وهو أول رئيس وطنى لدولة ليبيريا. وبذلك أصبحت ليبيريا جمهورية زنجية مستقله.

وفى عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م انضمت ولاية ماريلاند إلى ليبيريا وهى أقصى مقاطعات ليبيريا جنوباً.

وفى عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية رسميا بجمهورية ليبيريا، ولكن الاقتصاد الليبيرى يعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية لسيطرة الشركات الأمريكية على اقتصاد البلاد.

ومنذ استقلال ليبيريا لم تشهد تطوراً كبيراً في اقتصادها وتنميتها، فلم تكن هناك دولة مستعمرة تهتم بمد خطوط السكك الحديدية والطرق كما حدث فى الدول المجاورة. وتبلغ مساحة ليبيريا (١١١٠٠٠) كم٢، وعدد السكان نحو ثلاثة ملايين نسمه.

وعند مصبات الأنهار تنمو غابات المانجروف. ويتميز الإقليم الساحلى الليبيرى بوجود نتوءات جبلية اختارها الليبيريون الأمريكيون ليستقروا بها لارتفاعها وملاءمتها للسكنى ولسهولة الدفاع عنها، وعلى إحدى هذه النتوءات البارزة تقع منروفيا العاصمة، وأيضاً مدن روبرتسبورت وبوكانان وعند جرينفيل وهاربر.

وتصدر ليبيريا بعض الحاصلات الغابية وأيضاً قصب السكر والبن والبياسافا. وفى عام ١٣٢٤هـ / ١٩٢٦م حصلت شركة فايرستون على امتياز لتأجير ٤٠٤٧٠٠ هكتار (مليون فدان) لزراعتها بالمطاط لمدة ٩٩ عاماً ثم زرعت مساحة أخرى قدرها ٤٠٤٧٠٠ هكتار (مليون فدان) بنحو ١١ مليون شجرة في شمال شرق منروفيا على نهر كافولا. وهذا يعد أكبر مشروع عالمي. وقد ساعدت هذه المشروعات على زيادة الدخل للحكومة، ويعد مشروع المطاط هاماً لتحسين الأحوال المادية حيث تعانى البلاد من قلة الموارد.

وفى عام ١٩٥١ بدأت ليبيريا فى تصدير خام الحديد، وقد بلغ عائده ما يفوق العائد من المطاط، وفى عام ١٩٤٨ تم بناء الميناء البحرى فى جزيرة بوشرد شمال منروفيا وأجريت فيه عدة تحسينات، وهو ميناء مميز في غرب

أفريقيا، من خلال هذا الميناء يمر المطاط وخام الحديد، ومنه أيضاً تأتى الواردات من الخارج. كما أنشئت موانى أخرى فى بوكانان عند جرينفيل، ومن هذه الموانى تصدر منتجات مزارع المطاط.

وتعد ليبيريا أكبر منتج للحديد الخام فى أفريقيا خاصة بعد إنشاء عدة مناجم للحديد، حتى أصبحت ثالثة الدول المصدرة للحديد فى العالم. وفى عام١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م بلغ إنتاج الحديد فى ليبيريا ٢٤ مليون طن. وتعد منروفيا العاصمة والميناء الرئيسى وترتبط بالداخل عن طريق عدة طرق. وتعد منروفيا أكبر مدن البلاد، وفيها بعض الصناعات الصغيرة مثل الطوب والصابون والإطارات وبعض الصناعات الغذائية.

وفى ليبيريا يسير النظام السياسى على هدى نظام الولايات المتحدة إلى حد كبير فمجلس الوزراء يعينه الرئيس وله نفس اختصاصات مجلس الوزراء الأمريكى، وهناك أعضاء فى مجلس الشيوخ بليبيريا، إثنان من كل مقاطعة و٣١ عضواً بمجلس النواب ونائب رئيس الجمهورية يرأس مجلس الشيوخ كما هو الحال فى الولايات المتحدة. وكل من بلغ الواحدة والعشرين له حق الانتخاب إذا ماكانوا يدفعون قدراً معينا من الضرائب إلا أن الانتخابات العامة فى ليبيريا ظلت منذ بدايتها صورية لأن الناخب لا يجد عادة أكثر من مرشح واحد لانتخابه.

فالبلاد تسير على حزب النظام الواحد. والرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس الحزب له حق تعيين الموظفين مما يعطيه قوة سياسية كبرى.

والرئيس غير قابل للنقد الصريح. حدث فى عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م أنه ظهر حزب جديد معارض ولكن لم يتمكن زعيم الحزب من الدخول فى معركة الرئاسة واسمه (توى)، واتهمته الحكومة بالتحريض على الثورة فهرب قبل

أن يقبض عليه. وقد نجم عن انفراد حزب واحد بالحكم وعن سيطرة رئيس الجمهورية على كل شئ فى الحكومة أن استشرى الفساد فى أداة الحكم وأصبح علامة مميزة لكل مصالح الحكومة.

ومن الزعماء الذين ثاروا على الحكومة الزعيم الليبيرى تايلور. فقد ولد تايلور فى عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م من أصول أفرو أمريكية. سافر إلى الولايات المتحدة للتعلم ثم عاد ثانية ليلتحق بوظيفة في بلاده ليبيريا ثم غادرها إلى ليبيا ثم اتجه إلى السياسة وقاد حركة ثورية تغلب فيها على الرئيس الليبيرى (دو) وذلك عندما تحرك بقواته من أراضى كوت دى فوار متجهاً إلى ليبيريا. وفى عام ١٣٠٧هـ / ١٩٨٩م تمكن تايلور بعد قتال ضد الحكومة الليبيرية والرئيس (دو) وانتصرت فيها قوات المعارضة وانتخب تايلور رئيساً للبلاد فى عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ثم اختلف تايلور مع الدول المجاورة لليبيريا فألبت عليه قوى المعارضة التى شجعها دول الجوار وهى غينيا وكوت دى فوار وسيراليون حتى تمكنت تلك القوى المعارضة من الإطاحة بتايلور.

ففى مايو عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م قرر مجلس الأمن مد العقوبات المفروضة على ليبيريا لمدة عام آخر بسبب مساندتها لمتمردى سيراليون ضد حكم الرئيس أحمد تيجان وقرر الرئيس الليبيرى تشارلز تايلور فى مايو تمديد حالة الطوارئ فى ليبيريا لمدة ستة أشهر وكان تايلور قد أعلن حالة الطوارئ في فبراير عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م رداً علي أعمال العنف التى قام بها متمردو الجبهة المناوئة لحكمه. وقد أعلن أعضاء الجبهة سيطرتهم على عدة مدن فى ليبيريا وتحت ضغط المعارضة أعلن تايلور التنازل عن رئاسته إلى نائبه موسى بالاى فى ١٤٢٤هـ / أغسطس ٢٠٠٣، وسافر هو إلى نيجيريا.

جزر الرأس (كيب فرد):

اكتشفت جزر كيب فرو مبكراً على يد البرتغالى دييجو جومز في عام ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م وسيطرت عليه البرتغال رسمياً فى عام ٩٩٦هـ / ١٥٨٧م واستمرت هذه السيطرة نحو أربعة قرون. وفى عام /١٣٧٧ ١٩٥٧ احتل الفرنسيون الرأس الأخضر(كيب فرد) لأسباب استراتيجية.

والرأس الأخضر مجموعة جزر بركانية تقع نحو ٥٠٠كم من ساحل غرب أفريقيا فى المحيط الأطلسى الشمالى وهى تعانى نقصاً فى المياه واضحاً، وذلك لأنها تقع فى مهب الرياح التجارية الشمالية الشرقية الجافة. معظم الثروة الحيوانية من الماعز، والأغنام من أهم موارد الثروة الاقتصادية وأيضاً من نخيل البلح ، ويسود الجزر الرطبة بعض المحاصيل وخاصة المناطق المرتفعة حيث يزرع جوز الهند قرب مستوى سطح البحر، ويزرع أيضاً قصب السكر، والموز والذره والبرتقال والبن إلا أن شدة الجفاف لها تأثير سلبى على الزراعة.

ويمارس كثير من سكان جزيرة كيب فرد حرفة صيد الأسماك ويعمل بعضهم فى الأعمال الكتابية فى البلاد المجاورة، وسكانها خليط من البرتغاليين وزنوج من غرب أفريقيا القادمين إليها، حيث أنها كانت جزيرة مهجورة ويوجد بجزر الرأس الأخضر محطة هامة متطورة لخدمة الطرق المتجهة إلى أمريكا الجنوبية وأيضاً الميناء الجوى في جزيرة سال، وعاصمة الجزر برايا وهى مدينة تقع فى جزيرة سانت ياجو.

وفى عام ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م شهد التعاون بين المصرف العربى للتنمية الاقتصادية فى أفريقيا وجمهورية جزر الرأس الأخضر تناميا كبيراً فى

المشاريع الإنمائية التى أسهم المصرف فى تمويلها بهذه البلاد فى مختلف القطاعات وصلت إلى ١٨ عملية تنموية.

جمهورية توجو :

امتد نفوذ ألمانيا على مستعمراتها في أفريقيا في المدة من ١٣٠١-١٣١٨هـ / ١٨٨٤ - ١٩٠٠ على مساحة تبلغ ٢,٥ مليون كم٢ حيث بسطوا سلطانهم على توجو الواقعة بين ساحل الذهب داهومى (بنين) ثم أعلنوا الحماية علي الكاميرون، وامتد النفوذ الألمانى فى عام ١٣٣١ هـ / ١٩١٢م فيما بين بحيرة تشاد شمالاً حتى ليفربيل جنوباً حتى بلغت المسافة نحو ٩٠٠ميل. سيطر الألمان على توجو فى غرب أفريقيا منذ عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٤م إلى عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤ وتبلغ مساحتها ٥٦٠٠٠ كم٢ وعدد سكانها نحو ٣ مليون نسمه وهى دولة صغيرة بين دول الغرب الأفريقى. وتقوم الزراعة فى المناطق الجنوبية من توجو حيث يزرع الكاسافا والذرة والكوبرا ويزرعوا الصرغم والفول السودانى والقطن فى منطقة التلال المعروفة توجو أناكورا، وتوجو دولة زراعية تنتج المواد الغذائية للاستهلاك المحلى وتصدر مقادير من البن والكاكاو ويزرع في المناطق الساحلية وعلى مرتفعات توجو الجنوبية الشرقية. كما توجد بعض الصناعات الصغيرة وتقوم توجو باستيراد احتياجاتها المصنعه.

يستخرج الفوسفات وغيره من موارد الثروة المعدنية فى جنوب البلاد، وقد أنشئ خط حديدى من مناطق استخراج الفوسفات حتى الساحل عند كومى حيث يصدر للخارج، وقد اسهم استخراج المعادن وتصديرها فى رفع الاقتصاد القومى ودعمه، وأهم مدن توجو (لومى) العاصمة والميناء الرئيسى ويصلها بالداخل خط حديدى وينتهى عند بليتا. أما مدينة سوكورو فهى

فهى تمثل المركز الثانى في العمران فى الشمال. حصلت توجو على الاستقلال في عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

غينيا بيساو :

غينيا بيساو استعمرتها البرتغال منذ بدأ الأوربيون بالحركة الاستعمارية وجعلوا منها مصدراً رئيسياً للأسرى الزنوج الذين يرحلون لأمريكا. وفى غينيا بيساو تنمو غابات المانجروف فى المناطق الساحلية المتعرجة ثم تحولت تلك المناطق إلى مزارع كبيرة يعمل بها الوطنيون ويزرعون الأرز والفول السودانى ونخيل الزيت والموز.

وتربى الماشية للحصول على الأسمدة العضوية لتسميد الأرض، وهذه المناطق الساحلية مزدحمة بالسكان، وفى الداخل تعيش الجماعات الأفريقية الرعوية من الماندنج والفولانى، كما يقومون بزراعة الذرة الرفيعة والفول السودانى والقطن والخضر. وأهم صادرات البلاد، زيت الفول السودانى وزيت النخيل وتنقل هذه المحاصيل عن طريق الأنهار نحو بيساو والميناء الرئيسى والعاصمة ومنها إلى الخارج، ويرتبط الاقتصاد الغينى بالبرتغال، ويعتمد اقتصاد غينيا على إنتاج الأرز فى المصبات الخليجية للأنهار المحلية والفول السودانى على التربة المحلية فى السهل الداخلى.

وقد كافحت غينيا بيساو الاستعمار البرتغالى حتى حصلت على الاستقلال في عام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م وانضمت إلى الأمم المتحدة.

دول جنوب أفريقيا

- جمهورية جنوب أفريقيا
- ليسوتو
- بتسوانا
- سوازيلاند
- ناميبيا

جنوب أفريقيا:

بعد اكتشاف الماس فى جنوب أفريقيا في عام ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧م على ضفاف نهر الأورنج تدافع الأوربيون إلى القدوم إليه فبلغ عددهم ٢٦٠٠٠ نسمه فى عام ١٢٢٥هـ/ ١٨٠٠م ثم ارتفع عددهم إلى ٤١١٠٠٠ فى عام ١٢٩٨هـ ١٨٨٠م وبلغ التدفق الأوربى مداه فى مستعمرات الكاب والترانسفال وأورانج، وبعد أن ضمت ناتال المستعمرات البريطانية السابقة توافد عدد كبير من العمال الهنود للعمل فى المزارع البريطانية. وفى عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م اكتشف الذهب فى منطقة وتوازرراند فاشتدت الهجرة الأوربية إلى جنوب أفريقيا، وعند ذلك وقع البريطانيون والبوير في صراع صعب للسيطرة على الأراضى واستثمار المناجم حتى قامت الحرب بينهم فى عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م ثم فى عام ١٣١٧ هـ / ١٨٩٩ وانتصر فى النهاية البريطانيون وفرضوا مطالبهم على البوير.

وفى عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م تم الاتحاد بين الكاب وناتال وأورانج الحرة والترانسفال فى الدومنيون تحت حكم ذاتى داخل الإمبراطورية البريطانية. وفى عام ١٩٢٠م خضعت ناميبيا لسيطرة جنوب أفريقيا كدولة منتدبه بتكليف من عصبة الأمم المتحدة ثم تحول الانتداب إلى نظام الوصاية وظلت جمهورية جنوب أفريقيا تحكم باعتبارها إقليم من أقاليمها حتى تمكنت ناميبيا من الحصول على استقلالها عن جمهورية جنوب أفريقيا في عام ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

بدأت أولى خطوات الاستيطان ا لأوربى فى موضع كيب تاون الحالية فى ١٠٦٣هـ / ١٦٥٢م على يد مجموعة من المستوطنين أوفدتهم شركة الهند الشرقية الهولندية لتأسيس محطة الإمداد وتموين السفن التجارية في

الطريق إلى الهند الشرقية، وعلى امتداد قرن ونصف قرن بعد ذلك استمر تدفق المستوطنين من هولندا وفرنسا وألمانيا، واتسعت مناطق استيطانهم نحو الشمال والشرق على امتداد المناطق الساحلية والداخليه ثم احتلت بريطانيا منطقة كيب تاون فى عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م، وهنا اتجه الهولنديون والمستوطنون «البوير» للهجرة للداخل ونزلوا فى هضبة جنوب أفريقيا منذ الثلاثينات من القرن التاسع عشر م/ ١٣ هـ ، وما بعد ذلك، وبنوا مقاطعتى أورانج الحرة والترانسفال.

وفى عام ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م قدمت عن طريق بيورت اليزابيث مجموعة من المستوطنين البريطانيين بدافع من الحكومة البريطانية ليستوطنوا المناطق الزراعية على طول الحدود الشرقية لمستعمرة الكاب. ولذلك استوطنوا إقليم البانى، وجعلوا جراهامزتون العاصمة. ثم تبعهم مستوطنين آخرين إلى مدينة ناتال ليستقروا فيها.

وفي عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م اكتشف الذهب فى الترانسفال والماس فى كمبرلى فى عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م فأقبلت جماعات من المهاجرين الإنجليز مما ترتب عليه اتجاههم إلى الداخل فوقع العداء والكراهية بين البوير (الفلاحين) والإنجليز، وقامت الحرب بينهم وأطلقوا عليها حرب البوير عام ١٣١٧هـ / ١٩٦١م أعلن قيام الجمهورية بعد انسحاب الإتحاد من الكومنولث البريطانى، وبذلك صار جنوب القارة يجمع بين المستوطنين البيض من البوير وهم يتحدثون الأفريكانز والبريطانيين بلغتهم الإنجليزية وهم مختلفون فى ثقافتهم.

أما زنوج الدا ـ من الجنوبيين وهم سكان البلاد الأصليين والزولو أكبر القبائل عد ا ويليهم الإكوازا ثم السوتو والنوانا وهم قليلوا الاختلاط

بالمستوطنين من البيض ومن الجماعات الأصلية قبائل الهتنتوت التى تعاملت مع المستوطنين يبيعون لهم الماشية ولكنهم لم يكونوا علاقات مع الهولنديين الذين أثروا الاعتماد على العمال الوافدين من غرب أفريقيا والملايو من القارة الآسيوية ومن هؤلاء تشكل السكان فى مقاطقعة الكاب. فالهتنتوت والآسيويين كونوا مع البيض المجموعة السكانية فى الكاب، ولم يتوافق البيض مع الهتنتوت وقضوا على غالبيتهم وطاردوا الأقلية الباقية منهم إلى صحراء كلهارى وناميبيا، والأقلية الباقية منهم ترعى الماشية فى إقليم ناما جنوب مصب نهر الأورانج.

وقد تميز القادمون من ماليزيا فلم يتعرض لها البيض وعاشوا مميزون بين السكان فى كيب تاون. كما اشتغل العمال القادمين من الهند في مزارع السكر فى ناتال نتيجة لتعذر استخدام العمال من قبائل البانتو فى مزارع القصب واشتغل الهنود كذلك في بعض الحرف الأخرى وفى المهن التعليمية وفى التجارة ومنهم من رحل ليعيش في المدن الرئيسية مثل جوهانسبرج وبورت إليزابيث.

ويعيش سكان البانتو فى النصف الشرقى من البلاد أما الأوربيون فيعيشون في أنحاء البلاد جميعاً وخاصة المدن. ويعيش الناطقون بالأفريكانز في الريف والإنجليز فى المدن.

وأما عن مظاهر النشاط الاقتصادى فالغالبية العظمى من السكان الأفارقة تعمل بالمزارع والرعى وتتقدم هذه الحرف بالأخذ بأسباب التطور التكنولوجى ويعمل الأوربيون فى التعدين والصناعة وفى التجارة والخدمات المتنوعة. وتطورت صناعة التعدين وصيد الأسماك واستغلال الغابات والنقل

وجمهورية جنوب أفريقيا يقارب التصنيع فيها الدول الصناعية الكبرى

حبث يعمل بها نحو مليون ونصف مليون نسمه. ويرجع قيام الصناعة بها إلى وفرة الثروة المعدنية اللازمة للإنتاج.

وقد تركزت صناعة الحديد والصلب فى إقليم الراند وفي بريتوريا قرب مناجم الذهب وسهلت السكك الحديدية الاتصال بين حقول الفحم والمناطق الصناعية.

أما الصناعات الاستهلاكية مثل الصناعات الغذائية، فقد انتشرت فى كل المدن لتلبية الاحتياجات السكانية وتقوم أهم مراكز الصناعات الغذائية في المدن الساحلية مثل كيب تاون ودربان وإيست لندن. وتتركز الصناعة فى هذه البلاد فى جنوب الترانسفال وكيب تاون ودربان، وبورت إليزابيث.

سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا

أهدرت التفرقة العنصرية حقوق الإنسان الأفريقى فى تلك المنطقة، ففى جنوب أفريقيا قام البريطانيون باستخدام العمال الوطنيين فى استغلال الذهب والماس، وكذلك استخدم البوير هؤلاء العمال في المزارع وكلا الطرفين من الإنجليز والبوير وضعوا نصب أعينهم استغلال الوطنيين من أصحاب البلاد الأصليين سواء فى استخراج المواد مثل الذهب والماس من المناجم أو فى زراعة الأرض، ولم يكن حقوق الوطنيين الأفريقيين موضع تفكير المستعمرين.

وفي عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م عقب التحولات الديمقراطية التى انهت نظام الحكم العنصرى فى جنوب أفريقيا كان على هذا النظام الجديد أن يواجه العديد من التحديات بشأن إجراء تحولات جذرية في هذا المجتمع الذى أصابه العديد من الأمراض والأعراض الجانبية بسبب فيروس العنصرية،

كما أن أول ما واجه النظام الديمقراطى الجديد هو إعادة الحقوق السياسية التى سلبت على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون من أبناء الأغلبية السوداء إلا إن النظام الجديد أدرك منذ البداية أن التحرر السياسى للأغلبية السوداء على أهميته وأولويته سيكون منقوصاً ومفرغاً من محتواه إلى حد كبير إذا لم يقترن التحرر السياسى بالتحرر الاقتصادى. وهو التحرر الذى ينهى الخلل الاجتماعى الهائل الذى حدث نتيجة تلك السياسات العنصرية، ولذلك أصدر النظام الديمقراطى الجديد في عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م قانوناً يمنح الدولة ممثلة فى وزير شئون الأراضى الزراعية الحق فى مصادرة الأراضى الزراعية بشرط موافقة المالك، ومعظم الملاك من البيض وبأمر من المحكمة التى تقدر التعويض المناسب، وذلك مقدمة لإعادة توزيع الأرض على الأغلبية السوداء، إلا أن البرلمان الجنوب أفريقى عاد فى نهاية عام ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م ليجرى تعديلات في هذا القانون بحيث يعطى للدولة الحق ممثلاً فى وزيرة شئون الاأراضى الزراعية فى مصادرة الأراضى الزراعية بدون أمر من المحكمة وبدون موافقة المالك الذى أقرت التعديلات الجديدة حقه فى الحصول على تعويض عن أراضيه تبعاً لقيمتها السوقية. وقد وافقت الأغلبية السوداء على هذه التعديلات إلا أن الأقلية البيضاء تعارض بقوة.

ومع أن نظام الحكم العنصرى قد انتهى فى جنوب أفريقيا، إلا أن آثاره الاقتصادية التى تؤثر سلباً على المجتمع فى جمهورية جنوب أفريقيا ماتزال قائمة.

إن قضية إعادة توزيع الأراضى في جنوب أفريقيا من الأهمية بمكان من أنه لايمكن التقاعس عن التعامل لحلها حيث أن القضية أصبحت تمثل رمزاً كبيراً لإقامة عدالة اجتماعية غابت مئات السنين عن أبناء الأغلبية من هذا الشعب.

ليسوتو (باسوتولاند):

باسوتولاند من المستعمرات البريطانية فى جنوب أفريقيا وتغير اسمها إلى ليسوتو، وحصلت على الاستقلال فى عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م . تبلغ مساحة ليسوتو ١١٥٠٠ميل مربع ويبلغ عدد سكانها مليون ونصف مليون نسمه وثلاثة أرباع الأراضى جبلية وغير قابلة للزراعة ويعمل ٢٥٪ من سكانها بالزراعة والصناعة في مناجم اتجاد جنوبى أفريقيا. وتقوم الشركات الإنجليزية والأمريكية بالعمل على جعل الصناعات والمناجم في اتحاد جنوبى أفريقيا، ولكى يرغموا شعب ليسوتو على العمل فى مصانعهم ومناجمهم فى اتحاد جنوبى أفريقيا لم ينشئ البريطانيون صناعات فى ليسوتو. كما أن ليسوتو لا يوجد بها مناجم الماس.

والزراعة والصوف هما أهم المنتجات الاقتصادية، ولا توجد صناعة يعتد بها، وتعتمد الدولة على الزراعة والرعى وصادرات الصوف والموهير، ويعمل النساء وكبار السن والصبية فى رعى الماشية والأغنام وزراعة بعض المحاصيل المعاشية. وعصمتها ماسيرو.

بتسوانا:

من الدول التى خضعت للحكم البريطانى منذ عام ١٨٨٥م وعرفت باسم بتسوانالاند ثم غيرت اسمها إلى بتسوانا وحصلت على الاستقلال عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م وعاصمتها جابرون.

تقع بتسوانا فى وسط جنوب أفريقيا بين ناميبيا وزيمبابوى (روديسيا) وجنوب أفريقيا، ويشكل السكان فى غالبيتهم العظمى قبائل البانتو، ويزرعون الذرة في فترات سقوط الأمطار. وتوجد المراعى التجارية التى

أنشأها المستوطنون من جهة الغرب عند الحدود مع ناميبيا، وكما توجد المراعى عند نهر اللمبوبو فى جهة الشرق، كذلك يوجد مذبح كبير فى لوباتى لذبح الماشية التى تصدر للخارج، وتبلغ اللحوم وجلود الماشية من جملة الصادرات البتسوانية بنحو ٩٦٪ وتعتمد بتسوانا على مياه نهر اللمبوبو بسبب نقص مياه الأمطار القليلة وتسرب بعضها إلى رمال كلهارى، فيما عدا قليل من مياه الأمطار يساعد على نمو الحياة النباتية. كما توجد المياه الجوفية فى المناطق الصحراوية.

وتعد بتسوانا منطقة مراعى واسعة إلا أنها مقيدة بالموارد المائية ذات الإمكانيات المحدودة. وتوجد خطوط سكك حديدية بين جنوب أفريقيا وبتسوانا، وهى ذات نشاط اقتصادى وعمرانى كبير، كما يوجد طريق على حافة مستنقعات أركافانجو ذات الإمكانيات الكبيرة حيث التوسع في الزراعة وصيد الأسماك والسياحة. ويوجد منجماً لإنتاج المنجنيز قرب لوباتسى وتنتج بتسوانا النحاس والنيكل.

سوازيلاند :

تقع سوازيلاند فى المنطقة الشرقية من جمهورية جنوب أفريقيا وتجاورها شرق موزمبيق. تعد ـ لتنوع البيئة بها ـ أفضل الأقاليم فى الجنوب الأفريقى، ولذلك لا تمثل الهجرة العمالية بها أهمية تذكر، وهى عالية الكثافة السكانية والغالبية العظمى من سكانها أفريقيون وبها قليل من الأوربيون والآسيويين، ويعد رعى الأغنام واستغلال الغابات من الحرف الرئيسية فيها، وتقوم الزراعة من الذره والمحاصيل المدارية، كما يزرع القطن والتبغ والأرز والموالح، وقصب السكر، وتوجد صناعة السكر فى ملوم عند الحدود الشرقية. ومن موارد الثروة المعدنية بها الاسبستوس والحديد الخام. وتقوم

سوازيلاند بتعدين الاسبستوس من مناجمه بجزبيك وتعد من أهم مناطق الإنتاج فى العالم. ويستخرج الحديد من قرب العاصمة بابان. ويوجد أيضاً الفحم والكاولين والبابريت. كما تقوم سوازيلاند بتصدير الحديد للخارج بالسكك الحديدية، كما ينقل الاسبستوس بالأسلاك المعلقة إلى الترانسفال.

وحصلت سوازيلاند على الاستقلال عام ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

ناميبيا:

فى عام ١٨٨٤م كانت ناميبيا مستعمرة ألمانية حيث فرضت ألمانيا نفوذها على جنوب غرب أفريقيا(ناميبيا حاليا). مد الألمان سيطرتهم علي هذه الأرض باستثناء خليج «والفز» الذى اتخذت منه بريطانيا ميناء يخدم مستعمراتها فى الكاب (رأس الرجاء الصالح) وظل ذلك الميناء تحت النفوذ البريطانى ثم آل إلى جنوب أفريقيا العنصرية، حتى حان الوقت لعودة هذا الميناء إلى سيطرة ناميبيا منذ النصف الثانى من القرن ١٣هـ / ١٩م حتى عام ١٩٠٤م . وظل أهل البلاد من القبائل الأفريقية متمسكين بالصبر وبالسلام للحفاظ على استقلالهم حتى ضاق بهم الأمر من سوء معاملة الاستعماريين لهم باستعبادهم وإبادتهم ثم بدأ التمرد الأفريقى فقد أباد الألمان ٦٠٪ منسكان هذه البلاد الأفارقة في جولة تطهير عرقى واحدة قبل أن يأفل نجمها فى الحرب العالمية الأولى.

ورثت بريطانيا ناميبيا عن ألمانيا المهزومة فى الحرب العالمية الأولى. اقتطعت من قلب مساحتها ميناء يخدم مستعمراتها في الكاب (رأس الرجاء) فيما وكلت عصبة الأمم هذا البلد لحكومة بيضاء فى جنوب أفريقيا ومن عصبة الأمم إلى الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية تجدد توكيل جنوب أفريقيا للسيطرة على ناميبيا وصار النظام العنصرى يمارس شروره

في هذه الأرض. فقد قسمها إلى ٦٠٠٠ مزرعة ليمتلكها المستوطنون البيض وحدهم. أما السود فقد تحولوا إلى عمال أو أجراء تحظر حركتهم عبر المدن إلا بتصريح عمل وجواز مرور بينما النساء والأطفال والعجزة محرم عليه مغادرة المعازل المخصصة للسود. وظل هذا الإهدار الفادح لحرية سكان البلاد الأصليين حتى بعد أن رفعت الأمم المتحدة يد جنوب أفريقيا عن ناميبيا بقرار الجمعية العامة عام ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م.

وكان طبيعياً أن تولد حركة المقاومة الأفريقية جمعتها منظمة «سوابو» اختصار الكلمات «منظمة شعب جنوب غرب أفريقيا» وكانت هذه الحركة تبحث عن الحرية للسكان السود والبيض على السواء. فقد كان البيض منهوبين أيضاً من قبل نظام جنوب أفريقيا العنصرى والشركات عابرة القارات التى تسيطر على تجارة الثروات المعدنية الباذخة لهذا البلد.

الماس واليورانيوم والنحاس إضافة للثروة السمكية والمراعى والحياة البرية أكثر من ذلك، كانت جنوب أفريقيا تستخدم ناميبيا كقاعدة انطلاق لشن حرب ليس للناميبيين فيها مصلحة. فقد كانت وحدات جيش جنوب أفريقيا تجتاح هذه الأرض لمقاتلة القوات الكوبية فى أنجولا التى تحررت بعد إعتاقها من البرتغاليين عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م وكان ثمن هذه الحرب مدفوعا من حساب الناميبيين السود والبيض على السواء.

لذلك فقد قامت الحرب، حرب العصابات التى شنها مقاتلو حركة «سوابو» ضد احتلال جنوب أفريقيا مؤثرة وتنال تعزيز الشعب الناميبي وكان طبيعياً أن تتفق القوى العظمى آنذاك على أن تنسحب قوات جنوب أفريقيا من ناميبيا وتنسحب قوات كوبا من أنجولا.

وفى عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٩م جرت انتخابات لحكم وطنى فى البلاد

انتصرت فيها حركة سوابو وباتفاق جميع الأحزاب فى ناميبيا على وضع دستور جديد لنظام ديمقراطى متعدد الأطراف من جنس ولون في عام ١٤١١هـ ١٩٩٠م وتم استغلال ناميبيا بانتخاب زعيم حركة ناميبيا على نهج سياسة عملية بإقامة علاقات ودية مع كل جيرانه بمن فيهم دول جنوب أفريقيا.

ميناء «ولفزباى»

كان وضع هذا الميناء الناميبى الذى يقع فى صدر ناميبيا المفتوح على مياه الأطلنطى، لكنه يعتبر جزءاً من جنوب أفريقيا ويخضع لنفوذها. وفى عام ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م رفعت جنوب أفريقيا نفوذها عن الميناء ليعود إلى ناميبيا.

تقع ناميبيا فى جنود غرب القارة ا لأفريقية وتطل على المحيط الأطلنطى والمساحة ٨٢٤٢٦٨كم٢ وعدد السكان نحو ٢ مليون نسمه تشمل الأقلية البيضاء ولغتها الرسمية الإنجليزية بجانب الأفريقية - لغة المستوطنين البيض والألمانية وعدة لهجات من لغة البانتو التى تتحدث بها القبائل الأفريقية، وعملتها الراند الجنوب أفريقى = ٣, ٠ من الدولار وهى تتجه نحو الدولار الناميبى، وهو يساوى نفس قيمة الراند. وتعتمد الثروة القومية على ا ستخراج الماس واليورانيوم والنحاس مع الزراعة على المطر فى الشمال والرعى والثروة السمكية.

و«ويندهوك» العاصمة التى تقع بين سلسلتين من الجبال فى موقع يرتفع ١٦٥٠ متراً فوق سطح البحر وعدد سكانها نحو ٢٠٠,٠٠٠ نسمه. وفى العاصمة توجد الجامعة التى أقيمت على مرتفع يطل على ويندهوك، وقد بدأت الجامعة أولى أعوامها الدراسية فى عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ويتجه مسار هذه الجامعة نحو نشر التعليم داخل البنية الديمقراطية الجديدة فى البلاد وهى تقدم نفس الحقوق لجميع المواطنين الأبيض والأسود ، مع العمل على التنمية الاقتصادية للبلاد

دول وسط أفريقيا

- تشاد
- أفريقيا الوسطى
- الكاميرون
- الكونغو
- الجابون
- غينيا الاستوائية
- أنجولا
- جمهورية ساوتومى وبرنسيب
- الكونغو الديمقراطية

تشاد :

فى النصف الثانى من القرن ١٣هـ / ١٩م بدأ وصول الرحالة القادمين من أوربا إلى اكتشاف الأرض التشادية حيث وصل ريتشاردسون إلى بحيرة تشاد وتابعه فى الرحلة بارث وأوفرفيج حتى وصولهما البحيرة والنهر الذى يصب فيها. ولنهر شارى الذى يصب فيها وكذلك نهر البنوى أكبر روافد نهر النيجر. ثم واصل بارث اكتشاف أرض أفريقيا الوسطى.

وقد كان لفرنسا سبق الوصول إلى أفريقيا الوسطى ومد نفوذها إليها منذ منتصف القرن ١٣هـ / ١٩م بصورة تدريجية بعكس ما حظيت به من خطى سريعة فى فى غرب أفريقيا، وقد عرفت تلك المنطقة باسم أفريقيا الاستوائية الفرنسية والذى يشمل حوض تشاد وأجزاء من الصحراء الكبرى تمتد شمالاً حتى مرتفعات البتستى، لم تستقر حدوده السياسية الشمالية حتى بعد الحرب العالمية الأولى. كما لم يتم الاتفاق على الحدود بين هذه المنطقة والدول المجاورة إلا فى الربع الأول من القرن ١٤هـ / العشرين م.

كما أن ألمانيا امتد نفوذها فى عام ١٣٣١هـ / ١٩١٢م إلى المنطقة التى تقع بين تشاد شمالاً وحتى ليبرفيل جنوبا. وعقب الحرب العالمية الأولى فقدت ألمانيا ممتلكاتها التى تحولت إلى فرنسا وانجلترا.

وتشاد دولة مغلقة وتتجه أكثر نحو الشمال. وقد ترتب على تطرفها وظروفها الطبيعية إلى أنها صارت ملجأ للزنوج الهاربين من تجارة الرقيق فى جنوب القارة، ولكن اتساع تشاد تسبب فى مشكلات النقل والمواصلات فضلاً عن ندرة المياه فى الإقليم الشمالى والفيضانات الموسمية فى الجنوب ثم الصراعات العرقية بين السكان فى الشمال وفى الجنوب.. وتلتقى حدودها بين نيجيريا والنيجر والكاميرون.

أما الجنوب ففيه القلب الاقتصادى لتشاد حيث تتزايد كثافة السكان وتتركز زراعة المحاصيل الرئيسية خاصة القطن، وتزرع تشاد الفول السودانى في أبيشى وفى إقليم كانم شرق بحيرة تشاد حيث يمارس السكان زراعة القمح على ا لتربة السوداء وتربية الماشية وصيد الأسماك واستخراج النطرون.

وتزرع غالبية المحاصيل للاستهلاك المحلى مثل الذرة الرفيعة والقمح أما القطن الذى بدأت فى زراعته بتكليف من الدولة فى عام ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م فيعد المحصول الذى يصدر للخارج وتقوم زراعته فى أقصى ا لجنوب الغربى فى إقليم لوجون - شارى.

أما زراعة الأرز فتتم فى الأودية التى تغمرها الفيضانات موسمياً مثل وادى نهر لوجون قرب بنجور ولاى. وكان البدء فى زراعة الأرز قبل الحرب العالمية الثانية. وأما زراعة الفول السودانى فزرع فى المنطقة الشرقية الجافه وهو يعد من المحاصيل النقدية فى شئون الاقتصاد التشادى.

وللثروة الحيوانية دور رئيسى في حياة البدو شمال وشرق تشاد، وهي تكفى للمحليات وأيضاً يفيض منها للتصدير، فتصدر المواشى لنيجيريا وكذا اللحوم والجلود لنيجيريا وغيرها من البلاد الأخرى. كذلك تمد بحيرة تشاد البلاد بالثروة السمكية للمحليات، وللتصدير ومنها ما يصدر للدول المجاورة مثل الكاميرون ونيجيريا خاصة المجفف أو المدخن، وتستخدم الطائرات فى نقل اللحوم المصدرة للخارج، وذلك لطول المسافات حيث مساحة تشاد تبلغ ١,٢٨٤,٠٠٠كم٢ .

ومن الناحية ا لاجتماعية فإن القبائل المسلمه تعيش فى الشمال وهى قبائل النبو والهوسا والفولانى، أما القبائل الأخرى فتعيش البانتو والسارة

وغيرها فى الجنوب من تشاد، ويشكل الجفاف صعوبة للاقتصاد التشادى خاصة فى الشمال وكذا الخلافات العنيفة التى تحدث بين الشماليين والجنوبيين من الشعب التشادى، إلا أن التنمية والإمكانيات فى تشاد كبيرة وقد تغطى على المشاكل الداخلية مستقبلاً.

جمهورية أفريقيا الوسطى:

فرضت فرنسا نفوذها على أراضى أفريقيا الوسطى منذ عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦٠م بعد أن توغلت البعثات العسكرية الفرنسية فى تلك الأراضى بعد مقاومة يسيرة من الأهالى.

وفى النصف الثانى من القرن الرابع عشر هـ / العشرين م أصبحت مستقله هى ومجموعة أخرى من المستعمرات الفرنسية تحت السيطرة الفرنسية، وفى ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م اتحدت جمهوريات تشاد وأفريقيا الوسطى والجابون والكونغو (برازافيل) اقتصاديا ثم انفصلت تلك الدول واستقلت جمهورية أفريقيا الوسطى فى ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م

وأفريقيا الوسطى من الدول المغلقه مما يسبب لها صعوبات اقتصادية، ويحدها شرقاً السودان وشمالاً تشاد وغرباً الكاميرون والكونغو، ولموقع أفريقيا الوسطى المتوسط بين مجموعة الدول المجاورة ووجود الأنهار بها مثل نهر أوبنجى جعلها معبراً ومنطقة التقاء بين شعوب الدول المجاورة. ويزرع بها الكاسافا من المحاصيل المعاشية. ويزرع القطن والبن والفول السودانى، ويصدر للخارج، ويعد القطن محصول رئيسى للتصدير، وتوجد مصانع لصناعة المنسوجات الحديثة فى جنوب بانجوى، وفى بوالى قرب محطة توليد الطاقة الكهربائية. أما الزراعة للفول السودانى فقد بدأت حديثاً. ويصنع بعضه لاستخراج الزيت، كما أن السمسم يزرع في المنطقة نفسها.

ويعد البن ثانى محاصيل التصدير، ويصدر منه إلى زائير والكاميرون وتشاد. ويعد اليورانيوم والماس هو ثالث المواد المصدرة. وأفريقيا الوسطى من الدول التى تعرضت قديماِ لتجارة الرقيق مما أثر في نقص عدد السكان بها الذين يعيشون في مدن صغيرة أكبرها بانجوى وهى عاصمة الدولة، تليها مدينتى بوار وبمبارى.

الكاميرون:

بعد مؤتمر برلين عام ١٨٠٢هـ / ١٨٨٤م خضعت مستعمرة الكاميرون للسيطرة الألمانية وعمل الألمان أن تمتد منطقة نفوذهم فوصلوا بحدود المستعمرة حتى نهر أوبنجى وشارى الملاحيين ثم انتقلت السيطرة من ألمانيا فى الكاميرون إلى فرنسا وبريطانيا وذلك بعد هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ثم تبدلت السيطرة على الكاميزون إلى نظام الوصاية بعد الحرب العالمية الثانية. واستقلت فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

تبلغ مساحة الكاميرون نحو النصف مليون كم٢، وعدد السكان نحو ١٧مليون نسمه. توجد فى الكاميرون المزارع العلمية فى مناطق التربة البركانية الخصبة فى جبل الكاميرون والأقاليم المجاورة التى أقامتها الشركات الألمانية قبل الحرب العالمية الأولى. وتنتج هذه المزارع الكاكاو والمطاط وزيت النخيل، ثم تحولت إدارة هذه المزارع إلى هيئة تنمية الكاميرون. ويمتاز الإقليم الشمالى بخلوه من ذبابة تسى تسى وهو منطقة مراعى هامة فى البلاد، وتوجد الماشية التى تشكل عنصر هام فى اقتصاد الكاميرون وتضم هذه المنطقة مدينة مروة فى أقصى شمال الكاميرون ومدينة نجوانديرى في وسط الهضبة.

وتقوم زراعة الموز والكاكاو الذى يمثل ثلث الصادرات والبن وزيت النخيل

فى الإقليم ا لجنوبى الذى يعد منطقة الإنتاج الزراعى، كما توجد زراعة القطن فى الجزء الشمالى من الكاميرون الذى بدأت زراعته فى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

أما الثروة المعدنية: فالحديد يوجد فى جنوب البلاد ، ويوجد البوكسيت وهو أهم الخامات المعدنية في الكاميرون، ويوجد فى هضبة أداماوا، ويمثل الألومنيوم سدس الصادرات فى الكاميرون، وبه مصنع لصهر الألومنيوم فى مدينة إيديا على خط سكك حديد ياوندى ورو الا، وتقوم صناعة الألومنيوم عند مساقط مائية تعترض مجرى نهر صناجا، وتقوم هناك محطة توليد كهرومائية تعتمد عليها صناعة الألومنيوم. وهذا المصنع هو المصنع الوحيد فى كل أفريقيا المدارية.

ويعيش فى المرتفعات الشمالية والغربية غالبية سكان الكاميرون، وتتعدد اللغات والديانات فى هذا الشعب حيث يعيش في الشمال القبائل الرعوية من الفولا والكانورى، بينما يعيش قبائل أشباه البانتو وأكبرهم قبيلة باميلكى فى المرتفعات الغربية.

أما فى الإقليم الساحلى فتوجد قبائل البانتو بكثافة عالية ومنها الدوالا والفانج. وفى الشمال يعيش المسلمون بينما تعيش الديانات الأخرى من الأفريقيين فى الوسط والغرب. ويعيش المسيحيون فى جنوب البلاد.

وياوندى أهم المدن وهى عاصمة البلاد، ودوالا ويربط بين المدينتين خط حديدى يمتد حتى الهضبة الوسطى فيصل حتى مدينة جواندى.

الكونغو :

تعد مملكة الكونغو من الممالك السودانية النموذجية التى ربما قامت فى نهاية ٨هـ / ١٤م أو بداية القرن ١٥م، وقد بلغت الكونغو القديمة أقصى اتساعها في القرن العاشر هـ / ١٦م، بحيث ضمت أجزاء من دول الكونغو وزائير وأنجولا الحالية، وقد أطلق على عاصمتها الحالية برازافيل، حيث أن برازا هو المستكشف لهذه المنطقة في الفترة من ١٢٩٢ - ١٣٠٠هـ / ١٨٧٥ - ١٨٨٢م ، وقد خضعت الكونغو للاستعمار الفرنسي وبقيت المركز السياسى والاقتصادى لأفريقيا الاستوائية حتى عام ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م عندما انقسمت هذه المنطقة إلى دول متعددة.

ويعيش غالبية شعب الكونغو فى الجنوب منه فى الإقليم الكائن بين برازافيل وبوان نوار أما الإقليم الشمالى فقليل السكان للغاية أما فى العاصمة برازافيل فتوجد عند نهر الكونغو فى الجهة المقابلة للعاصمة كنشاسا، وتتصل برازافيل بالساحل بخط سكه حديد حتى بوان نوار، وهى ميناء هام لجمهورية أفريقيا الوسطى والجابون وتشاد، وتنقل السكه الحديد المعادن من المنجنيز و اليورانيوم من الجابون والأخشاب من الكونغو والقطن والفول السودانى من دولة أفريقيا الوسطى وتشاد. وكذلك ينقل الفوسفات من المناطق الأخرى القريبة.

وفى النصف الجنوبى من الدولة تعيش قبائل الفانج والباتيكى فى قرى كبيرة وهذه هى القبائل الرئيسية فى الكونغو، وأهم المحاصيل الزراعية هى الكاسافا والفول والذره ولكنها قليلة التأثير من الناحية الاقتصادية. والزراعة المعتادة فى البلاد هى الزراعة المتنقلة، أما الأخشاب فله قيمة اقتصادية مؤثرة ومن أهمها الماهوجنى وإنتاجها فى إقليم مايومبى وصنغا.

ويزرع أيضاً نخيل الزيت فى مزارع علمية ويستخدم بعض منه فى صناعة الصابون.

وتعمل الكونغو علي تطوير منشآتها مثل إنشاء سد على الجزء الأدنى من نهر كويلو عند خانق صوندا على بعد نحو ٨٠كم من الساحل . وتقوم الكونغو بتعدين الزنك والرصاص فى منطقة مغواتى فى الطريق بين برازافيل وبوان نوار، كما يوجد الفوسفات عند هول ويستخرج البترول شمال بوان نوار.

وميناء بوان نوار فى جمهورية الكونغو يعد معبراً هاماً لدول تشاد وأفريقيا الوسطى والجابون التى لها جبهة ساحلية وفى نفس الوقت الذى تقوم فيه بتصدير منتجاتها من ميناء الكونغو بون نوار، ولذلك تحظى الطرق الملاحية وخطوط السكك الحديدية بحظ وافر من الاهتمام حيث الكونغو دولة ترانزيت ونهر الكونغو وروافده صالحة للملاحة وكذا نهر الأوبنجى.

الجابون:

البرتغال هى أولى الدول الأوربية التى وطئت أقدامها أرض الجابون فى القرن العاشر هـ / السادس عشر م، حيث أنشأوا محطات لتجارة الرقيق على سواحلها. وفى بداية القرن ١٣هـ / ١٩م ظهرت السفن الفرنسية نحو ساحل الجابون في جولات لمتابعة تجارة الرقيق بعد تحريم هذه التجارة ومنعهم من ممارستها وتحرير العبيد. وقد وقع الاختيار على أرض ليبرفيل عاصمة الجابون لتصير مكانا يتم فيه استبقاء المحررين من العبيد.

والجابون جمهورية صغيرة بالمقارنة بدول أخرى في أفريقيا الاستوائية، وهي فى نفس الوقت أكثر رخاء فى الموارد الطبيعية، ففى تجارة الأخشاب الجابون أكبر مصدر للأخشاب على مستوى العالم، وكذا الألواح والقشرة.

وبقيت الجابون فى تصدير الأخشاب حتى عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م باعتباره المصدر الرئيسى للاقتصاد فيها. ثم ظهر البترول والمعادن الطبيعية لتحل محل صادرات الأخشاب وتتخطاها، فالبترول والغاز الطبيعى قرب بورجنتى وصل في عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م إلى المركز الثانى فى صادرات الجابون. والبترول يمثل حالياً أهمية عالية باعتباره مورداً للوقود فى أفريقيا الاستوائية.

والجابون توجد به أكبر موارد المنجنيز فى العالم فى منطقة مواندا قرب ترانسفيل ويصدر للخارج أما اليورانيوم فالجابون تعد المصدر الوحيد الذى تستخرج منه فرنسا اليورانيوم فى العالم. ويوجد مناطق خام الحديد في أقصى الشمال من حدود الكاميرون وغينيا الاستوائية والجابون دولة قليلة السكان حتى تبدو المناطق الجبلية والغابات والمستنقعات شبه خالية من السكان.

ويوجد بالجابون ثلاث مدن رئيسية ليبرفيل العاصمة وتقع على مصب ليبرفيل، أما بورجنتى وتعد المدينة الثانية وتقع فى نهاية طرق رئيسية وميناء لتصدير الأخشاب المنقولة فى نهر أرجوى، ويوجد بها أكبر مصانع رقائق الأخشاب فى العالم، ويجاورها حقول البترول.

وتقوم الأنهار بدور رئيسى في النقل على مستوى الدولة بالإضافة إلى طريق برى يصل من دولسى في الكونغو ويمر غرب الجابون ويمتد حتى يصل إلى الكاميرون، وهو طريق رئيسى يربط الجابون بالدول المجاورة. وقد حصلت الجابون على استقلالها في عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

غينيا الاستوائية:

هى مجموعة جزر ماسياسى نجويما بيوجا (فرناندو سابقاً)، وأنوبون

وكورسكو وإلومى في مساحة تبلغ ٢٨٠٠٠ كم٢ بالإضافة إلى منطقة ريومونى على اليابس الإفريقى، وعاصمتها باتا، وتقع على غرب الساحل الإفريقى، وتسود الغابات الاستوائية غالبية الإقليم، أما المناطق المرتفعة فتغطيها النباتات الجبلية والسافانا. وتوجد فى غينيا بنيتو وموني، وهي تستخدم فى نقل الأخشاب الطافية المعدة للتصدير، وقرب المصب الخليجى لنهر بنيتو تقوم زراعة نخيل الزيت. وفى المرتفعات الوسطى شرق مدينة باتا العاصمة توجد مزارع كبيرة للبن، ويزرع الكاكاو في الجهات الشمالية الشرقية بالقرب من الكاميرون والجابون.

وتبلغ مساحة ماسياس بطول ٧١كم وعرض ٢٥كم كما يسود العمران والزراعة المنحدرات الساحلية فى الغرب وفى الشمال الشرقى. ويزرع الموز والبن والكاكاو وهو أهم المحاصيل، ويقوم بزراعته العمال الذين هم من قبائل الإيبو القادمين من نيجيريا لهذا الغرض. وتقوم بعض الزراعات المحلية للاستهلاك الداخلى. وتعد غينيا الاستوائية من الدول الزراعية.

وغينيا الاستوائية من الدول التي كافحت للحصول على الاستقلال ففى عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م عقد مؤتمر للشعوب الأفريقية فى القاهرة حضره (٣٥ دولة أفريقية) بعضها حصل على الاستقلال والآخر كان فى مرحلة النضال ضد قوى الاستعمار، وحضرت هذا المؤتمر غينيا الاستوائية وحصلت على الاستقلال في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

أنجولا:

تعتبر علاقة البرتغاليين بالقارة الأفريقية من أقدم العلاقات الأوربية بها ومازال على شواطئها من ساحل الذهب غرباً إلى أثيوبيا شرقاً آثار

محطات التموين والتجارة البرتغالية ولصغر إمكانيات البرتغال لم تتح لها الفرصة التاريخية التى أتيحت لبريطانيا فيما بعد فى ١٣هـ / ١٩م. فلم تنفرد بتلك الضحايا السود جميعاً. وإنما صفيت جهودها الاستعمارية على مستعمرتين واسعتين هما موزمبيق على الشاطئ الشرقى وأنجولا على الشاطئ الغربى. تفصل بينهما روديسيا بقسميها والكونغو البلجيكى وأرض اتحاد جنوب أفريقيا، وهاتين المستعمرتين بمساحتيهما والثروة الكامنة فيهما تجعل البرتغال ثالث دولة مستعمرة في العالم بعد بريطانيا وفرنسا.

وتقع أنجولا على الشاطئ الغربى لأفريقيا وعلي مربع كبير من الأرض، مساحتها ٤٦٠ ألف ميل مربع ويسكنها تسعة ملايين من البشر.

وهى من أكبر دول أفريقيا في إنتاج المنجنيز الذى يصدر إلى الولايات المتحدة ولديها الفرص للتقدم عن غيرها من الدول من جيرانها. وقد حكم البرتغاليون أنجولا منذ عام ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م. وقد خضعت للحكم الهولندى البويرى فترة النصف الأول من ١١هـ / ١٧م . وكانت أنجولا مسرحاً لتجارة الرقيق طيلة هذه القرون ولهذا فهى تعانى من نقص الأيدى العاملة. وكان الرقيق يباعون فى أسواق العالم الجديد، وكان البرتغاليون أنفسهم هم باعة الإنسان فى هذه المأساه.

ولما كسدت التجارة فى العبيد في أواخر القرن ١٣هـ ١٩م احتاج البرتغاليون ليكتشفوا منابع الإنتاج التى فى المستعمرة. وفى أنجولا من السهول والغابات البعيدة عن طريق المواصلات الرئيسية والتى يعيش فيها أقوام بدائيون ، وقد اعتبرت أنجولا جزءاً من الوطن البرتغالى لها وضع المقاطعات البرتغالية الأوربية، وصارت أنجولا تحت حكم البرتغال المستور تحكمها وزيرة ما وراء البحار فى لشبونه.

وفى الناحية الاقتصادية، فقد أقام العلماء مزارع علمية فى الناحية الشمالية من أنجولا حيث توجد حشائش الاستبس والسافانا، وقد منحهم البرتغاليون امتيازات لتشجيعهم على النشاط العلمى وقد توسعوا فى زراعة السيسل فى المناطق الداخلية شرق لواندا، ولوبيتو، حتى صارت أنجولا من الدول المنتجة لهذه المشروعات كما أنشئت مزارع قصب السكر معتمدة على الرى من الأنهار أهمها نهر كاموقبيلا.

ومن الحرف الهامة صيد الأسماك فى الجهات الساحلية، ومصادر الأسماك فى أنجولا أسهم فى إقامتها عدد من العوامل الطبيعية أبرزها مرور تيار بنجويلا البارد، كما توجد فى أنجولا مصانع تجفيف السمك وتعليبه وإعداده للتصدير، ويعد الساحل الجنوبى مركزاً لهذه المصانع.

ومدينة لواندا عاصمة أنجولا هى أهم المراكز العمرانية على الساحل، والميناء البحرى الرئيسى فيها، ومنها تصدر غالبية منتجاتها، ومنها البن والمنجنيز والحديد، كما توجد بها معامل تكرير البترول ومصانع المنسوجات.

وقد ساعد موقع مدينة لوبيتو على نموها العمرانى موقعها الساحلى ووقوعها عند نهاية خط السكة الحديد الواصل بينبنجويلا وزائير وزامبيا وهو ينقل أيضاً الخامات المعدنية منها النحاس فى شابا وزامبيا، كما يصدر خام حديد أنجولا من هذا الميناء. كما تولد الطاقة الكهربائية من بعض الشلالات فى الأنهار مثل نهر كوانزا.

وتحتل أنجولا المركز الرابع فى إنتاج البن فى العالم. ويعد الذره المحصول الرئيسى ا لغذائي فى أنجولا ويزرع الفول السودانى والكاسافا، وتربى الماشية فى المناطق الوسطى والجنوبية مما يساعد على توفير الأسمدة العضوية.

كما تسهم الثروه المعدنية بنسبة جيده فى نمو الاقتصاد فى أنجولا وخاصة الماس الذى يستخرج من حوض كاساى فى شمال البلاد الشرقى. وأنجولا ثانى الدول المصدرة للماس.

كما اكتشف البترول فى أنجولا عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م، وقد ساعد ذلك كثيراً فى نمو اقتصادياتها، ومن مصادر الطاقة فى أنجولا الطاقة الكهرومائية.

جمهورية ساوتومي وبرنسيب :

جزيرتان صغيرتان تمثلان دولة واحدة مسحتها ألف كيلو مترمربع قابعة فى خليج غينيا بالمحيط الأطلنطى، أمام سواحل أفريقيا (الجابون شرقاً ونيجيريا شمالاً).

الكونغو الديمقراطية (زائيا) :

عندما اكتشف البرتغاليون مصب نهر الكونغو في عام ٨٨٧ هـ/ ١٤٨٢م وجدوا أنفسهم أمام إحدى الممالك الكبرى في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، ومن أكبرها على الإطلاق. ولم تكن هذه المملكة إلا مملكة باكونغو التى كان يطلق على ملكها اسم مانيكونجو والذى اتخذ مبانزا كونجو عاصمة لمملكته. هذه العاصمة هى ما يطلق عليه اسم سان سلفادور في شمال أنجولا. وتعتبر مملكة الكونغو من الممالك السودانية النموذجية التى ربما قامت فى نهاية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى أو بداية القرن الخامس عشر وربما كانت هذه المملكة تمثل أحد فروع اللوبا القديمة فى كاتنجا ووفدت إلى منطقتها هذه من اتجاه الجنوب الشرقى، ويقال أن مشيدى الباكونغو الأصليين كانوا من الحدادين المهرة ولهذا فإن شعب هذه

المملكة امتازوا بمهارة فائقة في عمليات الصيد والقتال. كما حظى الحدادون فى مملكة الكونغو دائماً بامتيازات لا يتمتع بها كثيرون غيرهم من ذوى الحرف الأخرى، وكانت نواة هذه المملكة تشمل كل هذا الجزء الذى يقع مباشرة تحت إدارة المانيكونجو والذى يشرف عليه رؤساء لهم مكانة مقدسة فى الجنوب من مصب الكونغو، وترتبط هذه النواة بكل من المحيط الأطلنطى والكونجو والكوانجو والداندى . وقد بلغ عدد سكان هذه المملكة نحو مليونين ونصف مليون نسمه فى القرن الحادى عشر هـ / ١٧م. وكانت هناك عدة ممالك أخرى صغيرة تلتف حول هذه النواة التى كانت لها نظم معقدة تشبه مثيلتها فى النواة. وكانت في الوقت نفسه تقع بعيداً عن حكم مملكة الكونغو المباشر ولبعدها عن المركز عين لها حكام يديرون شئونها، إلا أن هؤلاء الحكام استغلوا سلطتهم وأعلنوا استقلالهم عن المراكز في حين ظلت هذه الممالك تعترف بزعامة المانيكونجو الإسمية عليهم.

وتعتبر كل من نجوبو وكانجو ولوانجو أهم ثلاث ممالك من ساحل الأطلنطى شمال مصب الكونغو وتكون هذه المنطقة التى يطلق عليها اسم ماتابيا على امتداد وادى كوانجو فى الجنوب الشرقى وإقليم ودونجو معظم الأجزاء الوسطى لأنجولا الحالية على كلا جانبى نهر كوانزا.

وفى الوقت الذى بدأ فيه البرتغاليون اتصالاتهم الأولى بالمنطقة، كانت معظم الأجزاء الهامة الواقعة تحت أيدى الحكام المحليين فى إقليم نوردونجو قد أصبحت جزءاً من المستعمرات البرتغالية.

ومنذ نهاية القرن الخامس عشر حتى نهاية الربع الأخير من القرن السادس عشر/ الثامن الهجرى لم يركز البرتغاليون مجهوداتهم على أنجولا وإنما على مملكة الكونغو أساساً، فقد أرسلت البعثات عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠م من البناءين والنجارين وغيرهم من مهرة الفنيين في نفس الوقت

الذى تحول فيه أغلبية أفراد أسرة المانيكونجو وبعض رؤساء العشائر عن ولائهم لزعمائهم.

كما أعيد بناء العاصمة من الأحجار وأرسل الشباب الكونغولى إلى أوربا للتعليم، ولكن لم يحرز النجاح والتقدم المناسب غير واحد تمكن من إثبات جدارة وتفوق وهو نزنجا ميمبا الذى استخدم اسم ا لفونسو لقباً له عام ٨٦٦هـ / ١٤٦١م. وقد نجح فى اعتلاء عرش المنطقة عام ٩١٣هـ / ١٥٠٧م.

ثم تحولت البرتغال إلى الاهتمام بتجارة الرقيق وهو هدفها الأساسى فى أفريقيا، حيث تزايد الطلب على الأيدى العاملة في المستعمرات البرتغالية عبر الأطلنطى فى البرازيل، وقد استغل البرتغاليون تجارتهم للرقيق والاستمرار فيها واتخذوا منها غرضاً آخر وهو إعداد الوطنيين الأفارقة لقتال إخوانهم من شعوب المناطق المجاورة لحدود المستعمرة، وخاصة الأقاليم الجنوبية لمملكة الكونغو والذين شنت ضدهم الغارات وقامت معهم الحروب وقام بهذه الغارات فى غالبيتهم قطاع الطرق والمجرمون الذين أطلق عليهم الجاجا أوالسياكا.

وفى بداية القرن ١١هـ / ١٧م وجه جميع المانيكونجو من المسيحيين نداء إلى المجتمع المقدس بالاستعانة بالإرساليات التبشيرية لوقف تلك الحروب، وتدخلت روما ووجهت تهديدات إلى لشبونه إلا أن البرتغاليين أعلنوا عجزهم عن منع رعاياهم من أنجولا من مهاجمة الباكونجو، الأمر الذى اضطرت معه تلك الشعوب المقهورة أن تعلن الحرب ضد البرتغاليين وأذنابهم فى المنطقة مما أنذر بعواقب وخيمة حيث لم يستطع البرتغاليون مواجهة المقاومة الشعبية التى قامت ضدهم وانهارت دفاعاتهم وتفككت وحدة البرتغاليين فتفرق أعوانهم من حولهم.

لقد واجه البرتغاليون جماعة من البشمن والهتنتوت ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليهم. كما لم يتمكنوا من البقاء في رأس الرجاء الصالح. ثم ظهر الهولنديون فى منتصف القرن السابع عشر م / ١١هـ وتمكنوا من الإبحار شرقاً وتجاوزوا رأس الرجاء الصالح ليجبوبوا بسفنهم جنوبى المحيطين الأطلنطى والهندى. وعندئذ أدرك البرتغاليون أهمية رأس الرجاء الصالح وعملوا على استعماره.

كما اتخذته هولندا كقاعدة بحرية تيسر عمليات الإمداد والتموين عند الإبحار شرقاً، وفى عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م ظهرت بلجيكا على المسرح الأفريقى حين تمكن المستكشف ستانلى من تحديد مجرى نهر الكونغو وبين أن امتداد حوض النهر يشمل مساحة كبيرة من وسط أفريقيا الأمر الذى دفع الملك ليوبولد الثانى ملك بلجيكا على الاهتمام بهذا الكشف الجديد، وشجع على الاستمرار فى تلك الكشوف الجغرافية والوقوف على الموارد الاقتصادية لتلك المناطق التى يمكن أن تنافس غرب أفريقيا التى ازدهرت بها التجارة فى ذلك الوقت، وحيث يمكن استغلال الكونغو وروافده فى النقل المائى لربط المناطق الداخلية بالساحل، الأمر الذى أزعج البرتغاليين حيث يمكن منافستهم والتأثير على مراكزهم الساحلية التجارية.

وقام خلاف بين بلجيكا والبرتغال وانتهى الخلاف باعتراف مؤتمر برلين عامى ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م / ١٣٠٢ - ١٣٠٣هـ بحقوق الملك ليوبولد في الكونغو لجهوده وتأييده للكشف الجغرافى فى أفريقيا.

ثم استيقظ الكونغو أكبر وأغنى دولة أفريقية آنذاك إذ بلغ عدد سكانها مايقرب من أربعة عشر مليون مقسمين على ما يقرب من مائتى قبيلة. كانت الكونغو ملكاً خاصاً للملك ليوبولد ثم أصبحت مستعمرة بلجيكية عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م وفى السنوات التالية أصبحت الاكتشافات المعدنية

الواسعة أهم مناطق أفريقيا فى المناطق الواقعة جنوب الصحراء وقد اتبع البلجيكيون سياسة مزدوجة، فكانوا يحاولون تحسين المستوى الاقتصادى للعامل الأفريقى ، ولكنهم فى نفس الوقت كانوا يحاولون تحديد آماله السياسية و الثقافية، ولكن لم يكن من الممكن الإبقاء على ذلك الفصل فى السياستين فسرعان ما زادت المطالبة بالاستقلال منذ عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.

وفى مؤتمر بروكسل الذى عقد في يناير عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م أسقط فى يد البلجيكيين فوعدوا بمنح الكونغو استقلاله بعد ستة أشهر، وفعلاً أعلن الاستقلال فى ٣٠ يونيو ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ ولكن الأحداث التى وقعت بعد ذلك كانت أول اضطرابات مخله بالنظام، تتسم بالخطورة تميز انتقال مستعمرة أوروبية إلى دولة حرة فى أفريقيا. ولقد أظهرت هذه الاضطرابات كيف أن البلجيكيين قد تركوا الكونغو دون أن يعدُّوه على الإطلاق للاضطلاع بالأعباء الإدارية التى تنتظره.. وكان البلجيكيون يتوقعون هذه الصعوبات قبل أن يقوموا بانسحابهم المرسوم.

لقد تعمد البلجيكيون الاستعماريون غلق الطريق لقيام دولة أفريقية مستقلة ومستقرة، الأمر الذى انعكس على الأوضاع فى الكونغو، فهى على الرغم من حصولها على الاستقلال فى عام ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ فهى وقد دخل القرن الواحد والعشرون الميلادى على العالم وماتزال الكونغو الديمقراطية تعانى من مشاكل فى الداخل ومع جيرانها فى الخارج.

فعلى الرغم من قيام الأمم المتحدة فى ٢٨ أبريل ٢٠٠٢م / ١٤٢٣هـ بمحاولة الاضطلاع بدور رئيسى للعمل على استقرار الأحوال فى الكونغو الديمقراطة بالإضافة إلى جهود الرئيس تشيلوبا رئيس زامبيا السابق وجنوب أفريقيا والعقيد القذافي، فضلاً عن الجهود التى تقوم بها بعثة

مجلس الأمن الدولى فى دول البحيرات العظمى لتؤكد على الدور النشط الذى يرغب المجلس فى الاضطلاع به، حيث التزامه بتحقيق السلام في الكونغو وأن يوضح لها فى ذات الوقت أن الأمم المتحدة وإن كانت على جديتها للمساهمة فى تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار لن تقوم بفرض السلام فى الكونغو أخذاً فى الاعتبار أن المسئولية الأساسية في حل الصراع هى مسئولية الأطراف المتنازعة لا المجتمع الدولى.

أن الحكومة الكنغولية في كينشاسا لم يكن بوسعها السيطرة على الموقف حيث أنها لا تتمتع بالقدرات والإمكانيات اللازمة لبسط نفوذها على جميع أراضى الكونغو، كما أن المتمردين لا يتمتعون بالشعبية المحلية التى تمهد لهم السيطرة الأمنية وإدارة المنطقة التى يسيطرون عليها، ولذلك كان الاتجاه إلى الأمم المتحدة لقيام مجلس الأمن بعملية حفظ السلام من حيث حماية المدنيين وتأمين حدود الكونغو مع جيرانها والحفاظ علي الأمن فى الأرض التى تنسحب منها القوات الأجنبية (رواندا وأوغندا). وكذلك نزع أسلحة وتسريح المجموعات المسلحة.

حقيقة الأمر أن مجلس الأمن بالإشراف على انسحاب القوات الأجنبية من الأراضى الكنغولية قد يترتب عليه ظهور إدارات محلية فى المناطق التى تنسحب منها القوات الأجنبية فى الفترة الانتقالية التى تسبق انتهاء الحوار السياسى الداخلى إلى حين إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية فى مختلف أنحاء الكونغو.

وقد تسفر هذه الإدارات التى ستحظى بنوع من المباركة الشرعية الدولية عن تقسيم الكونغو إلى عدد من الكيانات شبه المستقلة التى تتمتع بمجالسها المحلية وآلياتها المركزية. والتى لا ولن ترتبط بالحكومة فى كينشاسا حتى بعد أن تنسحب القوات الأجنبية من البلاد. ومع ذلك فقد

ينجح جوزيف كابيلا في التوصل إلى حل سلمى مع المجموعات المسلحة والقوات الأجنبية. وقد يسهم المجتمع الدولى فى استثمار الموارد السياسية والاقتصادية والمالية المطلوبة والتصدى لجميع المشكلات المترابطة التى تعانى منها البحيرات العظمى وبما يتضمن إرساء البنية والقاعدة الأمنية والسياسية والديمقراطية التى تحول دون تجدد النزاع داخل وبين دول المنطقة على المدى الطويل.

الشمال الأفريقى
دول المغرب العربى

- ليبيا
- تونس
- الجزائر
- المغرب
- موريتانيا

ليبيا:

انتهى الأمر في هيئة الأمم المتحدة إلى إصدار قرار فى نوفمبر ١٣٩٦هـ / ١٩٤٩م يقضى بأن تصبح ليبيا المكونة من برقه وطرابلس وفزان دولة مستقلة ذات سياده.

كما قررت:

منح ليبيا الاستقلال فى موعد لايتجاوز يناير ١٩٥٢م (جمادى الأولى ١٣٧٢هـ).

وهكذا تحقق الأمل الذى طالما كافح الليبيون فى سبيل الوصول إليه منذ العدوان الإيطالى ضد الشعب الليبى عام ١٣٢٠هـ / ١٩١١م.

وفى عام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م تمت وحدة ليبيا تحت حكم الملك محمد إدريس السنوسى. وانضمت ليبيا إلى الجامعة العربية وإلى هيئة الأمم المتحدة.

لكن حكم الملك إدريس السنوسى لم يسيطر علي الأمور الداخلية بقوة مما مهد لنجاح ثورة عسكرية بقيادة العقيد معمر القذافى فى أول سبتمبر ١٩٦٩ م (رجب ١٣٨٩هـ) الذى استطاع أن يخلص بلاده من القواعد الأجنبية في عام ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

شعب ليبيا من سلالات عريقة من البربر الذى استوطنوا الشمال الأفريقى من مصر إلى المحيط الأطلسى. كما استوطنها الأفارقة بقايا شعوب قرطاجه وأجناس الشعوب المستعمرين الآتين من الرومان والبيزنطيين واليونانيين.

أما البربر فينقسمون إلى بتر يسكنون فى السهول والهضاب الممتدة من طرابلس إلى تازه وينتشرون فى إقليم النخيل ويمتد من غدامس إلى السوس الأقصى، وفى أفريقيا وفى إقليم التل من طرابلس وعلى سفوح جبال أوراس ويشتغلون بالرعى.

أما البرانس فهم سكان المدن ويسكنون السهول الخصبة والمدن ويشتغلون بالزراعة والصناعة وهم أكثر تأثراً بالحضارة البيزنطية. وقد قاومت البرانس العرب لتأثرهم بالحضارة البيزنطية.

أما البُتْر فقد تعاونوا مع عرب الفتح الإسلامى منذ اللحظة الأولى. بينما انضم البرانس إلى الحركات المعارضة الإسلامية.

فبعد نزول العرب المسلمين في بلاد المغرب واختلاطهم بالبربر، قام التعرب الثقافى إلى جانب التعرب السلالى فى بلاد المغرب بصورة تلفت النظر ومثلت قبائل المغرد دوراً هاماً في تاريخ العروبة فى مصر وشمالى أفريقيا وبلاد السودان من السنغال فى أقصى الغرب إلى الصومال في أقصى الشرق.

وكان للفاطميين أثر لا ينكر فى هجرة جموع كبيرة من قبائل البربر المتعربة إلى مصر، فمن المعلوم أن الفاطميين قد اعتمدوا فى تأسيس دولتهم بالمغرب على هذه القبائل، وكان فى جيشهم فرق منهم، وكان من الطبيعى أن تنتقل جميع منهم إلى مصر بانتقال الفاطميين إليها، ولهذا يعد العصر الفاطمى مرحلة هامة فى تاريخ الهجرة المغربية إلى مصر وبالعكس. فجميع العرب الذين يعيشون على الساحل غرب اسكندرية انحدروا من قبيلة سليم وهى القبيلة التى أرسلها اليازورى مع بنى هلال ليقهروا الأقليميين الثائرين فى تونس وطرابلس ، وقد مضى بنو هلال إلى الغرب واستقر بنو سليم

في الجبل الأخضر ببرقه وفزان وودان، واختلط نسلهم بدم البربر، وأخذوا يتنقلون بين مصر وليبيا. ومن هؤلاء قبائل الهنادى والبراغيث، ومنهم بنى عزاز عريف بن عمرو وبنو ذكوان وبنو عوف وبنو الحارث وبنو عصيه.

على أن قبائل البربر التى حملت أنسابا عربية تنقسم إلى شعبتين فقبائل لواته تنسب إلى القيسية، وقبائل هوارة تنسب إلى السبئية.

على أن مؤرخى العرب يترددون فى نسب لواته وهواره، وكذلك يختلف المؤرخون في نسب هواره فهم من حمير أو البربر ، ومع أن هذه القبائل ترجع أصلاً إلى البربر إلا أنها اختلطت بالعرب الساكنين معهم فى بلادهم، من طريق الحلف أو الولاة أو المصاهرة وظهر ذلك في التعرب الثقافى وفي تمثل قدر من العروبة السلالية فى أصولهم البربرية.

على أن التعرب الثقافى وحده كاف للحكم بعروبة هذه الجماعات.

اهتم العرب فى ليبيا بتربية الأغنام، فهى لاتستيطع الاستغناء عنها فى كل الأحوال ، وقد برعوا فى العناية بالحيوان، وبلغوا الغاية فى تربية الخيول فهى سلاحهم يدافعون به عن ممتلكاتهم وأنفسهم.

وقد أفادت عرب الفتح البلاد المغربية فى الاهتمام بالأنواع الأصلية منها، فقد تفاخر الزعماء المغاربة بالخيول العربية وقالوا بأن أفضل الخيول هى الخيل العربى العتاق الأحساب المدربة عند الأعراب.

وكثيراً ما قدم العرب الخيول إلى الجيوش العربية الموجهة إلى الأعداء وخاصة فى البلاد الأسبانية للدفاع عن عرب الأندلس. وقد ازدهرت تربية الخيول فى المنطقة الممتدة من برقه وحتى المغرب الأوسط ثم امتدت حتى المغرب الأقصى بانتقال بطون عربية من بنى هلال وسليم إليها.

على أن أكثر المهتمين بتجارة الخيول ونقلها من بلاد المغرب ابتداء من برقه إلى قابس وهم عرب ذباب. كما اهتم العرب بتربية ورعى الأغنام وكانت الكثير من المدن المغربية وضواحيها ومراعيها أوطاناً استقر بها العرب وجعلوها مجالا لنشاطهم وسيطرتهم. وتعتبر الأغنام هامة جداً للاقتصاد وذلك لوفرة لحومها وألبانها وأصوافها، وتستخدم أصواف الماعز فى صناعة النباتات والأعشاب. وتستخدم أصواف الماعز فى صناعة الأحبال والمنسوجات، كما توجد فى ليبيا الماشية كالذى يوجد فى شمال أفريقيا ويمتاز بقدرته على مواجهة التقلبات المناخية.

أما الإبل فهى من ذوات السنام الواحد وهو متعدد الأنواع وجميعها يتغذى بالنباتات الشوكية، ونباتات المستنقعات المالحة، وتعطى كميات من اللبن يومياً.

كما توجد معاصر لاستخراج الزيوت فى طرابلس وتاجوراء. كما تتم عمليات التعقيم والتجفيف ثم التعطيب والتسويق، كما يتم دبغ الجلود لوفرة الجلود الخام.

كما يستخرج الملح من الملاحات بكميات كبيرة من الملاحات المنتشرة على طول الساحل فى بنى غازى وكركوزه وطرابلس ومصراته. ويتم تسويقه وتصديره، ويستخدم الملح فى الطعام ودباغة الجلود وصناعة الثلج وتمليح الأسماك.

ويوجد الأسفنج قريبا من الساحل الليبى ويعالج بعدة عمليات صناعية لتنظيفه وتغيير لونه وتنعيمه. وكما اشتغل العرب بتربية الحيوان، اشتغلوا بالزراعة والفلاحة وخاصة القبائل التى اضطرت للاستقرار لسبب أو لآخر على امتداد بلاد المغرب من برقه شرقاً إلى المحيط الأطلسى غرباً، وخاصة

المنطقة من برقه إلى طرابلس التى استقر بها عرب هبيب من بنى سليم، كما استقر بها عرب بنو ذباب فى طرابلس وتاجوراء وهزاعة وزنزوا و غيرهما، كما استقروا بفزان وودان.

ويعد الشعير أهم المحصولات الزراعية والغذاء الأساسى للسكان، وهو يفوق القمح. على أن الشعير أكثر ملاءمة للمناخ وهو سريع النضج ويزرع الشعير في فزان على مياه العيون والآبار ويزرع القمح فى السهل الساحلى بالرى والأمطار. كما يزرع في المرتفعات في إقليمى برقه وطرابلس علي مياه الأمطار، ويتأثر الإنتاج الزراعى وفقاً لحركة الأمطار.

أما فى فزان فتتم الزراعة بالرى من عيون المياه، وأما سهل جفاره في طرابلس وسهل المرج فى برقه فهما من أشهر مناطق زراعة الحنوب فى ليبيا.

ويناسب المناخ الليبى زراعة الزيتون ولذلك كثرت زراعته، وهو يلى الشعير فى الأهمية للسكان، وتكثر زراعته قرب الساحل وفى الجبل.

ويعد التمر غذاء أساسياً للسكان خاصة فى الواحات ولذلك تكثر زراعته فى الداخل فى قيعان الأودية الجافة ويكثر النخيل فى فزان بصفة خاصة وهو يلى الزيتون فى الأهمية.

وتكثر زراعة الكروم فى طرابلس وبرقه والبيضا ويوجد اللوز فى برقه وطرابلس.

أما الجهات الساحلية فتختص بزراعة الحمضيات وهى أنواع يقبل عليها الأهالى لجودتها ويزرع التبغ فى طرابلس وفى غريان والعزيزية ويستخدم فى صناعة السجاير فى ليبيا.

ويزرع الفول السوداني في فصل الشتاء وفي السهول الشمالية والأراضي الرملية، وتستخدم مياه الري لزراعته.

وينبت عشب الحلفا تلقائيا في أطراف جبل طرابلس وفي المناطق شبه الصحراوية في ترهونه، ومنه يصنع الورق وخاصة أوراق النقد ويصدر لأوربا.

أما عن التجارة، فقد بسط الليبيون سلطانهم على طرق التجارة بين أفريقيا والمغرب وشمال السودان عن طريقين:

الأول من بلاد أفريقيا في الشمال متجهاً صوب الجنوب عبر الواحات إلى المدن الكبرى في السودان، عبر حوض السنغال.

كما أن مدن زالة وزويلة ومتيج وودان وصرت وزويله ابن خطاب كانت تقدر مراكز تجارية مع السودان وكان الملح هو أهم السلع التجارية مع السودان وكل الشمال الأفريقي.

وكان عرب ذباب من سليم الذين استقروا في إقليم طرابلس يعيشون من تجارة الملح. على أن العرب اهتموا بتجارة الملح مع السودان وأيضاً مع الدول الأوربية بعد طحنه ثم تصديره.

كانت قوافل التجار تتعامل مع السودانيين بالملح والنحاس والودع في مقابل الصمغ والصدف والخرز والتبر. على أن المنطقة الممتده من برقه إلى طرابلس وجد بها معدن الكبريت، وقام الليبيون بتصديره، كما وجد ببلاد فزان معدن الحديد ومعدن الفضة في جبل جرجس.

وهذا شجع الليبيون من عرب ذباب وناصره على الاستقرار فيها. كما بسط الليبيون سلطانهم على طريق التجاره الممتد من الإسكندرية إلى

طرابلس. كذلك فإن برقه كانت المحطة الأولى بين مصر والمغرب.

كما قام الليبيون بتصدير الأغنام لمصر وكذلك عسل النحل وشمعه.

أما عن أحوال المغرب الدينية والمذهبية فإن الفتح العربى لبلاد المغرب كان منذ البدء هدفه الأساسى هو نشر الإسلام والعمل على بسط تعاليم الدين الإسلامي لشعوب تلك البلاد حتى يتعلموا مبادئ الإسلام ويفيض عليهم بأنواره فيسعدون فى حياتهم وبعد مماتهم، وهذا فضلاً عن الأسباب الأخرى منها تأمين العرب لفتوحاتهم.

دخل العرب بلاد المغرب، وبها عدد من المعتقدات الدينية، فمنهم المجوس وهم منتشرون فى أنحاء مختلفة من البلاد مثل وليلى عند زرهون وبلاد المصامره وبلاد السوس، كما اتنق المجوسية قبائل بني يازغه وبنى برغش وزناته الحابية ومغزاوه وبنى يفرن الزناتي.

كذلك عرفت تلك البلاد الديانه اليهودية مثل قبيلة جراوة، قبيلة الكاهنة فى جبال أوراس وقبائل نفوسه فى أفريقيا.

كما عرف أهل السهل الساحلي الأفريقى المسيحية. أخذ البربر يدخلون فى الإسلام وتعلقوا بمذهب الإمام مالك، وكان لهم حصناً لجأ إليه كثير من سكان المغرب بعيداً عن التيارات المذهبية لجماعات الخوارج. وصار للمذهب المالكي وضعه المميز فى المجتمع وجعلوا منه قدوة ومثلاً أعلى لهم فى حياتهم.

لقد أخذ الإمام مالك بأسلوب مميز هو التمسك بالكتاب والسنة، وهو يسير على طريقة تعدد المناهج وسعة مدى التفكير الذى يفتحه لأنفسهم القائمون على المذهب من تلامذة الإمام، وتعدد الأجواء الفكرية التى يجتهدون فيها، وكثرت الأقطار التى أخذ فيها بالمذهب المالكى. فظهر في

بلاد الشام ثم امتد إلى بلاد المغرب حتى الأندلس.

وكان فقهاء هذا المذهب من جمع بين الفقه العميق والفلسفه فهذا ابن رشد الفقيه الذى تلقى عنه الأوربيون فلسفة أرسطو والذى نازل الغزالى فى هجومه على الفلاسفه، وكان فقيهاً ممتازاً فى الفقه المالكى وله الكتاب القيم فى الفقه المقارن المسمى (بداية المجتهد ونهاية المقتصد).

وهكذا كان انتشار مذهب مالك فى غرب البلاد الإسلامية، حتى يمكن القول أن المذاهب المالكية لعبت دوراً كبيراً فى حياة السكان سواء فى المجال السياسى أو فى المجال الحضارى.

وصار مذهب الإمام مالك هو المدخل لكل من يرغب فى الإندماج فى المجتمع المغربى.

لقد حمل تلامذة الإمام مالك الموطأ الذى كتبه الإمام مالك، وهو يعد أول كتاب جمعت فيه روايات من السنة، وكانوا قبله يعتمدون على الذاكره ولم يكن قد عرف التدوين، فضلاً عن قلة من يعرفون الكتابة.

كذلك وجدت أقليات اعتنقت مذاهب أخرى كانت تمثل تجمعات بشرية لا تتميز بصفة قبلية وإنما طائفية، ومن هؤلاء الشيعه.

الشيعة بمعنى الذين شايعوا على بن أبى طالب أمير المؤمنين، وقالوا بإمامته وخلافته وأن الإمامة لا تخرج عنه وعن بنيه إلا بظلم وأن على وذريته أحق الناس بالخلافة، ويجمعهم القول بوجوب التعيين للإمام بالنصر عليه من قبله، وبثبوت العصمة للأئمة عن الكبائر والصغائر، ويجمع الشيعة حب على، ويختلفون فيمن سواه.

ومن الشيعه من يرى أن الإمام فى الكمالات وهى الصفات الروحانية

دون النبى وفوق البشر ويعتبرون الإمامه ركن من أركان الإيمان.

ومن الملاحظ أن الباطنية، التى هى أساس الدعوة لطوائف الشيعة، قد لزمهم هذا اللقب «الباطنية» لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلاً والمقصود بكل هذا هو القرآن الكريم والحديث فهو أشبه بالتفسير عند السنه وبالفقه.

وقد دعوا الناس إلى إمام فى كل زمان يعرف موازنات العلوم الدينية والمذهبية الشيعية يهتدى إلى مدارجها وهم فرق متعددة. منها فرقة أولاد الحسن لأنه أكبر أولاد على وفرقة سلسلتها فى أولاد الحسين لأن الحسن قد سلم الخلافة لمعاوية فأضاع حق أولاده. وفرقة جعلتها فى محمد بن على من غير فاطمه(محمد بن الحنفية) الإبن الثالث لأن الحق آل إليه بعد وفاة أبيه وأخويه. ففى مقدمتهم فى الشام الشيعة الإسماعيلية وهم الذين اعتبروا الإمامة منتهية عند اسماعيل بن جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٣هـ / ٧٦٠م وأن الأمامه انتقلت إليه بعد أبيه وهو التسلسل الذى نش منه الخلفاء الفاطميون فى المغرب ومصر، إلى الخليفة المستنصر الفاطمى.

أما حزب الخوارج، الحزب المعارض الثانى فهو حزب لايؤمن بالوراثه كأساس لنظام الحكم بل يرى أن يكون الاختيار هو الأساس، وأن يسير الخلفة على سياسة دينية ترتضيها الرعية، فإن حاد وجب عليه أن يعتزل الحكم، ومن هؤلاء الأباضية.

وقد خرج هؤلاء الخوارج على علىّ لأنهم اتهموه أنه لم يتوخ الحق، وقبل التحكيم، وظلوا خارجين على بنى أميه معارضين لهم طيلة مدة حكمهم، لأنهم جعلوا الخلافة ملكاً وراثياً. وقد كثرت ثوراتهم واشتد خطرها وخاصة فى أيام الفتنة الكبرى، كفتنة ابن الزبير.

لقد وجد دعاة المذاهب الخارجية فى المغرب مجالاً واسعاً لنقل أفكارهم ونشرها فى تلك الأنحاء حيث لا رقابة من الدولة. وعمدوا فى سبيل نشر دعوتهم إلى الكافة إلى استخدام السلاح حتى تحقق لهم ما أرادوا. لقد وجدت الدعوة الأباضية ـ نسبة إلى عبد الله بن أباض ـ والصغرية ـ نسبة إلى زياد بن الأصغر ـ فى أرض المغرب مايرغبون فيهم غيرمقيدين مطلقوا السراح فى نشر دعوتهم ضد الدولة، خاصة وأنهم قد لقوا جواً مناسباً واستجابة لمعرفة الأحكام الشرعية للدين الإسلامى.

وقد كانت الاستجابة لتلك الدعوات إيجابية بسبب مالاقاه سكان تلك المناطق من ظلم الولاة خاصة من يزيد بن أبى مسلم وعبيد الله بن الحبحاب.

لقد بحث الأهالى عن المساواة الكلية بين الناس، كما لمسوها فى أول عهدهم بالفتح العربى بعد ما جاء من الولاة من أذاقهم صنوف الاضطهاد فألقوا بأنفسهم فى أحضان المذاهب التى روج لها الخوارج بين هؤلاء المظلومين دون ذنب اقترفوه.

لقد نجحت تلك الثورات الخارجية فى تأسيس دولتين، دولة سلجماسه فى جنوب المغرب الأقصى عام ١٤٠هـ / ٧٥٧م والدولة الرستمية فى بلاد المغرب الأوسط وامتدت حتى طرابلس وفزان فى الأراضى الليبية بعد مبايعة عبد الرحمن بن رستم إمام الأباضية. وظلت الدولة الإسلامية فى صراع مع هؤلاء الخوارج حتى قضت على نفوذهم السياسى، مع بقاء بعض معتنقى تلك المذاهب.

أما عن التصوف والصوفية، فإن التصوف يعد حركة روحية سياسية، عرفها العالم الإسلامى من قديم وأدت دوراً خطير الشأن، حتى لقد قامت

فى بعض الأوقات بكل حركة المقاومة للغرة الأوربية على العالم الإسلامى، فالجماعات الصوفية هى التى دأبت على نشر الدين الإسلامى فى القارة الأفريقية، وروادها - و على الأخص الفرق السنوسية - نشرت الزوايا والمساجد امتداداً من برقة فى الشمال ثم جنوباً إلى جغبوب والكفره وحتى جنوب خط الاستواء بمسافة كبيرة.

وهذه الجماعات هى التى أمدت حركة المقاومة فى شمال أفريقيا، ضد الغزوات الأوربية بكل عناصر الثبات والبطولة، والتى لم تفقد الأمل فى النصر مهما اشتد الخطر وتفاقم الخطب.

والحركات الصوفية هى التى تأخذ هذا المظهر العملى فى حفظ كيان العالم الإسلامى خلال قرون الركود التى عاشها المسلمون تحت ظل الخلافة العثمانية تأخذ مظهراً آخر علمياً وروحياً يتجلى لا فى الكتب وحدها، ولكن في هذا النظام الدقيق المحكم في تسيير الأفراد إلى أى مكان فى العالم الإسلامى حيث يجد الراحل كل أسباب ا لراحة والأخوة والاطمئنان والذى ييسر له أداء واجبه ولا غرابة فى أن عظمة المسلمين إنما تتجلى فى الترابط والالتحام.

والتصوف لا يخالف شرعة الاسلام ولايناقض ما تم عليه إجماع الأمة من أصول وهو لا يبتدع فى الإسلام مبادئ ليست فيه.

لقد ازدهر الدين الإسلامى فى جميع أنحاء ليبيا منذ عهد الإسلام فى زمن الفتح، فقد بدأ عمرو بن العاص ببناء أول مسجد فى طرابلس ثم تبعه المسلمون في بناء المساجد فى عهد الأغالبه، ثم الشيعه الفاطميين في طرابلس وأجدابية.

كما سارع الليبيون أيضاً في بناء المساجد في أنحاء البلاد، وعمل فيها

الفقهاء والعلماء والزهاد أمثال عبد الله الشعاب في عهد الأغالبة. وعبد الله بن اسماعيل البرقي توفي عام ٣١٧هـ / ٩٢٩م.

وعرف المسلمون المسجد، فكان للعبادة والتعليم والتوجيه، ومكان تشاور المسلمين وناصحهم فيما بينهم من الأمور العامة للمسلمين ومكان التقاضي ومقر القيادة العسكرية وعقد ألوية الجيش المجاهد في سبيل نصر المسلمين، ومكان استقبال الوفود القادمة من مختلف الأنحاء.

أما إمام المسجد فله سكنه بجوار المسجد ويقوم بتعليم المسلمين شئون دينهم في غير أوقات الصلاة وقد قام المعلم بالمسجد يعلم الفقه وتفسير القرآن ورواية الحديث.

كما ألقيت بعض العلوم والمعارف بالمسجد باعتبار أن مافيه مصلحة للمسلمين مطلوب تدارسه حتى يساير المجتمع الإسلامي تطور الحياة ورقيها.

كما أنشئت الكتاتيب في مختلف أنحاء ليبيا لتعليم حفظ القرآن ومعرفة مبادئ الشريعة الإسلامية، وكانت تحلق بالمساجد أحيانا ثم انتشرت الكتاتيب في المدن والواحات.

وكذلك انتشرت في ليبيا الزوايا التي من أشهرها زاوية عبد السلام.

الأسمر بمدينة زليطن وقد بنيت عام ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م وزودت بمكتبة اشتملت على مئات من الكتب القيمة.

بل أن حركة الجهاد التي قادها الزعيم الكبير عمر المختار ضد الاستعمار الإيطالي بدأت من إحدى الزوايا التابعة لحركة السنوسية مما يدل على عظم الدور الذي لعبته الزاوية في حركة الجهاد الإسلامي.

تونس :

لما بعث الفاطميون في عام ٤٤٩هـ / ١١٠٥م بقبائل بنى هلال وسليم إلى بلاد المغرب نكاية فى المعز بن باديس أمير أفريقيا (تونس) وحاربوا المعز فحاربهم وهزم فى المعركة وسقطت القيروان فى أيدى العرب، كانت نتيجة ذلك أن تفتتت أفريقيا وتحولت إلى إمارات صغيرة فكانت لأسرة جامع من بطون رياح إمارة عربية فى بنزرت، وأقام بنو هلال من عرب قيس البلدين إمارة عربية في وادى مجرده شمال تونس واستقروا بطبرقه وكانت مرسى لأهل الأندلس،

وعلى الرغم من أن الهجرات الهلالية التى اتخذت مظهر الفتح وتأسيس الإمارات العربية عملت على تعريب القبائل البربرية بالمغرب، لأن الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت فى نشر الدين الإسلامى واللغة العربية بالمغرب فأتت الهجرات الهلالية لتضيف إلى ذلك الدم العربى وتعدل التكوين الجنسى والعنصرى لسكان المغرب حتى صار البربرى القديم لا يلتمس إلا في معاقل الجبال ذات الطبيعة الوعرة ولا يميز إلا ببعض الظواهر اللغوية.

وأضافت هذه القبائل العربية إلى حضارة شمال أفريقيا سمات جديدة ونتج عن امتزاج العرب والبربر أجيال أقوى شكيمة وأشد مراساً من أجدادهم.

على الرغم من كل ما تقدم من إيجابيات للهجرة الهلالية، إلا أن للهجرة الهلالية سلبياتها فقد مكنت النورمان من غزو المهدية وأكثر من مرة واستولوا على ساحل أفريقيا ومدن قابس وصفاقس والمنستير وسوسه وصال وجال روجر فى البلاد حتى تمكن من التغلب عليه الموحدون، وكل ذلك سببه هجرة العرب إلى أفريقيا التى تسببت فى تفتيت قواها بعد ما

تحولت إلى إمارات صغيرة فأتى إليها من يغزوها فلا يجد أحداً يدافع عنها.

بعد أن تغلب الموحدون على النورمان وحرروا المهدية وسائر الساحل الأفريقي، وعاد الأمير الحسن بن على الصنهاجي للحكم وأشرك معه أحد العمال الموحدين ونقلت عاصمة الدولة إلى تونس. وظلت الدولة الموحدية تبسط سلطانها في أفريقيا وتقاوم الثورات وتقضى عليها حتى كان عهد السلطان الناصر بن يعقوب الموحدى، الذى تمكن من التغلب على بقايا الدولة المرابطية واسترجع المهدية من ابن غانية المرابطي وعاد إلى عاصمة دولته مراكش عام ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م.

واستخلف علي أفريقيا أبا محمد عبد الواحد بن يحيى بن أبى حفص، وكان ذلك الدور الذى اسند للشيخ أبي محمد عبد الواحد بداية قيام الدولة الحفصية.

فالدولة الحفصية شعبة من دول الموحدين وذلك زن الخليفة الموحدى محمد الناصر فوض أمر أفريقيا إلى وزيره وصهره الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهتتانى ومنحه جميع السلطات التى تخول له حكماً مستقلاً بهذه الولاية، ثم حدث الانفصال الرسمى النهائى على يد أبى زكريا عبد الواحد الحفصى عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م.

بدأت هذه الولاية كإمارة مستقلة فى عهد أبي زكريا يحى ثم تحولت إلى خلافة فى عهد ولده أبى عب الله محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين واستمرت هذه الدولة مدة طويلة إلى أن سقطت في أيدى العثمانيين نهائياً عام ٩٨١هـ / ١٥٨٤م.

وكانت حدود الدولة الحفصية تشمل الأراضى التى تقابلها اليوم طرابلس والجمهورية التونسية وجزء كبيرمن الجمهورية الجزائرية الذى يشمل ولايات

عنان وقسنطينه وبجايه وتدلس (دلس حاليا) وجزء من الصحراء الجزائرية جنوباً.

وقد لعبت القبائل العربية بأفريقيا دوراً واضحاً فى صد غزوات مسيحى أوربا لتونس وأولى هذه الحملات المسيحية التى تصدت لها القبائل بالمقاومة حملة لويس التاسع التى كانت خارجة للانتقام لهزيمة الفرنسيين بالمنصورة عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ولكنها تحولت إلى تونس بتأثير وتوجيه شارل دى انجو ملك جزيرة صقلية وأخو لويس الذى طمع في استغلالها لحسابه الخاص وتدعيم ملكه ومد نفوذه إلى تونس مستغلاً شارة الصليب.

ورغم أن المصادر الأوربية والمعاصرة للحملة تعزو قيامها لأسباب متعددة ومتنوعة منها إيواء المستنصر الحفصى لبعض العصاة من جزيرة صقلية مما أساء إلى شارل مليكها وتطلع شارل إلى إضافة إقليم ذى موقع استراتيجي هام على الساحل الأفريقى لخدمة الحركة الصليبية، وأخيراً ميل المستنصر الحفصى الشديد للمسيحيين ومعاملته الحسنه لهم. والزعم باستعداده للتنصر والتحول من الإسلام بإظهار قدر قليل من القوة كفيل بجعله يعلن اعتناقه للمسيحية.

والمصادر التونسية تعزو قيام هذه الحملة إلى تناول المستنصر بالله الحفصى لسيرة الملك لويس التاسع باستهزاء، مما أثار الملك لويس وأغضبه فحول طريقها عن مصر إلى تونس للانتقام لكرامته.

ولم تكد الحملة تصل إلى الشواطئ التونسية فى عام ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م وعلى رأسها لويس وأبناؤه الثلاثة وحلفائه من ملوك أوربا وأمرائها فى أشد أوقات صيف أفريقيا حرارة حتى تفشى المرض في المعسكر الفرنسى فوقع الأمراء والفرسان والعساكر فريسة المرض وأصيب لويس التاسع بحمى

شديدة ومات على أثرها وتولى أخوه قيادة الحملة المكونة من ستة آلاف فارس وثلاثين ألف من الرجال واستولى على تونس فى عام٦٦٨هـ ١٢٧٠/م فقام العرب بالاشتراك مع غيرهم من المسلمين بمقاومتهم مقاومة بأسلحة مرسلين رجالهم كفدائيين عن طريق البحيرة التى تطل على المدينة لمناوشتهم خاطفين فرسانهم ليلاً منزلين الرعب فى صفوفهم حتى تمكن السلطان المستنصر بالله من حشد قواته التى بلغت أربعين ألفاً من الرماة فقط لاشك أن أغلبهم من القبائل العربية بأفريقيا لشهرتهم فى استخدامه.

ورغم استمرار احتلال الفرنسيين لتونس مدة ثلاثة شهور ونصف وتفكير المستنصر بالله في الانتقال إلى قسنطينه إلا أنه يبدو أن دور العرب فى المقاومة جعل جوانفيل يذكر وينوه بدور شارل دى أنجو فى المحافظة علي القوات الفرنسية الباقية حتى الخريف وإنقاذ الحملة من كارثة محققة. وفى نفس الوقت رفع من الروح المعنوية لأهل تونس حتى أن أحد أدباء تونس شبه نهاية هذه الحملة بنهايتها فى مصر من حيث الهزيمة والفشل فقال:

يافرنسيس هذه أخت مصر فتأهب لما إليه تصير

لك فيها دار ابن لقمان قبر وطواشيك منكر ونكير

عادت الحملة الفرنسية مهزومة، بعد أن قدم المستنصر لها أموالاً كثيرة.

وقد جدد المستنصر الحنايا التى كانت من أيام الرومان كان يجرى عليها الماء إلى مدينة قرطاجة من زغوان ومدها فى تونس إلى السقايات المتعددة مثل جامع الزيتونه، وفى عهده انتعشت الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتوفى المستنصر في عام ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م وتولى الحكم ابنه يحى الواثق إلا أن عمه أبو إسحق ابراهيم خرج عليه واغتصب منه الحكم عام ٦٧٨هـ / ١٢٨٨م ثم ثار أحمد بن مرزوق المسيلى فى عام

٦٨١هـ / ١٢٨٢م وتمكن من الاستيلاء على تونس وساعده أعراب قابس من بنى هلال ثم خرج عليه ثائر آخر هو الأمير عمر أخو الواثق. وفى عام ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٤ م تمكن من قتل احمد بن مرزوق اسيلى وتولى هو شئون الحكم، وسرعان ما خرج عليه بالجزائر ابن عمه يحى بن ابراهيم واستقل ببجايه وقسنطينه.

وفى عام ٦٩٤هـ/ ١٢٠٤م توفي عمر وخلفه أبو عصيدة محمد بن الواثق وحاول استعادة القسم الشرقى من الجزائر ولم يقدر. وتوفى عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م.

وبعد موجه من الصراع تمكن أبو يحيى زكريا بن اللحيانى من السيطرة علي الموقف فى عام ٧١١هـ/ ١٣١١م ثم تخلى عن الحكم لولده أبى ضربه فعارضه أمير قسنطينه الحفصى أبو بكر عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م واستولى على تونس.

وظل بالحكم حتى عام ٧٤٧هـ/ ١٣٦٤م ثم تولى الحكم بعده ابنه أبى حفص الثانى فثار عليه أخوه أبو العباس فتدخل أبو الحسن سلطان بنى مرين وهاجم تونس فى عام ٧٤٨هـ / ١٣٦٥م وبسط سلطان بن مرين على المغربين الأدنى والأوسط.

ثم دب الخلاف بين أبى الحسن المرينى وقبائل العرب واضطرته الظروف إلى الانسحاب من تونس التى حكمها الفضل بن أبى بكر الحفصى، ودبر له ابن تافراجين مؤامرة لقتله فولى الحكم بعده أخوه أبو اسحق ابراهيم عام ٧٥١هـ / ١٣٥٠م وجعل ابن تافراجين من خاصته، وتوفى أبو اسحق فى عام ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م وتولى السلطان ابو العباس أحمد الحفصى حكم البلاد فى عام ٧٧٣هـ / ١٣٧٠م فقام بحركة أوقف الفوضى وقضى على

الفساد الذى أشاعه الأعراب فى البلاد واستطاع أن يعيد الأمن.

وبسط سلطانه على المهدية وسوسه وقابس وشط الجريد وجزيرة جربه، وانتشر الأمن فى ربوع البلاد، وقضى على الأسطول الجنوى الذى هاجم المهدية فانسحبوا منهزمين بعدما قضى على أسباب ضعف تونس واسترد لها مكانتها، مما أدى إلى نجاح الحفصى في السيطرة علي القبائل العربية بأفريقيا وإلزامهم بالزكاة والعشر.

ومن بداية القرن التاسع الهجرى وحتى سقوط الدولة فى أواخر القرن العاشر اشتد الصراع بين أمراء البيت الحفصى وكثر تدخل العرب وثوراتهم بقيادة أولاد أبى الليل بينما ناصر أولاد مهلهل في الغالب الدولة. وعلى سبيل المثال فبعد نجاح الأمير أبو عمر عثمان (٨٣٩ -٨٩٣هـ / ١٤٣٥ - ١٤٨٨م) فى الاستيلاء على الحكم فى تونس قام أولاد أبى الليل بحماية منافسه علي العرش الأمير أبى عبد الله محمد بن أحمد وأنزلوه بمخيماتهم ولكن وعد ووعيد أبو عمرو عثمان أرهب أولاد أبى الليل فأسلموه لأجلهم وأنصارهم فقتلهم فى نفس العام.

ويبدو أنه لم يف بوعده لهم إذ هاجم أولاد أبى الليل مدن أفريقيا سالبين مراعيها قاطعين الطريق على أهلها وحاصروا مدينة تونس فأطلق أولاد مهلهل منافسهم عليهم واشتبكوا معاً بالقرب من تونس وقتل فيها الكثير وانسحب أولاد أبى الليل مهزمين ليعودوا مرة أخري لحصار تونس بمعاونة أبى الحسن وإلى بجايه ويلتقى الفريقان فى عام ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م وينتصر أبو عمرو عثمان وحلفاؤه من أولاد مهلهل ويقبض على زعماء أولاد أبى الليل.

وهكذا فإن الصراع بين الأمراء الحفصيين على الحكم قد انعكس على

قبائل عرب سليم وصراعها من أجل السيطرة علي جميع عرب أفريقيا والاستحواذ على رضاء الدولة وهيأتها. وليس معنى هذا أن أولاد مهلهل كانوا أنصاراً وحلفاء للدولة بصفة مستمرة فقليلاً ماثاروا على الدولة لسبب أو لآخر ففى عام ٨٦٧هـ / ١٤٦٣م عندما خفض أبو عمرو عثمان مرتباتهم ثار أولاد مهلهل وفر زعماؤهم إلى الصحراء فاستبدلهم أبو عثمان وعين بدلاً من الشيوخ الثائرين عليه رجالاً منهم إما أخاً للشيخ أو عماً أو ابن عم وأخذ أولادهم رهنا لديه لضمان طاعتهم وأرسلهم للعاصمة حيث نزلوا بقصر خاص لتثقيفهم وتربيتهم على الولاء للدولة والإخلاص لها.

وفى خلال فترة حكم أبى عبد الله محمد الخامس وبنه الحسن من عام ٨٩٩هـ / ١٤٩٤م إلى عام ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م وثارت جميع قبائل أفريقيا بقيادة عرب الشابيين وتمكنوا من الاستيلاء على القيروان منزلين هزيمة ساحقة بقوات الدولة التى تخلى عنها أنصارها من العرب.

وتمكن الشيخ عرفه من زعماء الشابيين من الاستقلال بحكم القيروان ولاه أخوه محمد بن أبي الطيب ثم الشيخ عبد الصمد بن محمد بن أبى الطيب ثم ابنه علي ويعرف بأبى زغايه ثم ابنه أبو زيان.

واستمر الصراع بين عرب الشابيين بالقيروان وما حولها والدولة النظامية بتونس إلى إلى أن قضى العثمانيون على استقلال الجميع.

ظهرت الدولة العثمانية فى شمال أفريقيا كقوة ضاربة، وعظم شأنها حيث صار لها أسطول ضخم يغلب أقوى الأساطيل الأوربية خاصة بعد انضمام خير الدين بريروسه وعروج وهما من أمراء البحر الذين ساهموا أعظم مساهمة فى في رفع شأن القوة البحرية العثمانية.

استغاث الشمال الأفريقى بالعثمانيين لنجدتهم من العدوان الأوربى المستمر على سواحلها.

لقد بعث الأمير أحمد الحفصى يستنجد بالعثمانيين فى عام ٩٧٧هـ / ١٥٧٠م ثم عاد يستنجد بالأسبان حين أحس بالخوف من تبعيته للعثمانيين، فعاد الأسبان إلى تونس وأعلنوا حمايتهم عليها، ولما أدرك الأمير أحمد خطأ ما أقدم عليه، انسحب من البلاد وسلم الحكم لأخيه محمد عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٣م وفى عهده اشتد غضب الأسبان وتعسفهم وظلمهم للأهالى وعادت تونس تطلب العون من العثمانيين، فقدمت إلى تونس قوة عثمانية فى عام ٩٨١هـ / ١٥٧٣م يقودها سنان باشا الذى قام بإبعاد الأسبان من البلاد وبعث بالأمير الحفصى إلى الأستانة وانتهت بذلك الدولة الحفصية التى حكمت البلاد على مدى ثلاثة قرون ونصف.

عمل سنان باشا على جعل تونس تابعة للسلطان العثمانى مباشرة، ونظم شئونها الإدارية وصارت تونس ولاية تابعة للدولة العثمانية التى امتد سلطانها من مصر إلى الجزائر.

ونظم سنان با شا الديوان لأدارة شئون البلاد وخصص الرواتب، ونظم الجباية وجعل عليها مشرفى (الباى) فكان الباشا (الوالى) يقوم بحكم البلاد ومعه قوة من الأتراك العثمانيين يقدوهم الأغا.

وبجانب هؤلاء رؤساء القرصان وبعض زعماء قبائل المخزن ويقومون بجباية الضرائب وقسم الجيش إلى أربعين فرقة كل فرقة مائة محارب يرأسهم الداى، وهؤلاء هم رجال الديوان الذين يعاونون الباشا.

وفى عام ٩٩٩هـ / ١٥٩١م اجتمع الدايات انتخبوا واحداً منهم جعلوه رئيساً للجند الأغا ثم أصبح هذا الأغا هو صاحب النفوذ الحقيقى فى البلاد.

ثم تولى الأمر عثمان داى شئون البلاد فى عام ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩م واستبد بالأمر، حتى جعل الديوان مجرد أداة لتسجيل أوامره التى يصدرها ليوقعها حتى صار الباشا ممثلاً للسلطان وليس له سلطة حقيقية.

وسن عثمان داى القوانين التى ساعدت على نشر الأمن والنظام فى البلاد كما اعتمد عثمان داى على قبطان البحرية وعلى رئيس الفرقة الوطنية التى كلفها بجمع الضرائب ومراقبة أحوال القبائل، فازدهرت الحياة فى تونس وفى عهد عثمان داى استقبلت البلاد التونسية آلاف الأندلسيين الذين فضلوا مغادرة بلادهم الأندلسية وهجرتها إلى يلاد الأسلام، على بقائهم تحت ذل الأسبان الذين أرغموا من بقى منهم إلى الدخول فى دين النصارى قهراً واستبداداً.

وقد رحب عثمان داى بهؤلاء المهاجرين الأندلسيين وأقطع القادمين منهم الأراضى وقدم لفقرائهم الأموال لمساعدتهم فامتلأت البلاد التونسية بهم فى كل أنحائها فعمرت البلاد وانتشر العمران فهرت المدن والقرى التى أقامها المهاجرون القادمون. كما أقاموا المزارع والمصانع حتى صارت نهضة عمت جميع الأرجاء.

وتوفى عثمان داى عام ١٠١٩هـ / ١٦١١م وتولى بعده يوسف داى الذى اتجه إلى تسوية الحدود مع الجزائر، واهتم بالتعمير، فأنشأ جامعاً ومدرسة، ونظم الأسواق للتجارة، وتوفى يوسف داى فى عام ١٠٤٠هـ / ١٦٣١م وتولى بعده مراد بك الذى حصل على حق توليه ابنه حموده من بعده، ونعمت تونس فى عهد مراد بك وابنه حموده من بعده بالرخاء والرفاهية، فقد وضع حداً لسلطةج القبائل العربية، وقضى على العصاه الخارجين على القانون تماما. فانتشر الأمن فى البلاد، وبنى جامع وصومعة أضفها إلى جامع الزيتونة. وفى عام ١٠٧٦هـ / ١٦٦٦م توفي حموده بن مراد بك

وخلفه ابنه مراد الذى تمكن من سحق ثورة قامت بها الجند غير النظامية في طرابلس وشرع فى بناء منشآت، وتوفى مراد بك بن حمود فى عام ١٠٨٦ هـ / ١٦٧٦م ثم قامت الصراعات بين ولديه وأخيه على السلطة، الأمر الذى أدى إلى التدخل من جانب القوات الجزائرية وانتهى الأمر بخروج السلطة من جانب أسرة مراد بك وذلك حين قام الأغا ابراهيم قائد الفرسان بالتخلص من نسل عائلة حمودة والاستيلاء على الحكم فى عام ١١١٤ هـ / ١٧٠٢م.

وفى عام ١١١٦هـ / ١٧٠٤م حصل على لقب باشا من السلطة العثمانية فصار هو المسيطر على البلاد. ثم اضطربت الأحوال في البلاد وخرجت السيطرة من يد الأغا ابراهيم فاجتمع الأهالى ونادوا بالأغا حسين بن على زعيم الفرسان بايا، فقام ببسط نفوذه على البلاد فى عام ١١١٧هـ / ١٧٠٥م، وعمل حسين بن على على بذل جهوده فى إقامة حكومة وراثية قوية فى عام ١١٢٢هـ / ١٧١٠م.

ولما استقرت الأحوال فى البلاد منحته الدولة العثمانية ولاية تونس وجعلتها وراثية فى أسرته (١١١٧ - ١١٥٣هـ / ١٧٠٥ - ١٧١٤م) وهكذا شهدت البلاد فترة ا نتقال عميقة فقد استقرت العائلات العربية والبربرية الكبيرة في البلاد وحافظت الدولة على استقلالها من التدخل الأجنبى.

لقد عرف الحسين بن على بالنشاط والذكاء الحاد وعرفت البلاد فى عهده الاستقرار والتقدم الحضارى . وفى عهده انتجت تونس كميات كبيرة من القمح والجلود والشمع والأسفنج والبلح ونشط التصدير في عهده لتلك المنتجات.

كما أنشأ المدارس فى العاصمه، وفى القيروان وسوسه وصفاقس ونفطه.

ثم دب النزاع بين الباى حسين وولديه محمد وعلى من ناحية وابن أخيه

على بن محمد من ناحية من ناحية أخرى، وذلك أن الباى حسين نقض عهده الذى قطعه على نفسه لابن أخيه على بجعله ولياً للعهد وكان ذلك قبل أن يرزق بولديه محمد وعلى ثم غير رأيه بعد ما أنجب ولديه محمد وعلى وخلع ابن أخيه من ولاية العهد، واكتفى بأن حصل له على لقب باشا من الباب العالى.

وهكذا قام النزاع بين على وعمه الباى حسين وعادت الاضطرابات الداخلية إلى البلاد من جديد.

فجأ على إلى الحاكم العثمانى في الجزائر الذى أمده بجيش لمحاربة عمه حسين باى تونس وفى عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٥م تمكن على من هزيمة عمه ودخول تونس وتولى حكم البلاد (١١٤٧ - ١١٩٦هـ / ١٧٣٥ - ١٧٥٦م)، مع تبعيته لوالى الجزائر العثمانى.

وفى عام ١١٥٣هـ / ١٧٤١م تقابل جيش الباى حسين مع جيش على فى جنوبى القيروان وهزم الباى حسين الذى قتل فى المعركة، وصار على والياً علي تونس ثم قام بإنشاء المدارس فى أنحاء البلاد.

وفى عام ١١٩٦هـ / ١٧٥٦م فوئ الباى على بابنى عمه حسين بالهجوم عليه بجيش كبير واقتتلوا فهزم على وسقط قتيلاً فى المعركة.

واستولى محمد بن حسين الباى على عرش تونس ثم كلف أخيه على بتدبير شئون الدولة ومات عام ١١٧٢هـ / ١٧٥٩م وبقى على فى الحكم ١١٧٢ - ١١٩٦هـ / ١٧٥٩ - ١٧٨٢م) وأبدى نشاطا فى الاهتمام بالتجارة والزراعة والصناعة وأنشأ محكمة شرعية فى تونس والمدرسة الجديدة وأنشأ تكية للفراء من الرجال والنساء تقدم الطعام للمعوزين، وكان يجالس العمى ويقدم لهم الطعام بنفسه.

وفي عام ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م توفى على بن حسين الباى وخلفه حموده ابنه فى حكم البلاد (١١٩٦ - ١٢١٥هـ / ١٧٨٢ - ١٨١٤م) وفى عام ١٢٠٤ / ١٧١٩م أعلن حموده بن على الحرب على البندقية، واستعد لقتالها لتسبب بحارة جنوبية فى الإضرار ببعض تجار من تونس فتراجعت البندقية وقدمت التعويض المناسب للتجار التونسيين ترضية لباى تونس، كما استغاث حاكم طرابلس على القرمانلى من اعتداء على برغل على سلطاته، فانتصر لعلى القرامانلى وأعاه إلى ولايته فى طرابلس.

كما قاوم الاعتداء الذى قام به الوالى العثمانى بالجزائر على تونس وهزمه وصارت تونس فى وضع دولى ممتاز فى عهد حموده بن على باى تونس.

لقد أدخل التجنيد فى الجيش وأشرك التونسيين فيه وشاركوا فى الحكم مع العثمانيين وجعل من نفسه نموذجاً للوطنية التونسية بأن جعل هدفه الاعتماد على المنتجات التونسية فى كل شئ من ملبس ومأكل ويعلن ذلك على الملأ.

وخلفه محمود بك بن محمد ١١٩٦ - ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م) الذى أرغمته الدول الأوربية على إلغاء تجارة الرقيق رغم الاضرار الاقتصادية التى ترتبت على هذا الإجراء ولكنه قاوم الضغط الأوربى.

وفى عهد خلفه حسين بك(١٢٤٠ - ١٢٥١هـ ١٨٢٤/ - ١٨٣٥م) بدأ التنافس بين بريطانيا وفرنسا للحصول على امتيازات فى تونس، وتمكنت انجلترا من الحصول على حق صيد المرجان فى ساحل طبرقة وفى كل سواحل تونس.

وفى الحرب العثمانية ضد اليونان، وقفت تونس بجانب العثمانيين فبعثت

الأسطول التونسى فى موقعة نافارين البحرية ولكنه لم يقف مع الجزائر فى حربها ضد الفرنسيين، مما سيكون له أوخم العواقب بالنسبة لكل من تونس والجزائر. إذ أن الجزائر لم تستطع المقاومة ضد فرنسا حين قام الأمير عبدالقادر الجزائرى بعد صراع عنيف ضد الفرنسيين بتسليم نفسه فى عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م مقابل السماح له بالسفر إلى الإسكندرية. وبعدها خضعت الجزائر للحكم الفرنسى.

ولم يكتفى حسين بك باى تونس بموقف الحياد بل إنه من خوفه من قوة فرنسا سارع يؤيد فرنسا ضد الجزائر(١) وأبدى استعداده لتموين جنود الملة بالمواد الغذائية اللازمة له، وأرسل مبعوثه للقنصل الفرنسى بذلك وهنا انتهز القنصل الفرنسي الفرصة وعرض معاونة فرنسا لباى تونس حسين بك فى حكم البلاد، وقبل الباى العرض الفرنسى.

ثم تطورت الأمور بعد ذلك فقد أخذت فرنسا تعمل على إعلان الحماية الفرنسية على تونس فى عهد الباى محمد وطلبت منه إثبات إخلاصه لفرنسا بتوقيع معاهدة تضمن استقلال تونس وتضمن سلامته الشخصية. أو أن تقوم فرنسا بنفسها للدفاع عن مصالحها بالقوة.

وفى عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨١م بعثت فرنسا بحملة فرنسية إلى تونس وبدأت الاستعدادات على الحدود التونسية الجزائرية بحجة منع الباى من اتخاذ سياسة عدائية صريحة ضد فرنسا ثم عملت أجهزة الإعلام الفرنسية على تهيئة الجو فى فرنسا لقبول وضع الحماية الفرنسية على تونس.

---

(١) حدث مثل هذا الموقف المتخاذل الضعيف يوم حصار العثمانيين للقسطنطينيه. بقصد الاستيلاء عليها فبلغ الخوف بالإمبراطور البيزنطى قسطنطين أنه كان يقدم الطعام للعمال العثمانيين الذين يبنون الحصون والقلاع تمهيداً لفتح القسطنطينية ثم ندم الإمبراطور بعد ذلك.

ثم بدأت التقارير الفرنسية الكاذبة عن ادعاءات رجال القبائل التونسية، وانتهى الأمر بدخول القوات الفرنسية إلى تونس وأرغم الباى على توقيع معاهدة الحماية الفرنسية على تونس فى عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م .

بدأت فى تونس حركة المقاومة ضد الحكم الفرنسى فقاوم الفرنسيون الحركة بالاعتقالات والنفى خارج البلاد، فنفوا الشيخ محمد السنوسى، واعتقلوا السيد حسونه ابن مصطفى فى قابس وغيرهم من الزعماء والأنصار فقام غيرهم لمواصلة المقاومة ضد الفرنسيين.

وواصل الفرنسيون النفى والاعتقال للوطنيين التونسيين لقد سارعت فرنسا لاحتلال تونس خوفاً من الشعار الذى أطلقه السلطان عب الحميد الثانى «يامسلمى العالم اتحدوا»(١) حيث بلغت تنمية الشعور بالرابطة الإسلامية مداها. وظهر الإحساس بالخطر الذى يهدد الشعوب الإسلامية، أما عن غول الاستعمار الغربى المتربص بها فيدعوها إلى التجمع حول تركيا بوصفها أقوى الشعوب الإسلامية وأقدرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك.

أثارت تلك الحركات المؤيدة لفكرة الجامعة الإسلامية مخاوف الدول الأوربية وخاصة انجلترا وفرنسا خوفاً على ماصار تحت أيديهم من ممتلكات وثروات فى العالم الإسلامى، فعمدت الدولتان إلى مقاومة الجامعة الإسلامية بكل الوسائل الممكنه وعمدت إلى محاولة تقطيع أوصال الدولة العثمانية والانتقاص من هيبتها أمام الشعوب الإسلامية، وكان احتلال فرنسا لتونس وتوسعهم فى قلب القارة الأفريقية وتهديدهم لمراكش واحتلال الإنجليز لمصر، وتوطيد دعائم نفوذهم فى أطراف الجزيرة العربية وفى الهند

---

(١) دكتور محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ط اسكندرية ٩٩ ص ١٤٩ .

والقضاء على الحركة المهدية فى السودان. وهكذا امتد الاستعمار الأوربى ليشمل العالم الأفريقي والآسيوى ولكن إلى حين.

وفى عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م اجتمع بعض المثقفين التونسيين ليعملوا على ربط تونس بحركة الجامعة الإسلامية. وفى عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م تألف حزب تونس الفتاة برئاسة على باشا جمعه ونادى بفكرة وحدة البلاد الإسلامية والاعتزاز بالخلافة العثمانية لزعامة العالم الإسلامى فقامت السطات الفرنسية بحركة الاعتقالات والنفى من جديد.

ثم قام بعض أعضاء حزب تونس الفتاة فى عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م ثم عادت السطات الفرنسية إلى استخدام العنف والقتل والتشريد ضد الوطنيين التونسيين فرأى التونسيون إلى اللجوء إلى الشرق وجعلوا هدفهم الجامعة العربية، فانسحب الزعيم الحبيب بورقيبة سراً من تونس بعد ماخلفه فيها الزعيم صالح بن يوسف الذى عمل على عقد مؤتمر فى عام ١٣٦٢هـ / ١٩٤٣م يجمع ممثلى الحزب ونقابات العمال ورجال جامعة الزيتونة واتحاد الموظفين والتار وجمعية الفلاحين وجمعية الأطباء والصيادلة والمحامين والمعلمين وقرروا الاتفاق على ميثاق وطنى يعلن بطلان الحماية الفرنسية ويطالب بالاستقلال التام والانضمام لجامعة الدول العربية.

وفى القاهرة اجتمع الحبيب بورقيبه بالوطنيين التونسيين الذين حضروا من كل ناحية، وأنشأوا مكتب للدعاية للقضية التونسبة وشح قضيتها للرأى العام.

وتنبهت الجامعة العربية لقضية تونس وضمتها إلى قضية العرب الكبرى، وعرض الموضوع على هيئة الأمم المتحدة ثم التقت وفود تونس ومراكش والجزائر وتوحدت أهدافهم جميعاً ضد الاستعمار وعملوا على

المطالبة بتوحيد الصف العربى جميعه. ثم أفرجت فرنسا عن البطل عبد الكريم الخطابى فلجأ إلى مصر فاشتعل الموقف لصالح الوطنيه العربية.

وفى عام ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م سمحت فرنسا بعودة الزعيم بورقيبة إلى تونس وقدت معه اتفاقاً اعترفت فيه باستقلال تونس وحكومتها الوطنية مع بقاء السياسة الخارجية والدفاع فى يد فرنسا واحتفاظ فرنسا بميناء بنزرت قاعدة بحرية لها.

وفى عام ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م أعلنت الجمهورية وسمح للباى بالحياة فى تونس كفرد عادى ونصب الحبيب بورقيبة نفسه رئيساً للجمهورية.

ثم دب النزاع بين فرنسا وتونس وانتهى الموقف باتفاق ينهى احتلال الفرنسيين لميناء بنزرت وغادرتها القوات الفرنسية فعلاً، ثم واصل التونسيون بزعامة الحبيب بورقيبة العمل على إلغاء الاتفاقيات التى تمنح الفرنسيين امتيازات لهم فى تونس.

وفى عام ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م حصلت تونس على سيادتها فِى التصرف فى سياستها الخارجية والدفاع وصارت الجمهورية التونسية دولة مستقلة ذات سيادة.

الجزائر:

أخذ الاستعمار الأسبانى يأخذ دوره فى نهاية القرن ٩هـ الخامس عشر الميلادى فى السطو والاعتداء على السواحل الجزائرية والتونسية والمغربية والعرب فى غيبة عن المقاومة الشرعية ضد المهاجمين الأسبان لانشغالهم فى حروبهم وانقسامهم، حتى ضاع نفوذ الدولة الحفصية فى البلاد.

كما أن دولة عبد الواد انحسر سلطانهم عن المغرب الأوسط واستقروا فى تلمسان وبعض حواشيها وصاروا فى مواقف دفاعية بسبب حالات التشرزم التى شغلتهم عن مواجهة الأعداء.

استقر الأسبان فى السواحل الجزائرية إلا أن المقاومة الوطنية فى البلاد ظلت تلاحقهم.

ثم ظهر فى خلال تلك الفترة من نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادى عشر الهجرى/ الخامس عشر الميلادى أخوان بربروسا من أشهر قراصنة البحار آنذاك لجأ إليهم المهاجرون الأندلسيون لمساعدتهم فى الخروج فى صف الأندلسيين وساعدهم على اللجوء إلى الجزائر فنزلوا فى الجزائر فى عام ٨٩٨هـ / ١٤٩٢م.

كما بعث الأمير الحفصى فى عام٩١٨هـ/ ١٥١٢م إلى بربروسا يستنجد به فأسرع عروج إلى مهاجمة شرشال فى عام ٩٢٢هـ / ١٥١٦م وتمكن من دخول مدينة الجزائر وتمكن من دحر المعتدين المحتلين الأسبان وعمل على إدارة البلاد متعاوناً مع أهلها، وهنا ارتفع نجم الدين بربروسا الذى رأى مواصلة تنفيذ خطته فى التعاون مع المغاربة مع إعلان ولائه للسلطان سليم العثمانى فى عام ٩٢٦هـ / ١٥١٩م وسرعان ما منحه العثمانيون لقب «بجلر بك» أمير الأمراء وأمدوه بألفين من الانكشارية وأربعمائة من الأرناؤوط وعدد

من المدافع، وتمكن من إثبات وجوده فى أرض المغرب الأوسط.

ففى عام ٩٣٩هـ / ١٥٢٢م هاجم قسنطينه وأنهى ثورات العرب فى أقاليم قبيلة دهننة وشرشال وتنس وتغلب عليهم جميعاً. ثم وجه بربروسا جيشه لحصار حصن بيتون لمنع الأسبان من تهديدهم له واستطاع فتح الحصن فى عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م.

بعد ذلك اتجه بربروسا إلى عمل إصلاحات بميناء الجزائر لتمكنه من الرسو بأسطوله فى أمان من الرياح الغربية أو الشرقية وأصبح هذا الميناء الجزائرى مرقباً لمتابعة حركة السفن العابرة فيه من الناحية الغربية والشرقية، ثم أفسح مجالاً للعثمانيين للاستفادة من هذا الميناء باعتباره من قادة الدولة العثمانية ذوى المكانة العالية.

وفى عام ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م مد البجلر بك بربروسا نفوذه إلى تونس فدخل العاصمة وأعلن منها انتهاء العهد الحفصى فى البلاد، وصارت الجزائر وتونس تحت سلطان بربروسا ومن ثم فالدولة العثمانية. وعند ذلك بعث السلطان العثمانى فى القسنطينيه يستدعى بربروسا وهناك منحه لقب أمير الأسطول العثمانى وكلفه بإدارة الحرب ضد أعداء الدولة العثمانية وقام خير الدير بربروسا بدوره على أفضل ما يكون وظل كذلك حتى وفاته فى عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م.

وعندما أحس الغرب الأوربى بخطر التطورات التى حدثت فى سواحل المغرب الاسلامى أعلن البابا لويس الثالث بضرورة اتحاد المسيحيين لمواجهة القوة الإسلامية الناهضة، وفعلاً انضمت القوات الأسبانية والإيطالية والبرتغالية واتجهوا إلى السواحل المغربية وهاجموا الجزائر وتونس ونجحوا فى النزول إلى تونس فى عام ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م وتمكنوا من

الاستعانه بحاكمها المعزول الأمير حسن وأعادوه إلى مكانه بعد تعهده بدفع جزيه سنوية لهم.

ولم يستكن بجلر بك بربروسا لما حدث وأسرع فى نفس العام بالهجوم على جزر ميورقة على الساحل الأسبانى وعاد ومعه أعداداً كبيرة من الأسرى ثم واصل غزواته حتى وصل إلى الساحل الإيطالى ، حتى بلغ الخوف بالأهالى فى مدينة روما إلى حد ترك المدينةج خوفاً وهلعاً.

كما قام بجلر بك العثمانى بإعداد السواحل الجزائرية للدفا ع عن نفسها ضد الأساطيل المهاجمة، حيث أقاموا ترسانات قوية وأماكن للتربص ومراقبة الأعداء، فأقاموا الأبراج المحصنة.

وهكذا صارت الجزائر دولة إسلامية عثمانية وبعد وفاة خير الدين، تولى الأمير حسن مكان أبيه وحصل على لقب بجلبربك، وقد تغلب على الأمير حسن با شا بن بربروسا ع الأسطول الأسبانى الذى بعث به شارل الخامس ملك أسبانيا واستولى على ماكان بالأسطول من سلاح وعتاد وذلك فى عام ٩٤٨هـ / ١٥٤١م.

ثم عادوا الكره فى الهجوم على الجزائر فى عام ٩٥٤هـ / ١٥٤٧م وفشلوا، وفى عام ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م هاجموا الجزائر للمرة الثالثة وأداروا معركة عند مدينة متغانم شرقى المرسى الكبير ولكنهم هزموا وقتل قائدهم وانسحبوا إلى البحر خائبين.

وقد تمكن حسن باشا من بسط سلطان العثمانيين على الجزائر جميعه من الساحل إلى الداخل حتى تلمسان ولم تفلح محاولات الدولة العلوية فى المغرب الأقصى فى احتلال تلمسان الجزائرية فى عام ١١٠٢هـ / ١٦٩١م وعام ١١١٤هـ / ١٧٠٢م.

ثم منيت الجزائر منذ أواخر القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى بعهد الدايات ورؤساء الفرق الذى انتشرت فيه الرشوة والفساد.

ودخلت الجزائر فى أزمة اقتصادية خانقة حتى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر الميلادى، بسبب تضاؤل فرص القرصنة فى البحار وكانت القرصنة تدر دخلاً عالياً للبلاد ومقبولة عرفياً عند الرأى العام والدولة عامة.

كما أن الحروب بين تلك الولايات المغربية والمتكررة أدت فى النهاية إلى عدم استقرار الأحوال فى كل من تونس والجزائر.

الجزائر فى عهد الدايات:

وقد فقدت الجزائر خلال القرن الثانى عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى تقدمها الداخلى وضعف شأن الأسطول الجزائرى . كما عملت الأوبئة والمجاعات التى اجتاحت البلاد في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى بالإضافة إلى الارتباك فى إدارة البلاد ضعف الحركة التجارية حتى أن الصناعات الوطنية النشيطة التى جعلت اعتمادها على المنتجات المحلية عانت هى أيضاً من كساد الأسواق. وهكذا ضعفت الصناعة كما ضعفت التجارة.

كما توقف الدخل الكبير بسبب انتهاء عهد القراصنه بعد أن تمكنت الدول الأوربية من فرض سيطرتها على البحر الأسود. وهنا لجأت الدايات إلى الجزائريين وأعملوا معهم السلب و النهب وانتشر الفساد فى الحكم العثمانى ، وكانت سلطة الداى الذى يعاونه الديوان والديوان العسكرى والمجلس البحرى وملس القضاء الأعلى سلطة مطلقة استبدادية فى واقع الأمر.

كما كانت الجزائر مقسمة إلى ثلاث ولايات قسنطينة فى الشرق، ويتطرى

فى الوسط وعاصمتها مدينة المدية وولاية غربية وعاصمتها مزونه. ثم صارت المعسكر، وذلك فى عام ١١٢٢ هـ / ١٧١٠م ثم صارت وهران منذ عام ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م وقسمت هذه الولايات وكان لكل وال سلطة واسعة فى ولايته وارتبط بالحاكم العثمانى المقيم بالجزائر بحماية الأموال لصالح خزينة الدولة وكذا تقديم الأفراد للخدمة فى الجيش العثمانى.

أما القبائل الجزائرية، فقد كلف بعضها بدفع ضريبة العشور، أما البعض الآخر من القبائل فقد أعفيت من دفعها فى مقابل تقديم الشباب للخدمة العسكرية والعاملين فى الخدمة المدنية للدولة العثمانية. كما اقتطعت الدولة الأراضى لشيوخ تلك القبائل.

وفى عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م قامت ثورة الجزائر بسبب المشاكل الاقتصادية فى البلاد وكان من نتائجها قيام الداى على خوجه الذى خلع النفوذ العثمانى وجعل اعتماده على الجند الزواوى الجزائرى وتوفى على خوجه عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨وتولى بعده وزيره الداى حسين. وفى عهد الداى حسين. فى عهد الداى حسين فى عام ١٢٣٤ هـ / ١٨١٨م صدر قرار مؤتمر لاشايل بإلغاء القرصنه وأبلغوا الجزائر بإلغائها إلا أن الداى حسين أصر على الرفض.

وفى عام ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م كتب الداى حسين بطالب فرنسا بسداد قيمة مبلغ مليونان ونصف من الفرنكات مستحقة للداى قيمة قمح اشترته فرنسا من الجزائر ، وماطلت فرنسا الرد وتوترت العلاقات بين الداى حسين وفرنسا.

وفى عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠م قامت حملة حربية فرنسية تضم ستمائة سفينة بها ثلاثة آلاف مدفع وأربعة وثلاثين ألف مقاتل غير سفن محملة

بالمؤن ونزلت فى سيدى فروج غربى الجزائر وعلى الرغم من المقاومة الباسلة للجزائريين فإن الحملة الفرنسية تغلبت عليها ونزل الفرنسيون المدينة.

وقدم الفرنسيون شروطهم التى أرغم الداى على قبولها وتضمنت الشروط:

١ ـ تسليم جميع حصون المدينة.

٢ ـ ضمان حرية الداى وممتلكاته الشخصية. .

٣ ـ ضمان حرية الداى فى البقاء أو الرحيل مع حقه فى الحماية الفرنسية.

٤ ـ حماية الجند الجزائرية من أية أعمال انتقامية ضدهم.

٥ ـ الحرية الدينية فى إقامة الشعائر لجميع الطوائف.

ثم حاول الفرنسيون التوغل إلى داخل البلاد إلا أن المقاومة الجزائرية وقفت حائلاً دون ذلك.

وتزعم الأمير عبد القادر الجزائرى المعارضة الجزائرية للمقاومة ضد الغزو الفرنسى للجزائر، وتلقب بأمير المسلمين وواصل الجهاد ضد الفرنسيين حتى تمكن من الاستيلاء على تلمسان، ومنع التعامل مع الفرنسيين.

ودارت المفاوضات مع الفرنسيين وقبل الأمير عبد القادر أن يكتفى الفرنسيين باحتلال الساحل وتم الاتفاق على وقف القتال فى عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م.

وانتهت المفاوضات إلى اعتراف كل منهما بالآخر، فاعترفت فرنسا

بسلطة الأمير على كل القبائل والمناطق الخاضعه له بشرط عدم قيامه بأى عمل يضر بالمصالح الفرنسيه واعترافه بالولاء لملك فرنسا ودفع جزية سنويع وعدم شراء أسلحة غير فرنسية. مقابل احتكار الأمير عبد القادر لتجارة الحبوب وعدم تعامل فرنسا مع أحد غيره.

كما أرسلت فرنسا السلاح للأمير عبد القادر وصار غربى الجزائر تحت سيطرة الأمير عبد القادر.

وفى عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م عقدت فرنسا اتفاقاً مع القبائل التى فى شرق الجزائر وعرف بمعاهدة التبنة فى عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م تم بموجبه إخضاع القبائل للفرنسيين مع الخدمة فى صفوف الفرنسيين نظير المرتبات والحماية الفرنسية.

حاول الفرنسيون فرض سيطرتهم على الجزائر وبدأوا فى احتلال المرسى الكبير ثم وهران ثم بونا.

ولما حاولوا التوغل إلى داخل البلاد لقوا مقاومة عنيفة اضطروا خلالها إلى إخلاء وهران وبونا والانسحاب منها.

على أن الاتفاق الذى تم فى عام ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م والذى عرف باسم (دى ميشيل) أعطى لفرنسا حق احتكار السلاح وتجاوة الصادرات والواردات، وبذلك تسيطر فرنسا على سوق الجزائر وتبتز أموالها وتبقى الجزائر تحت حماية فرنسا.

على أن الأمير عبد القادر أراد أن يستثمر الاتفاق فى تنظيم صفوف قواته وتقويتها. إلا أن هذه الهدنه عارضها بعض أتباع الأمير وتزعم هذه المعارضة جماعة من المراكشيين واتجه بهم إلى الجزائر فى عام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م.

وبدأ يقاتل القوات الفرنسية في وهران الجنوبية ثم اتجه إلى زواده وانضم إليه المجاهدون المؤيدين له وظل يحارب الفرنسيين حتى عام ١٢٥٣هـ ١٨٣٧م فاضطرت فرنسا إلى نقض الهدنه مع الأمير عبد القادر وعادت المعارك بين الأمير وبين الفرنسيين واستطاع الجزائريون أن يحققوا النصر على الفرنسيين فى معركة سيدى ابراهيم وتمكين الأمير عبد القادر من استعادة نفوذه، فحشدت فرنسا جيشاً ضخماً يقوده القائد الفرنسى يوجو الذى قام بنسف حصن (الأوزو) فى عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م ولجأ الفرنسيون إلى استعمال أبشع أنواع الإفناء الجماعى، فأتلفوا وأحرقوا وضربوا فحدث تخلخل فى قيادة الأمير عبد القادر وتفرق بعض أتباعه فاضطر إلى الاحتماء بمراكش وسرعان ما انضم سلطان المغرب السلطان عبد الرحمن إلى صف الأمير عبد القادر وأعلن الحرب على فرنسا وجند الجيوش لمحاربتهم إلا أن الفرنسيين تغلبوا على الجيش المراكشى وهاجموا المدن المراكشية، فاضطر المراكشيون إلى الانسحاب وتوقفوا عن الاستمرار فى مساعدة الجزائريين تحت ضغط التهديد الفرنسى لبلادهم.

لم يستطع أبو معزى الاستمرار فى المقاومة ضد الفرنسيين وتم اعتقاله. وواصلت فرنسا هجومها على الجزائريين فى حين انسحب الأمير عبد القادر بعد توقف الإمدادت التى كانت تصله من أنصاره المؤيدين له، واضطر الأمير عبد القادر إلى تسليم نفسه فى آخر عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م وسمح له بمغادرة الجزائر إلى حيث يشاء فسافر إلى الشام وتوفى بها.

وعلى الرغم من انسحاب الأمير عبد القادر من ميدان المقاومة إلا أن المقاومة الجزائرية بقيت على حالها وظلت تقاوم الفرنسيين، على الرغم من حملات الإبادة الجماعية التى شنتها فرنسا فى الأعوام من ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م إلى ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣ م لقد أباد الفرنسيون مئات القرى . وعلى

الرغم من قسوة الفرنسيين فى حربهم ضد شعب الجزائر فقد واصل الجزائريون ثوراتهم ضدهم فى أعوام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م و ١٢٧٦ هـ/ ١٨٥٩م.

ثم قامت ثورة مارس الكبرى عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م التى انضم إليها مائة وخمسون ألف مقاتل من رجال القبائل سقط فيها ستون ألف شهيد وقتل من الفرنسيون عشرون ألف جندى.

ولما أفرجت ألمانيا عن الأسرى الفرنسيين الذين اعتقلتهم فى الحرب السبعينية سارعت فرنسا بإرسالهم إلى الجزائر لتنتقم من الجزائريين المدافعين عن بلادهم بالإعدام والمصادرة للأراضى وإنزال الغرامات على الأهالى، فاستسلمت الجزائر وخضعت لفرنسا وعملت فرنسا على أن تحكم البلاد حكماً مباشراً.

لقد كان هدف الاستعمار الفرنسى استغلال الجزائر فاتجه إلى الأرض وإلى إنتاج السكان، أما الثروة المنقولة فيمكن نقلها للفرنسيين لكن لابد من استغلال الجزائر استغلالاً كاملاً، فأذن تتم السيطرة على الأرض وعلى الإنتاج الزراعى، وبدلا من جعله إنتاجاً يخص الشعب الجزائرى فلا مانع من تصديره للسوق الفرنسية.

كما عمل الفرنسيون على خلق طبقة من العمال الأجراء وتكون طبقة اجتماعية جديدة تنتج السلع اللازمة للسوق الفرنسية، وترتبط المصالح بين الشعبين لمصلحة البقاء الفرنسى فى الجزائر.

وهكذا بدأ اغتصاب الفرنسيين للأراضى فصادروا ملكية الأتراك وملكية الأوقاف، وبذلك استولى الفرنسيون على غالبية الأرض الجزائرية فقد كان أغلبها وقفاً.

وفى نفس الوقت حرم الجهات الدينية والخيرية من مصادرها فخضعت للفرنسيين.

وفى عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م صدر قانون لمصادرة أراضي العرش لمصلحة الدولة الفرنسية. ثم توالت القوانين التى تزيد من ملكية الدولة الفرنسية للأرض الجزائرية بكل الحجج الواهية ففى عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م صدر قرار باعتبار أرض المراعى أراض للدولة الفرنسية فأصبح كل من يعملوا فى الرعى أجراء عند الدولة، كما عمد الفرنسيون إلى بذر بذور الفرقة والنزاع بين القبائل بأن طالبت كل قبيلة بتحديد ملكيتها لأرضها. وفعلا قامت النزاعات بين القبائل فشكلت لجنة الصفقات التى ظلت تعمل على مدى ثلاثة عشر عاماً تفصل فيها بين القبائل، وظهر من الناحية العملية تعذر إثبات ملكية الأراضى للقبائل وهنا تلجأ اللجنة - حلاً للنزاع بين القبائل - إن تقوم ببيعها إلى الفرنسيين بثمن بخس.

وفى عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م أصدر الإمبراطور نابليون الثالث قانون ملكية الأرض وجعل ملكية الأرض للقبائل وتحايل الفرنسيون فشكلوا لجنة مسح الأرض وكانت النتيجة أن وجد الجزائريون أنفسهم وقد خرجوا صفر اليدين، الأرض التى حصلوا عليها غير صالحة للاستغلال بأية صورة.

وفى عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م حولت الإدارة الفرنسية الملكيات الكبيرة للأرض إلى ملكيات صغيرة للغاية. ثم صدر قانون يجيز ملكية الأرض بسبب المديونية وبذلك تحولت الأرض الجزائرية إلى أملاك الدولة حيث صارت مساحة ملكية الدولة إحدى عشر مليون هكتار.

الهجرة الإجبارية:

عملت فرنسا على جذب الأجانب إلى الجزائر واسكانهم فيها ولما تعذر عليها إحضار الأعداد المطلوبه لجأت إلى إرغامهم بالقوة للهجرة إلى الجزائر حتى أن جماعة من الألمان أرغموا على السفر للجزائر للاستقرار بها بالقوة ثم لجأت فرنسا إلى ترحيل المسجونين غير المرغوب فيهم سياسياً إلى الجزائر.

وفى عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م تغيرت الأحوال فى الجزائر بعد ظهور الشركات الزراعية العقارية، وبدأ الاستثمار الأجنبى يعرف طريقه إلى الجزائر، وهنا بدأ الأوربيون يقبلون على الهجرة وزادت أعدادهم فى الجزائر وبدأ تملك الشركات الأجنبية للأراضى فحصلت شركة الجنغواز على إثنى عشر ألف هكتار من الأراضى وأقبل معها خمسمائة من الأوربيين فى عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م.

وفى عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م قام بنك التسليف العقارى ثم توالى قيام شركات تسليف ونق بحرى وتجارى.

كما حصلت الشركجة العامة للجزائر على أرض بلغت سبعون ألف هكتار كضمان لقرض بلغ مائة مليون فرنك للإصلاح الزراعى، ولكن لم يتم صرف ما تعهدت به الشركج إلا عشر المبلغ المحدد من قبل، كما قام الفرنسيون بتوزيع مساحات هائلة من الأراضى العقارية على ثلاثين رأسمالياً أجنبياً.

وفى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى / العشرين الميلادى كثرت رؤوس الأموال المستثمرة فى الجزائر. وبدأت الملكيات الزراعية الكبيرة فى الإنتاج الزراعى الآلى. فظهر الإنتاج التجارى. واتسعت زراعة قصب السكر والقطن والزيتون والتمباك.

الاحتكار الأجنبي:

خصص الاستعمار الفرنسى الأجنبى للقيام بدور المستفيد الأول والمستغل لخير الجزائر دون شعب الجزائر صاحب الأرض الأصلى. واستخدم فى سبيل الوصول لهدفه السيطرة على السوق الداخلية وتصدير رؤوس الأموال.

كما قامت فرنسا باحتكار النقل البحرى والوحدة الجمركية بين فرنسا والجزائر فكانت السوق الفرنسية هى السوق الوحيدة المحتكرة للإنتاج الزراعى ويتم تصدير المحصولات الزراعية للسوق الفرنسية.

كما أنشأوا المصارف والصناعات للمواد الأولية كالحديد والفوسفات والزنك وغيرها.

ومنذ بداية الاحتلال دخلت المنتجات الصناعية الفرنسية إلى السوق الجزائرية وحدث الإغراق بالأسواق ونتج عن تلك السياسة حركة ركود وكساد للصناعات الوطنية بعد ماكانت مزدهرة، وتقوم بمد البلاد بحاجتها من المنسوجات والملابس والأسلحة وما إلى ذلك.

كما بيعت المصنوعات الفرنسية فى السوق الجزائرية بأسعار رخيصة، وحرمت الجزائر كذلك من إقامة حماية جمركية لصناعاتها. وبسبب السياسة التى اتبعتها فرنسا لقانون المنافسة الحرة فى السوق أن فقدت الصناعات الجزائرية القدرة على الوقوف فى وجه الصناعات الفرنسية حيث تفوقت فى الجوده والسعر.

وهكذا تم القضاء على الصناعات الحرفية فى الجزائر وتخلفت الصناعة الجزائرية تبعاً لذلك.

لقد كان النظام الفرنسى سلسلة متصلة الحلقات خصصت جميعها لخدمة تثبيت أقدام الاستعمار الفرنسى وجعلوا منهم أجراء غرباء عن الأرض التى تملكها المستعمر. وأباح لنفسه حق التملك للأرض بغير حق، فضعفت القوة الشرائية لدى الشعب.

كما عملت فرنسا على منع ظهور أية محاولات لإنشاء صناعة وطنية حديثة يمكن أن تنافس الصناعات الفرنسية.

ولما أنشأ الجزائريون مصنعاً كبيراً للنسيج خلال الحرب العالمية الثانية قامت فرنسا بإغراق السوق الجزائرية من المنسوجات الفرنسية فاضطر أصحابه إلى إغلاقه.

النظام الإدارى للجزائر فى ظل الاحتلال الفرنسى :

وقعت فى عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م مجاعة راح ضحيتها عشرات الآلاف من الجزائريين فقام الإقطاعيون الأجانب بالمناداه بالحكم المدنى وإلغاء الحكم العسكرى الفرنسى الذى يسيطر على البلاد.

وفى عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م تحولت الجزائر إلى ثلاث مقاطعات فرنسية: قسنطينه والجزائر ووهران.

وفى عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ألغى الحكم العسكرى وتعين مكان الحاكم العسكرى حاكم مدنى يتبع وزير الداخلية الفرنسى، ثم عمل الأجانب فى الجزائر على بسط سلطانهم على إدارة الحكم فى البلاد، فاتهموا الإدارة الفرنسية بعدم فهم أحوال البلاد وعلموا على تحويل النفوذ الحكومى إليهم تدريجياً.

وفى عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م أعيد للحاكم العام الكثير من نفوذه وأنشئ

مجلس أعلى للجزائر له سلطة تشريعية يعينه الحاكم العام وتتكون أغلبيته من الأجانب.

وفى عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م صار للجزائر ميزانية مستقلة يسيطر عليها الأجانب. ثم بدأ الاستعمار الفرنسى يعمل للقضاء على الروح الوطنية الجزائرية، فوقف ضد الدين واللغة والتعليم، وعارض التقاليد والعادات محاولاً بكل جهده جعل الجزائر مقاطعة فرنسية. فأول ما أقدم عليه الاستعمار الفرنسى هو إلغاء الأوقاف الإسلامية وجعلها ملكاً للدولة، وبذلك تحولت إدارة الأوقاف من إدارة لخدمة المنشآت الدينية والهيئات الخيرية الشعبية إلى إدارة لخدمة الأهداف الاستعمارية المناهضة للشعب. ولم يكن مبدأ فصل الدين عن الدولة إلا حديث خرافة فى الجزائر.

ولم يكن للجزائريين حق المشاركة فى المحاكم القائمة فى الجزائر وإنما هى من حق الأجانب فقط.

أما الجزائريون فى البلاد القبلية فلهم نظام العرف والتقاليد، ولم يعط القضاء الشرعى الإسلامى حقه كم يجب أو كما كان عليه الحال من قبل.

التعليم في الجزائر فى عهد الاستعمار:

أما التعليم فقد كان فرنسيا حيث جعلوا اللغة الفرنسية هى لغة البلاد لغة الوطن وفرنسا هى الوطن وتاريخ فرنسا هو تاريخ الوطن. وهكذا عمل الاستعمار على دمج الجزائر فى فرنسا. وفى نفس الوقت عمدت فرنسا إلى وجود نظام التفرقة العنصرية فى الجزائر، ففى عام ١٢٨٨هـ ١٨٧١م قررت فرنسا منح يهود الجزائر صفة المواطنة الفرنسية كما عملت على إصدار قوانين أخرى بهدف إبعاد شعب الجزائر من دائرة الضوء فى الحياة الاجتماعية لتصغير شأن الجزائريين.

وفى عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م أصدر الإمبراطور نابليون مرسوماً يسمح للجزائريين بشغل الوظائف العامة فى بلادهم، مع حقهم فى الحصول على حق المواطن الفرنسى بعد تقديم طلبت التجنس مع التنازل عن الأحوال الشخصية للمسلمين.

وفي عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م بدأت الحركة الوطنية الجزائرية دورها حين قام جماعة من الجزائريين هم: أحمد أبو دربه المحامى والسيد صادق دنان والنائب المالى الحاج عمار، وطالبوا بوضع قانون لعام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م الخاص بمساواة الجزائريين بالفرنسيين موضع التنفيذ. كما استعانوا بالعثمانيين لتحقيق فكرة الجامعة الإسلامية التى نادى بها السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى ومصطفى كامل فى مصر من قبل.

وفى عام ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤م قامت الحرب العالمية الأولى وقامت فرنسا بتجنيد الجزائريين لصالح الدفاع عن فرنسا وهنا نجحت المقاومة الجزائرية في الوقوف موقف المعارضة وانسحب المجندون الجزائريون وفروا للاحتماء بالجبال فى الجزائر، بينما انضم آخرون للجيش العثمانى.

وهنا لجأ الاستعمار الفرنسى إلى حيلة لجذب الشباب الجزائرى إلى صفوف الدولة الفرنسية. ولذلك قامت فرنسا بإصدار قانون يعطى للجزائريين حق انتخاب نوابهم فى المجالس البلدية، وذلك فى عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م وفى نفس العام أيضاً سافر وفد جزائرى برئاسة الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الجزائرى لعرض قضية الجزائر عل مؤتمر الصلح فى باريس وفقاً لمبادئ الرئيس الأمريكى ويلسون والتى تعطى للشعوب حق تقرير المصير، فلم ينتبه إليه أحد. ولما رجع عائداً إلى بلاده شكل «كتلة النخبة من الجزائريين المسلمين» التى عملت على إصلاح الأحوال الاجتماعية وحق حصول الجزائريين على كافة الحقوق حتى عضوية مجلس النواب

الفرنسى، وطالبوا بوقف الهجرة إلى الجزائر.

وهنا قامت الإدارة الفرنسية بالجزائر بنفى الأمير خالد فسافر إلى مصر ثم تركها وسافرفرنسا وهناك ألف لجنة أبناء الشمال الأفريقى. شارك فيها مصالى الحاج الجزائرى وعبد القادر بن الحاج على المراكشى. ونادوا بعقد مؤتمر عام لشمال أفريقيا وطالبوا فيه بحرية الصحافة والاجتماع كما أيدوا حركة الزعيم عبد الكريم الخطابى فقامت الحكومة الفرنسية بإلقاء القبض على الأمير خالد الجزائرى وصحبه بتهمة إعادة تشكيل جماعة غير قانونية. إلا أن المحكمة أيدت عدم الحل للجماعة المغربية وأفرج عنهم وسمح لهم بممارسة نشاطهم.

كما أصدرت فرنسا قانوناً فى عام ١٣٣٨هـ / ١٩١٩م، أباحت فيه للجزائريين الحصول على الجنسية الفرنسية فم وافقت على أن يكون للمسلمين ربع المقاعد فى المقاطعات وثلث المقاعد فى المجالس البلدية. مع عدم الاشتراك فى انتخابات العمدة أو نائبه.

وفى عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م ظهرت فى الجزائر ثلاث اتجاهات:

١ - الاتجاه الكفاحى، ويعتمد على الطبقة العاملة والفلاحين.

٢ - الاتجاه الإصلاحى، ويستند إلى النواب المسلمين ممثلى الملاك والبرجوازية.

٣ - الاتجاه المعتدل، الذى نادت به جمعية العلماء.

وظل الكفاح الشعبى لتحرير الجزائر مستمراً فى الاتجاهات الثلاثة ولم يسفر ذلك عن شئ.

أما الاتجاه الكفاحى، فقد ربط بين العمال الجزائريين المهاجرين فى

فرنسا وبين الحركة العاملة الفرنسية. وفي ظل تلك الجماعات ذوى الأفكار الثورية نشأت جمعية «نجم شمال أفريقيا» التى أنشأها الحاج عبد القادر للدفاع عن المصالح الأدبية والاجتماعية لمسلمى أفريقيا. ثم تولى زعامة الجمعية «مصالى الحاج» وانفصل بها عن الحزب الشيوعى الفرنسى.

وفى عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م تقرر إنشاء حزب جزائرى مستقل وتولى رئاسته جان شانترون المسمى ببارتل، وقد اكتسب هذا الحزب صفة محلية، ثم أسندت مناصب القيادة فى الحزب إلى الجزائريين.

أما جمعية نجم شمال أفريقيا فقد طالبت باستقلال الجزائر. وتقدم الحزب الشيوعى الفرنسى بنفس الآراء وصار للجمعية والحزب برنامج واحد. وأعلنت الجمعية والحزب في عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م عن برنامج المؤتمر وهو:

١ ـ الاستقلال التام للجزائر.

٢ ـ انسحاب قوات الاحتلال.

٣ ـ إنشاء جيش وطنى.

وفى عام ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م كان عباس فرحات والدكتوب ابن جلول قد كونا «وحدة النواب الجزائريين» للمطالبة بتطبيق قانون عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م للمساواة بين الجزائريين والفرنسيين وحق الانتخاب للجزائريين، وعضد هذه الحركة بعض الفرنسيين الأحرار.

وفى عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م دعت الحركة الجزائرية إلى عقد مؤتمر جزائرى برئاسة الدكتور ابن جلول للمطالبة بانتخاب الجزائريين لعضوية البرلمان وإلقاء قانون دينية الجائر والاعتراف باللغة العربية تطورت

وتعارضت مصالح العمال الجزائريين والعمال من المستوطنين الأجانب الذين حذروا الحكومة الفرنسية من سياسة تطبيق مبدأ المساواة التامة التى تنادى بها الحكومة بين الجزائرين والفرنسيين.

وفى ظل هذه الظروف قام عباس فرحات ومصالى الحاج بتشكيل «حزب الشعب الجزائرى» فعارضته فرنسا باعتبار أنه محاولة لإحياء جميعة نجم شمال أفريقيا الملغاة، ثم تبين للقادة الجزائريين أن فرنسا غيرجادة فى تطبيق مبادئ العدل والمساواة التى نادت بها بالنسبة للجزائريين فرأوا القيام بحركة الكفاح الوطنى بالالتحام التام مع الشعب بعيداً عن حكومة الاحتلال.

ولما قامت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م أسرعت الحكومة الفرنسية باعتقال الزعماء الجزائريين وتوقفت حركة التحرير الجزائرية عن نشاطها. ثم عمل الفرنسيون على تجنيد الجزائريين لصالح المجهود الحربى الفرنسى ووافق الزعماء الجزائريون وطلب عباس فرحات ومصالى الحاج وكونوا « أصدقاء البيان والحرية» للمناداة بالجمهورية الجزائرية المتحدة مع فرنسا.

وبعد انتهاء الحرب فى عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م قام الجزائريون برفع العلم الجزائرى تعبيراً عن فكرتهم للقيام بدولة الجزائر المستقلة، فاشتبك معهم الفرنسيون فى صراع دموى وأعلنوا الأحكام العرفية وقبضوا على عباس فرحات وغيره من الزعماء الجزائريين وأعلنوا حل الأحزاب الجزائرية وقدموا للمحاكمة وأعدم بعضهم وحكم على البعض الآخر بالأشغال الشاقة.

ثم عادت الحكومة الفرنسية وأصدرت عفواً عاماً وأفرجوا عن الزعماء الجزائريين.

خرج الزعماء الجزائريين واتفقوا على تأسيس حزب جديد هو «الاتحاد الديمقراطى لوثيقة المطالب الجزائرية» برئاسة عباس فرحات. وحزباً آخر هو «الحركة المناصرة للحريات الديمقراطية».

وفى عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م بدأ الجزائريون توحيد صفوفهم للكفاح المسلح وأعلنوا الثورة المسلحة لانتزاع استقلالهم بقوة السلاح من أيدى المستعمرين وتكونت جبهة التحرير الوطنى إلى أن ضم إليجيشها جميع أفراد الشعب.

كما حدث فى عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م أن أعلن زعماء الجزائر برئاسة عباس فرحات فى أثناء وجودهم فى القاهرة، انضمامهم تحت لواء جبهة التحرير الوطنية الجزائرية وقال عباس فرحات : «إن رجال جبهة التحرير الوطنية الجزائرية هم أصحاب الحق فى المفاوضة إذ هم الذين يقاتلون دفاعاً عن الحرية وعن شعب الجزائر وأن جميع القوات المكافحة فى شمالى أفريقيا متحدة تحت لواء واحد ولن يكون هناك سلام أو مهادنه ولكن إصرار على الكفاح الذى فرض الاستعمار على الجزائر حتى تتحطم جميع القوات الاستعمارية الفرنسية أو تجلو عن البلاد. ونحن على استعداد لمفاوضة فرنسا باسم الجبهة، ونعلن الآن أن لنا شرطاً واحداً للمفاوضة وهو أنه يجب على فرنسا أن تعترف بالوطن الجزائرى.

ثم بدأت هجمات الجزائريين المضادة تشتد على جنود الاحتلال التى ارتفع عددها إلى نصف مليون جندى فى محاولة للقضاء على مقاومة الثوار الجزائريين.

ومع إصرار الثوار على مواصلة الجهاد ضد فرنسا بدأت تزداد قوة المقاومة الجزائرية، حتى أعلن أصحاب المصالح الفرنسية فى الجزائر

عجزهم عن مواصلة العمل فى ظل المشاعر الوطنية الملتهبة ضدهم.

وفى عـام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م أعلن الرئيس الفـرنسى شـارل ديجـول استعداده لفتح مفاوضة مع الجزائريين للوصول إلى تفاهم على الائتلاف مع فرنسا وعلى فتح استفتاء للشعب الجزائرى. وقبلت حكومة الثوار المفاوضة مع الفرنسيين.

وفـتـحت مـحـادثات أولى فـى ميلون فى عـام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م إلا أن الجزائريين رفضوا شـروط المفاوضـة وطلبوا إجـراء اسـتـفـتـاء فى الجـزائر بإشراف هيئة الأمم.

وهنا أعلن ديجـول أن الجـزائر للجـزائريين وطلب المفـاوضـة ثـم رفض الجزائريون البدء فى التفاوض دون إعداد جدول أعمال مسبق.

وفى نفس عـام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م توجـه عـبـاس فـرحـات إلى مـوسكو لمقابلة الرئيس خروشوف، بقصد تشكيل جبهة لتأييد القضية الجزائرية في عمل استـفـتـاء. وفـعـلاًتم فى نهاية عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م تم الاتفاق على فتح استفتاء فى الجزائر إلا أن فرنسار رفضته.

وفى بداية عـام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م ناقش مـؤتمر وزراء خـارجـيـة الدول العربية فى بغداد مكونا من مصر والعراق وتونس والمغرب وليبيا والأردن والسودان وحكومة الجزائر المؤقته وأصدر قرار تضمن مد حكومة الثوار الجزائرية بالمال والسلاح والمتطوعين وتقديم كافة التسهيلات لصالح الثوار الجزائريين.

وفى نهـاية عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م طلبت الجـمـعـية العـامة لهيـئـة الأمم المتحدة إلى حكومة فرنسا والجزائر العودة لاستئناف المحادثات لتحديد حق

الشعب الجزائرى فى الوحدة وعدم تجزئته.

وفى عام ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م توقف القتال بين قوات الاستعمار الفرنسى وقوات جبهة التحرير الجزائرية رسمياً بعد عقد اتفاقية سرية فى إيفيان السويسرية وأطلق سراح بن بيلا ورفاقه الأربعة الذين اعتقلتهم فرنسا بحق الجزائر فى الاستقلال وتقرير المصير. والاعتراف للشعب الجزائرى بحقوق السيادة على أراضيه، مع تكوين فرقة بوليسية من ستين ألف عسكرى مسلم لصالح الأمن فى زمن وقف إطلاق النار والاستفتاء مع تشكيل هيئج مكونة من اثنى عشرشخصاً لتولى سلطة الحكم فى الجزائر خلال تلك الفترة.

وقد اعترفت الحكومة الفرنسية صراحة بأن الصحارى جزء من الجزائر وبذلك تخلت عن فكرة ضم الصحارى الجزائرية نهائياً إلى الممتلكات والأرضى الفرنسية. وبذلك احتفظت الجزائرمع حق الاستقلال بوحدج أراضى الوطن. وكان هذا تحقيقاً للمطلبين الأساسيين اللذين أيدتهما الأمم المتحدة فى دورتيها السابقتين لاتفاق ايفيان وهم الاستقلال ووحدة التراب الجزائرى.

وقد تضمن نص الاتفاق الذى تم توقيعه بين الحكومة الجزائرية المؤقته والحكومة الفرنسية كما اذاع رئيس الوفد الجزائرى فى المفاوضات أن وقف إطلاق النار يضع حد للعمليات العسكرية فى القتال المسلح فى شتى أنحاء الجزائر ابتداء من اليوم وأن الضمانات الخاصة بتقرير المصير وتنظيم السلطة العامة فى الجزائر أثناء فترة الانتقال، وقد حددت فى اتفاق مشترك. وأن قيام دولة مستقلة، أمر يتفق مع الحقائق الثابتة عن القطر الجزائرى.

وفى ربيع أول ١٣٨٢هـ/ ٢٧أبريل من عام ١٩٦٢ صدر قرار تشكيل

الحكومة المؤقته للجزائر وأعضائها. وتعد اتفاقية ايفان نصراً سياسياً عظيماً للشعب الجزائرى كما أنها تضع حداً للنظام الاستعمارى وللسيطرة الأجنبية.

وهكذا عادت إلى الجزائر السيادة والاستقلال، إلا أن المعركة لم تنته بانتهاء الحرب، بل لابد من دعم وتقوية الانتصارات التى تحققت بفضل النضال المسلح والعمل الجاد المستمر لبناء الدولة والمجتمع.

لقد تحررت الجزائر من الاستعمار ومن العهد الإقطاعى ولابد من التغيير الجذرى للمجتمع. لقد كان الاستعمار الفرنسى غزواً سكانياً استغلالياً استمر مدة قرن كامل.

الجزائر بعد الاستقلال :

لقد واجهت الحكومة الجزائرية المستقلة مهام مطلوب منها القيام بها. وهى خلق دولة ذات سيادة ولها اقتصادها ولها ثقافتها القومية، وفى سبيل تنفيذ ذلك لابد من القضاء على التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية التى ولدها الاقطاع وعلى مخالفاته وبناء هيكل وتنظيم جديد يساعد ويضمن تحرير الأرض وممارسته لجميع حرياته.

وفى ظل نظام ديمقراطى سليم يستند إلى إدارة الشعب ورقابته المستمرة مع تضافر كافة طبقات الشعب بكل فئاته، كما أن الاهتمام باللغة العربية التى هى التعبير الصادق عن قيمنا الثقافية ودعم فعاليتها مع إحياء التراث الإسلامى للبلاد الجزائرية مع مسايرة حركة التاريخ دون قطع الصلة بالماضى، فطاقة الشعب الجزائرى طاقة عظيمة وجباره.

أن أول ما تتطلبه التنمية الاقتصادية فى البلاد، الابتعاد عن فكرة الاحتكار، وذلك بتأسيس علاقات تجارية مع الخارج مع الاتجاه إلى التصنيع وبتوجيه اقتصاديات البلاد بأسلوب التخطيط الحديث مع مساهمة القوى العاملة فى إدارة الاقتصاد وفقا للإمكانيات القائمة.

إن اتفاق ايفيان بسويسرا فى شوال ١٣٨١هـ / ١٩مارس ١٩٦٢م يعد أول وثيقة رسمية تعترف بها فرنسا بحق الشعب الجزائرى وفى تقرير مصيره وفى صفر عام ١٣٨٢هـ / يوليو ١٩٦٢م أجرى استفتاء على تقرير المصير وأعلن شعب الجزائر تمسكه بالاستقلال التام وبدء عملية بناء الدولة الجزائرية العربية التى انضمت لجامعة الدول العربية وللأمم المتحدة وأصبحت تتمتع بمكانة هامة فى المجتمع الدولى.

سكان المغرب الأوسط (الجزائر):

يتألف شعب المغرب الأوسط (الجزائر من عنصرين هما العرب والبربر. والبربر شعب عاش فى شمال أفريقيا كلها منذ القدم ثم انحسر بعد ذلك عن الشرق وتركز فى الغرب من برقة إلى المغرب، وهذا الشعب كثير التفرع والانتقال والتداخل بحيث لم يعد من الممكن ربط أشتاته سواء فى الجنس أو الأصل أو اللغة أو التقاليد والعادات. هو يكثر عادة فى الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها.

أما العنصر العربى فقد انتقل إلى هذه البلاد فى صدر الإسلام وإن كان هذا الانتقال محدوداً لا يتجاوز الجند ولم تحدث هجرة بالمعنى الصحيح إلا بعد أن انتقل الفاطميون من المغرب إلى مصر وانقطعت دعوتهم من هذه البلاد فشجعوا أربعة من أعظم القبائل إلى الانتقال إلى أراضى المغرب،

ويتألف العنصر العربى أيضاً من العرب الذين هاجروا من الأندلس إلى هذه البلاد بعد أن أجلاهم الأسبان عنها.

وليس هناك فاصلاً واضع المعالم بين هذين العنصرين فالامتزاج بينهما مستمر وهو يتم بسهولة ويسر وقد امتزجا امتزاجاً كاملاً بحيث لا يمكن التفريق بينهما فالجميع يتحدثون باللغة العربية ويدينون بدين واحد وهو الإسلام، وإن كانت بعض القبائل البربرية التى تسكن الجبال تحتفظ بلهجتها البربرية بعض الشئ إلى جانب اللغة العربية.

وإن كانت الهجرة الهلالية قد ساعدت على اكتمال حركة التعريب، فإن الهجرة الأندلسية إلى الجزائر قد أدخلت إليها الزراعة المتطورة والصناعات الحديثة مثل صناعة النسيج والأقمشة المختلفة وصناعة السجاجيد والصناعات اليدوية وهى قديمة فى نشأتها ثم زادت إزدهارا كالحدادة والنجارة والدباغة.

كما أفادت تلك الجماعات المهاجرة من العلماء والأدباء فى الحياة العلمية والأدبية الجزائر، وكان من بينهم كثير من اليهود الفارين من الاضطهاد الأسبانى.

على أن العهد العثمانى حين دخل الجزائر، جاءت معه أجناس شتى من أنحاء الدولة العثمانية ومن الأسرى الذين جمعتهم أعمال القرصنة البحرية بالآلاف من أنحاء البحر المتوسط وكثيرون منهم دخلوا فى الإسلام وسرعان ما اندمجوا فى شعب الجزائر وقد عادت إليهم حريتهم وحينئذ صاروا من أهل البلاد ديناً ولغة.

هذا بالإضافة إلى العناصر القديمة التى عاشت فى الجزائر من أفريقيه وآسيوية وأوروبية واندمجت مع أهلها من البربر وهؤلاء مثل الفينيقيين

والومان والوندال والبيزنطيين ثم العرب والعثمانيين وجميعهم تصهرهم الصفة الجزائرية حتى يستحيل تمييزهم فى أغلب الأحيان فلم يعودوا يذكرون شيئاً عن أصلهم الحقيقى أو لغتهم أو عادتهم.

المعيشة:

المغرب الأوسط (الجزائر) بلاد زراعية بطبيعتها ويرجع ذلك إلى صلاحية طقسها ووفرة أمطارها ، وكان أساس المعيشة فى الجزائر الزراعة والرعى، وقد احتلت حرفة الزراعة والرعى مكانة هامة فى الاقتصاد الجزائرى حيث يوجد أغلب أنواع الحيوانات فى الجزائر من غنم وماعز وبقر وإبل وغيرذلك. وتصدر الجزائر كميات هائلة من الأغنام.

المدن الساحلية:

ويمتاز السهل الساحلى للجزائر حيث توجد مدينة عنابه بالقرب من مصب نهر سيبويه التى يكثر بها العناب حتى سميت باسمه، ويصدر بعد تجفيفه.

كما تنتج القمح والشعير والكتان والفواكه والعسل وجميع أراضيها صالحة لزراعة الحبوب وخاصة القمح. وتملك القبائل بهذه المدينة الكثير من الأبقار، والثيران والأغنام.

وتقع جيجل غرب عنابة ويزرع بها الشعير والكتان والقنب وبها شجر الجوز والبتين، وتليها غرباً بجاية وبها كثير من القمح والشعير والتين وكثير من أنواع الفواكه الأخرى.

وتلى بجاية غرباً الجزائر ويسكنها بنو مزغنه وأقاموا بها المبانى والعمائر

والدولة الزيرية فى العهد الفاطمى . ويزرع بها أجود أنواع القمح وتكثر بها الأشجار والبساتين.

وغرب الجزائر توجد شرشال ويزرع بها الكرم والتين والسفرجل. وهى من المدن التى عمرها المهاجرونن الأندلسيون فى نهاية القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى. ويلى شرشال مدينة تنيس ويزرع بها القمح والسفرجل وتنتج العسل ، وقد عمرها أيضاً الأندلسيون مثل المدن الأخرى التى نزلوا بها عقب خروجهم من الأندلس.

وأخيراً مدينة وهران، وكانت مدينة صغيرة قلما دخلها الأندلسيون المهاجرون، انتشر العمران وكثرت بها البساتين والحدائق وأنواع كثيرة من البقر والغنم.

أما المدن التى بالداخل فتوجد جنوب عنابة مدينة قالمة وهى غنية بالأبقار المميزة عن غيرها من الأنواع الأخرى، ويلى ذلك مدن نقاوس وقسنطينه وميله والمسيلة وطنجه عاصمة إقليم الزاب الأعلى وبغاية وبسكرة وتقع فى أشهر الواحات الجزائرية وكانت تسمى قديماً فسكرة وعلى مقربة منها استشهد عقبة بن نافع، ويكثر بها النخيل والزيتون وتعد التمور التى تنتجها بسكرة من أجود أنواع التمور فى العالم.

وفى الشمال الغربى من الجزائر توجد تاهرت وكانت عاصمة الدولة الرستمية الأباضية، وجميع تلك المدن عامرة بأنواع المزروعات المثمرة من الحبوب والفاكهة والأنعام والخيل.

كما عرفت المدن الجزائرية بالصناعات اليدوية كالحدادة والنجارة والحياكة. أما المدن الساحلية مثل بجاية فكان بها دار لبناء الأساطيل والسفن، وقد ساعد على هذه الصناعة وجود الغابات التى امتلأت بها

الأودية والجبال فى جنوب البلاد.

كما كان يوجد بها الحديد وغيرها من المواد اللازمة لصناعة السفن، كذلك اشتغل سكان المدن الساحلية الجزائرية بصيد السمك والحيتان. وهذا الإنتاج الزراعى الصناعى البحرى هو الذى مهد لبلاد المغرب الأوسط (الجزائر) للتصدير لمنتجاتها إلى أنحاء العالم المختلفة مثل أوربا شمالاً ومصر والشام وتركيا شرقاً وإلى الجنوب الأفريقى فى السودان الغربى وغانه والسنغال.

الفنون :

عرف الجزائريون الموسيقى فى أشكالها البسيطة وعرفوها أكثر بعد الهجرة الأندلسية إلى الجزائر فقد اشتغل الأندلسيون بالموسيقى وبرعوا فيها حتى أنهم عرفوا «النوته» وهى الأنغام الموسيقية المسجلة قبل أن يكتشفها الأوربيون(١).

كما عرف الجزائريون الموسيقى التركية فى العهد العثمانى وهكذا تشكلت الموسيقى الجزائرية خاصة بعدما استخدم الجزائريون العديد من الآلات الموسيقية مثل الناى والعود والمزمار.

الدين :

دخل المسلمون المغرب الأوسط (الجزائر) وهدفهم الأساسى من الفتح فى بلاد المغرب هو نشر الإسلام وإيضاح الطريق أمام سكان البلاد الأصليين الذين وقعوا تحت سيطرة البيزنطيين ليتعرفوا على الإسلام ومبادئه. كما كان يوجد من هو على دين المجوسية وعرفوا كذلك اليهودية مثل قبيلة جراوة أهل جبال أوراس.

لقد بعث الخلفاء الأمويين بالعلماء الذين كان لهم دور بارز فى تعليم البربر قواعد الإسلام.

كما حرص القادة والولاة على بناء المساجد والزوايا وتجديدها لأداء المسلمين شعائرهم ولتلقى العلم ومعرفة أمور الدين.

ولم يكد ينتهى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى إلا وقد أسلم البربر وصار المغرب إسلامياً وشارك غيره من أقطار العالم الإسلامى فيما ظهر فيه من أفكار ومذاهب فظهرت الفرق الإسلامية من خوارج ومعتزلة وشيعة وغيرهم وجدت فى أرض المغرب مكاناً صالحاً لأعلانها بين السكان فبجانب المذهب المالكى، وكان هو الملجأ الذى احتفى به سكان المغرب ضد التيارات المذهبية والانحرافات الدينية إلا أن المذهب المالكى ظل هو المذهب الذى لا تحيد عنه جميع البلاد العربية.

لقد وجد دعاة المذاهب الخارجية فى أرض المغرب فرصة لنشر مبادئهم بعيداً عن أعين ا لرقباء، إذ أنهم تمادوا فى خططهم حتى اتخذوا من الثورات والكفاح المسلح طريقاً لتحقيق أهدافهم فظهر دورهم المؤثر فى البلاد. ذلك مثل الأباضية والصفرية الذين تحالفوا بقصد توجيه ضربات موجعة للعباسيين. ومن هؤلاء الخوارج.

الأباضية:

هم أتباع أقدم فرقة فى الإسلام وقد نشطوا أواخر عهد علي بن أبى طالب وتولية معاوية الخلافة وأحدثوا اضطرابات كثيرة فى الدولتين الأموية والعباسية، وقدر لبعضهم النجاح فى فترة من الزمن.

نادت الأباضية مثل بقية الخوارج بأن الخلافة - أو إمامة المسلمين -

لايصح أن تقتصر على قريش، بل يتولاها أفضل المسلمين تقوى وعدالة ولو كان عبداً حبشياً، ونازعوا الخلفاء وتأسست لهم دولة فى المغرب الأوسط فى تاهرت فى شمال غرب الجزائر، فقامت على المذهب الأباضى واستطاع مؤسسها عبد الرحمن بن رستم موادعه صاحب القيروان روح بن قبيص فى عام ١٧١هـ / ٧٨٧م واستمال البربر وتمكن ابن رستم من استمالتهم إلى الإسلام وفرض عليهم الضرائب ثم بسط سلطانه على بقية القبائل واستكمل بناء عاصمته وأرسى قواعد نظم الدولة وتوطد سلطانه حتى استقرت وقويت.

وكان سياسياً قديراً جمع القلوب حوله فى يسر وسهولة.

من نظم الأباضية مجلس العزابة ويؤسس فى كل مدينة أو منطقة غالبيتها أباضية، وجعل لكل جماع رئيس ينتخبونه بمن عرف بحسن الخلق والتمسك بالتعاليم الأباضية، فجعل منهم القضاة للحكم فى المنازعات، ومنهم شيوخ لتعليم المذهب الأباضى، وجعلوا مجالسهم سرية، ولغتهم مبهمة للاحتفاظ بالسرية للمذهب، وكان منهم مشرفون على المساجد والمساجد الجامعة للمتابعة فى تطبيق المذهب الأباضى.

ويعملون على نشر الوفاق بين الناس فى المجتمع عن طريق النصح والإرشاد، والعمل لمساعدة الأغنياء للفقراء وكان منهم من يراقب الأسواق ويدعو إلى الاستقامة فى التعامل فى الأسواق.

كما كان للأباضية مدارس خاصة بهم وللمدرسه شيخها المسئول عن تدبير أمورها. كما ساعدت الأباضية على نشر اللغة العربية بين السكان. وعملوا على تعليم القرآن وعلوم التفسير والحديث، كما قام أصحاب المهن والحرف من الأباضيين وخاصة التجار بدور هام فى نشر الإسلام فى البلاد الأفريقية فى جنوب الصحراء.

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى قضت الدعوة الشيعية على الأباضية فى تاهرت.

الزهد والتصوف:

عرفت الجزائر التصوف كما عرفته سائر البلاد الإسلامية وهو مذهب أخلاقى اجتماعى نفسى له منشؤه وتاريخه وأسلوبه وطريقته، وفائدته تهذيب النفوس، وطهارة الصدور وحسن الخلق وهو لا يخالف شريعة الإسلام ولا يناقض ماتم عليه إجماع الأمه من أصول، وهو لا يبتدع فى الإسلام مبادئ ليست منه، ولإيضاح شروط ا لدخول فى التصوف يكشف عن هذا الحوار الذى وقع بين أبى العتاهية وابنه.

دخل أبو العتاهية على ابنه وقد تصوف فقال له: ألم أكن نهيتك عن هذا؟ فقال: وما عليك أن أتعود الخير وأنشأ عليه؟ فقال له: يابنى يحتاج المتصوف إلى رقة حال وحلاوة شمائل، ولطافة معنى. وأنت ثقيل الظل، مظلم الهواء، راكد النسيم، جامد العينين، فأقبل على سوقك فإنها أعود عليك.

والذين أشاعوا الزهد والتصوف فى الجزائر هم الوعاظ فى أيام الجمع بالمساجد وكانوا يدعون إلى الزهد فى الحياة وطلب القناعة والكفاف. وانتشرت أماكن العبادة فبنوا الرباط والزوايا فى الثغور لحماية البلاد من القراصنة.

كما انتشرت فى داخل البلاد وفى الواحات وعرف المغرب الأوسط (الجزائر) الطريقة القادرية التى نادى بها الشيخ عبد القادر الجيلانى وهى طريقة سنية.

كما عرف فى الجزائر الصوفى أبو مدين شعيب، وهو من العلماء الذين

قدموا فى الهجرة الأندلسية إلى الجزائر منذ القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، وعاش ببجاية وانتشرت بها طريقته الصوفية وتوفى بتلمسان.

وفى العهد العثمانى كثر اتباع التصوف لاهتمام الحكام العثمانيين بهم والتعاطف معهم وزيارتهم.

كما عرفت الجزائر الطرق الصوفية التى عرفها العثمانيون فى بلادهم مثل البكداشة والنقشبندية والمولوية اتباع جلال الدين الرومى، ثم انتشر التصوف فى أنحاء الهضاب والصحارى الجزائرية.

المغرب الأقصى : دولة بنى مرين (٦٨٨-٨٧٦هـ/ ١٢٧٠ - ١٢٧٤م)

كان بنو مرين من القبائل الزناتية ا لتى لم تشأ الخضوع لنفوذ الموحدين على عكس أبناء عمومتهم بنى عبد الواد. ولهذا أثروا الهجرة إلى الصحراء جنوباً على الدخول فى طاعة الموحدين. وكانت حياة الصحراء توافقهم لأنهم من البدو الرحل. وكانوا يرحلون فى فصل الربيع إلى شمال المغرب الأقصى لرعى إبلهم ومواشيهم فيقضون شهوراً من السنة نازلين بين فجيج وملوية. حتى إذا اقترب فصل الشتاء رجعوا إلى بلادهم (من زاب أفريقيا إلى سجلماسه).

وفى عهد الخليفه الموحدى المستنصر دخل عبد الحق أمير بنى مرين بجموعه فى وادى تازا وشرقى وادى سبور واشتبك معه الموحدون وفى عام ٦١٣هـ / ١٢١٦م فهزمهم عبد الحق وتوفى عبد الحق فخلفه ابنه عثمان الذى تمكن من إخضاع بنى رياح الهلالية وتوفى فخلفه أخوه محمد وحاربه الموحودون فى مكناسه فهزمهم وتوفى عام ٦٤٣هـ / ١٢٤٩م وخلفه أبو يحى بن عبد الحق وهو الذى استطاع تأسيس دولة بنى مرين فى المغرب الأقصى. فهو الذى حارب الموحدين وغزا مكناسه ثم اتجه إلى فاس ودخلها سلما، وحارب بنى عبد الواد وهزمهم فى عهد يغمراسن زعيمهم وانتصر عليهم المرينيون. ثم أسرع أبو يحي إلى فاس لنقضهم عهدهم مع بنى مرين، ولكنهم طلبوا الصفح عنهم فقبل ذلك منهم ثم اتجه أبو يحى إلى سلا والتقى مع الموحدين فيها وحقق النصر عليهم.

ثم واجه جيوش بنى عبد الواد وهو متجه إلى درعه فهزمهم وأخضع درعة لسلطان المرينيين.

وفى عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م توفى أبو يحى بن عبد الحق ثم تولى قيادة

المرينيين يعقوب بن عبد الحق الذى فى عهده بسطت الدولة المرينية سلطانها على المغرب الأقصى فى عام ٦٨٨هـ / ١٢٦٩م وهو الذى دفعه إيمانه تلبية نداء الأندلس إلى الجهاد ضد أعداء الإسلام بالأندلس إلى تجهيز جيش من ثلاثة آلاف مقاتل فضلاً عن كتائب المجاهدين من.بنى مرين والمتطوعين من أهل المغرب وتمكن المسلمون فى غرناطة بقيادة ابن الأحمر بفضل نجدة بنى مرين لهم من مواجهة النصارى وصدهم عن أراضيها.

وازدادت الدولة المرينية قوة بعد ماصار لها أسطولاً كبيراً فى دار الصناعة بمدينة سلا فى عهد السلطان أبى الحسن على.

استرد السلطان أبو الحسن على (٧٣١ - ٧٤٩هـ / ١٣٢١ - ١٣٤٨م) استرد جبل طارق من الأسبان بعد استيلائهم عليه فى عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م ثم أعاد فتح الجزائر وتونس عام ٧٣٦هـ / ١٣٣٦م وقد أسس المرينيون مدينة فاس الجديدة وتطوان.

وأنشأوا المدارس والمعاهد العلمية فى جميع أنحاء المغرب وعادت بذلك البلاد التى ضاعت من المغرب إبان حكم الموحدين وحظيت المغرب بروح علمية وأدبية فى العهد المرينى.

لقد ظهر فى عهد أبى الحسن أزهى عهود بنى مرين ذلك السلطان القدير الذى تمكن من بسط سلطانه على جميع المغرب الأقصى، مع نمو وازدهار العمران، حتى فاق حكام عصره وحظى بمكانة مرموقة.

وعرف عن أبى الحسن حبه لسماع القرآن وكان يحفظ أجزاء كثيرة منه. وقرب العلماء وبالغ فى إكرامهم واهتم بأحوال الرعية واستمع إلى شكاواهم وعمل على اصلاح الأحوال وعلى الاجتماع بزعماء القبائل من عرب وبربر ومعاونتهم فى حل مشاكلهم.

ثم اشتعلت الحروب بين بنى مرين وبنى عبد الواد، وتفقد الدولة المرينيه المغرب الأوسط وتعود إلى حدودها الأولى. وبذلك تمكن الأسبان من اكتساح الأندلس باستثناء غرناطة قلعة الصمود. كما احتل البرتغاليون معظم موانى المغرب تباعاً.

وتبلغ الدولة المرينية غاية الضعف فيتولى الأمر الوطاسيون بنو واطس (٨٧٥ - ٩٥٧هـ ١٤٧٠/ - ١٥٥٠م) وهم فرع من بنى مرين بدأ ظهور بنى واطس حين قام أبو زكريا يحى الواطسى حاكم إقليم سالى بالولاية على الطفل المرينى عب الخالق أبى سعيد عثمان المزينى. ففى عام ٨٤٠هـ / ١٤٣٧م ظهر الخطر البرتغالى عندما هاجم البرتغاليون طنجة منهزمين.

ثم قام الخلاف بين بنى واطس والقبائل فى المناطق الصحراوية ثم تمكن الوطاسيون بقيادة محمد الشيخ من بسط سلطانهم على مراكش الشرقية وجعلوا مدينة فاس عاصمتهم.

وفى ظل تلك الظروف المضطربة تمكن البرتغاليون من النزول إلى طنجه واحتلالها دون مقاومة فى عام ٨٧٦ هـ / ١٤٧١م ولم يستطع الوطاسيون فى عهد محمد البرتغالى وأبوالعباس أحمد من مقاومة البرتغاليين الذين استولوا على الساحل المراكشى حتى مضيق جبل طارق. ثم عاد الصراع بين الوطاسيين وبين قبائل بنى سعد فى الجنوب وقد تمكن السعديون بزعامة الشريف محمد المهدى من الاستيلاء على فاس وإسقاط أسرة بنى واطس فى عام ٩٤٨هـ / ١٥٤١م.

السعديون (٩٦١ - ١٠٦٦هـ / ١٥٥٣ - ١٦٥٥م)

بعد أن استولوا على كل إقليم مراكش، شرعوا فى مقاومة الأتراك الذين كانوا ينزلون فى بلاد أفريقيا والمغرب واستولوا على تلمسان فى غرب

الجزئر. ولكى يتمكن الشريف محمد المهدى من تمويل جيشه لجأ إلى سكان الجبال يجمع منهم الخراج، كما فعل مع سكان السهول. فانتهزت المعارضة الفرصة وهم من بقايا المرابطين ومن أنصار بنى واطس والأتراك وثاروا فى وجه السعديين.

وهنا اضطر السعديون إلى مواجهة تلك الثورة باستخدام أشد قوة لهم فقاموا بطرد المرابطين من الزوايا التى يقيمون فيها وقتلوا كل من عارضهم. ثم انتقل السعديون من فاس إلى مراكش وجعلوها عاصمة للدولة السعدية.

اتجه السعديون فى سياستهم إلى محاربة من يعاديهم حتي ولو كانوا من المرابطين أو الأتراك وعملوا على التحالف مع الأسبان لكى يتمكنوا من مواجهة التحالف الداخلى الذى تزعمه الأتراك العثمانيون فحاصر محمد المهدى فاس واستولى عليها فى عام ٩٥٢هـ / ١٥٣٩م وطرد منها بوحسون والوطاسى الذى مكنه العثمانيون منها، وبذلك صار المغرب الأقصى تحت سلطان السعديين.

وتولى بعد محمد المهدى ابنه عب الله الغالب ٩٦٥ - ٩٨١هـ / ١٥٥٧ - ١٥٧٣م وتابع عبد الله سياسة أبيه فى القضاء على الخطر العثمانى، فعمل على ا لتحالف مع الفرنسيين فى مراجهة أعدائه فى الداخل، وأنشأ مدرسة ومسجداً بالإضافة إلى كثير من الإنشاءات التى أقامها فى عاصمة ملكه.

وفى عام ٩٨١هـ / ١٥٤٧م مات الغالب وخلفه 'بنه محمد المتوكل (٩٨١ - ٩٨٣ هـ / ١٥٧٣ - ١٥٧٥م) عندما تولى محمد المتوكل الحكم، وظهر منافسان له هما عماه عبد الملك وأحمد وقد عاشا فى ظل الحكم العثمانى فى الجزائر وعملا على مناهضة ابن أخيهما محمد المتوكل ومنافسته فى الحكم، ونجح عبد الملك بن المهدى فى إبعاد السلطان محمد المتوكل عن

الحكم بمساعدة العثمانيين، كما عقد حلفاً مع الأسبان وانسحب محمد المتوكل متجهاً إلى البرتغال.

عمل عبد الملك السلطان الجديد للمغرب على تجديد بلاده بمعونة العثمانيين ا لبذين أعجب بهم عبد الملك وقد بايع شعب المغرب عبد الملك الذى تلقب بالمعتصم (٩٨٤ - ٩٨٦هـ/ ١٥٧٥ - ١٥٧٧م).

لجأ المتوكل إلى البرتغاليين لنصرته على عمه عب الملك واسترداد ملكه والتقى الجيش البرتغالى مع الجيش المغربى فى عام٩٨٦هـ / ١٥٧٨م وكان الجيش المغربى مكوناً من فرق منتخبة أرسلها إليه حكام الولايات المختلفة بدافع الحماس الدينى فكانت النتيجة انتصار المغاربة على البرتغاليين انتصاراً ساحقاً وقتل المتوكل فى المعركة كما مات السلطان عب الملك خلال المعركة بسبب مرض ألم به. وتولي السلطان أحمد بن الغالب حكم البلاد ولقب بالمنصور.

السلطان أحمد بن الغالب (المنصور) (٩٨٦-١٠١٢هـ/ ١٥٨٧-١٦٠٣م).

اهتم ا لمنصور بالتجارة واحتكر الصناعة وجمع الضرائب وقضى على التهريب وعرف بالحزم والنزاهة فى إدارة البلاد، فقضى على الثورات التى قامت بها جماعات المعارضة المتصفة بالشدة مع شعبه ولقنها لحكام القبائل فنظم حومة مراكش التى عرفت بالمخزن عن طريق الجيش ورجال الحكم وهى التى تفرض الضرائب وتقسم الأراضى.

فالإدارة الحكومية تتكون من إدارة مراكش (المخزن) وهى المشرفة على الأراضى التى تسكنها القبائلل وتحصل منها الضرائب ثم مراكش المستقلة (السّبا) وهى التى يعادل نفوذها نفوذ السلطان نفسه.

كما أنشأ السلطان الديوان ويضم رجال الدولة ومن يختارهم من ذوي النفوذ ويجتمع مرة في الأسبوع للنظر في شئون الدولة ومصالحها.

كما أعاد تنظيم الجيش وأخذ من الأتراك نظامهم الحربى، وضم إليه أعداداً من الأسرة من مختلف الجنسيات من الأندلسيين والزنوج ومن الأتراك اللاجئين ومن مسيحى أوربا على أنه خصص من يقوم بتدريبهم بما يتفق مع النظام المغربى والنظام التركى.

أرسل المنصور جيشاً ضخماً فى نهاية القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى إلى السودان والذى تمكن من الوصول إلى النيجر واحتلالها وجمع المنصور من وراء ذلك ثروات طائلة من الذهب والعبيد.

وتبادل المنصور التجارة مع الإنجليز فقدم لهم الذهب والسكر والكبريت مقابل الأقمشة التى كانوا يرسلونها له.

تنافست كل من انجلترا واسبانيا على مصادقة المنصور فتشكلت شركة البربر التجارية فى لندن ٩٩٢هـ/ ١٥٨٩م.

لقد ازدهرت الحياة فى عهد المنصور فى بلاد المغرب ونمى العمران فى البلاد، وفى عام ١٠١٢هـ / ١٦٠٣م توفى المنصور وبسبب ما قام من صراع بين أولاد المنصور الثلاثة على السلطة انهار نفوذ مراكش، فقد قام مولاى فارس والشيخ الملقب بالمأمون ينافسان أخاهما زيدان فى مراكش وقتل فارس فى عام ١٠١٨هـ / ١٦٠٩م وقتل زيدان أخاه المأمون فى عام ١٠٢٢هـ / ١٦١٣م بسبب تنازله عن لارش لأسبان.

وبقى زيدان يبسط نفوذه على مراكش دون فاس التى بقيت مستقلة عن سلطانه، ولم يحسن زيدان فى سياسته فى الدولة حين أنفق أموال الدولة بإسراف فى بناء المساجد. وأهمل ما عدا ذلك فضعفت قوة الدولة.

ولما مات السلطان زيدان عام ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م تنازع أولاده عبد الملك والوليد ومحمد شيخ. وفى عام ١٠٦٥ هـ/ ١٦٥٤م تولى محمد شيخ وبوفاته انتهت الدولة السعدية وزاد نفوذ الطرق الصوفية التى آلت إليها السلطة فى حفظ البلاد.

العلويون (١٠٦٥ـ١٢٤٦هـ/ ١٦٥٤ـ١٨٣٠م)

عاشت الأسرة العلوية فى منطقة سجلماسه ونالوا مركزاً طيباً بين أفراد تلك المنطقة لقرابتهم لآل البيت النبوى، ولما اتصفوا به من سمعة حسنه فى معاملتهم ونزاهتهم. حتى أن الرشيد مؤسس الأسرة العلوية عرف بلقب مولاى الذى ناداه به الأهالى حباً وكرامة لشخصه ولنسبه الشريف.

كان الشيخ بوحسون شيخ زاوية خليج يبسط نفوذه على منطقة امتدت من سوس إلى تافيلت دون معارضة، ثم بدأ بوحسون يوسع نفوذه فى مناطق الصحراء الجنوبية فاستولى على سجلماسه ودرعه، وبدأ الصراع بين العلويين وبوحسون أدت إلى انتصارالعلويين وبسط سلطانهم على سجلماسه ودرعه وإقليم السوس. ثم بدأ العلويون يوسعون منطقة نفوذهم حتى اتجهوا إلى مراكش وتمكنوا من النزول على ساحلها الشمالى. وفى عام ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م حارب مولاى الشريف قوات الشيخ اراراس ودخل فاس وأعلن نفسه سلطاناً وأصبح العلويين يسيطرون على منطقة أنجاد وتازا وتافيللت، والريف وفاس. ثم استمر العلويون فى توسيع رقعة نفوذهم فبعثوا بالحملات الحربية إلى الغرب لإخضاع إقليم طنجه ثم دخلوا مراكش عام ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م وأقام الشريف الرشيد القناطر والحصون على نهر سبو ويبعد أربعة كيلومترات من فاس، وأقام الحصون فى مراكش الشرقية وبنى مدرسة.

وفى عام ١٠٨٢هـ / ١٧٦٢م توفى الشريف الرشيد بعد جهوده فى توحيد المغرب الأقصى. وخلفه أخوه إسماعيل (١٠٨٢ ـ ١١٣٩هـ/ ١٦٧٢ـ١٧٢٧م) اهتم السلطان اسماعيل بالتعمير فأقام المنشآت فى مراكش وبلغ به حب الاقتناء وجمع الأموال إلى مصادرة الأموال من ذوى الثراء فى البلاد.

عمل على توطيد سلطانه فواجه المؤمرات التى دبرت ضده بشجاعة وثبات واستطاع أن يتغلب على معارضيه من أفراد أسرته، ومن أخيه هارون فى تافيللت وابن أخيه أحمد بن محرز فى مراكش والسوس فضلاً عن المؤامرات التى دبرتها ضده الدولة العثمانية.

وقامت الثورات فى ولايات الغرب حيث قام المرابطون يؤيدهم العثمانيون فى ويلا وامتدت الثورات إلى تافيللت، وحرضوا القبائل العربية فى شبانه.

وظل السلطان اسماعيل يجاهد ضد المؤامرات والثورات حتى تمكن من التغلب عليها جميعاً. ولم يثنه عن ذلك مضى الشهور والسنين فى طريق الكفاح حتى استقرت أحوال البلاد واستتب الأمن فى ربوعها ثم شرع السلطان اسماعيل بعد ذلك فى تكوين جيش منظم وجعل غالبية جنده من السودان وقام بتدريبهم وضم إليهم أسرى المسيحيين والقرصان والمتطوعين من الشباب الأندلسى.

وقد شكلت الغالبية من هذا الجيش من جماعات من الأطفال الصبيان دون سن المعاش، ويبعث بهم إلى مشترى الرمل (من مكناس وسالى) ويتم تعليمهم حرفة فى عدة سنوات قبل أن يبدأ تدريبهم الحربى. وخصصت أعمال التدبير المنزلى للبنات ومنهن من يتعلمن الموسيقى ويتم تزويج الفتيان

فى سن الخامسة عشر.

أما جهة التمويل لهذا الجيش من الأطفال فهم جماعة المتعهدين يجلبونهم من منطقة حوض النيجر وجنوب الصحراء من مركز تواجدهم فى تمبكو ويودعون فى مشترى الرمل.

أما نسل هذه الجماعات من شباب مشترى الرمل فهو مصدر الجيش النظامى.

بلغ عدد الجيش النظامى فى عهد السلطان اسماعيل بهذا الجيش من حراسة الشواطئ خاصة فى القيادة بحيث يبسطون نفوذهم على الجند ويطيعونهم طاعة مطلقة تمكنهم من التغلب على قراصنة البحار بغير مهادنه أو ضعف.

وهكذا استطاع السلطان اسماعيل استرداد البلاد التى وقعت فى يد الأسبان وغيرهم من البرتغاليين.

واستولى على المعمورة فى عام ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م ثم استولى علي طنجه ونقل إليها سكان منطقة الريف ثم استولى على لارش فى عام ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م وارزيلا فى عام ١١٠٣هـ/ ١٦٩١م وبذلك بسط المغرب نفوذه على الشاطئ الأطلسى.

ثم عمد السلطان اسماعيل إلى موانئ البحر المتوسط وتمكن من الاستيلاء على مليله.

ولم يتمكن السلاطان اسماعيل من مواجهة العثمانيين فى المغرب الأوسط (الجزائر) لقوة المدفعية العثمانية فاضطر إلى مهادنة العثمانيين وتثبيت الحدود معهم.

ثم شرع اسماعيل فى مواصلة الجهاد وبسط نفوذ الدولة المغربية إلا أن الظروف الداخلية أجبرته على التوقف.

وعلى الرغم من النشاط التجارى الكبير فى البلاد المغربية فإن السلطان اسماعيل طالما شارك رجال البحر من القراصنة فى غنائمهم بنسبة تصل إلى العشر وأحيانا الخمس.

وعاشت مدينة فاس كمصدر لتجارة المغرب بأنواعها من جلود وأصباغ وأقمشة، والموسيلين للغطاء والزيوت العطرية وأنواع الأسلحة وأدوات القتال.

كما كان لمراكش دور هام فى الحركة التجارية، وكذلك تارونت وعليج، وكانت مكناس أنشط فى تجارة الشمع والنحاس وقد فضلها السلطان اسماعيل على غيرها من المدن.

كما كانت تافللت تستورد كثيراً مما يحتاجه العرب، وغيرهم من السكان مقايضتهم بتبر الذهب والعاج وريش النعام والبلح حيث حركة القوافل النشطة عبر تلك المدينة إلى السودان.

مكما شارك الرحالة والقناصل فى الأعمال التجارية خاصة مع القراصنة من رجال البحر. وقد كانت المنافسة التجارية بين انجلترا وفرنسا ثم تغلبت انجلترا على فرنسا فى عام ١١٢٢هـ/ ١٧١٠م وأخذ الإنجليز مكان الصدارة.

اهتم السلطان اسماعيل ببناء القصبات وخاصة فى مراكش، وتحتوى القصبة عادة على أراض ومخازن ومسجد ومساكن وحراسة وتحاط بالأسوار والأبراج للمراقبة وقد ساعدت تلك الأبنية على الاستقرار والأمن فى ربوع البلاد. فضلاً عن خضوع المرابطين والعثمانيين للنظام الذى فرضه

وتوفى السلطان اسماعيل عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م وقد أعقب وفاة السلطان انهيار نظام الدولة الذى خططه السلطان حيث برز المرابطون والعثمانيون ورؤساء القبائل وعمل الجميع على استرداد حريتهم فى العمل فاضطربت أحوال البلاد.

ثم ظهر أحفاد السلطان اسماعيل وهو محمد بن عبد الله الذى ساهم فى ولاية أبيه فى تنظيم الجيش ونشر الأمن وكان قد أظهر كفاءة إبان حكمه لمنطقة مراكش وأسفى فى دكالة. أظهر محمد بن عبد الله ١١٧١هـ / ١٧٥٧م نشاطاً حين قام بتشييد الأبراج والحصون حول المدن المغربية والعتاد الحربى، وزاد من عدد سفن الأسطول وخصص فترات لتدريب الجنود على القتال وحار البرتغاليين واسترد ميناء المعمورة شمالى سلا فى عام ١١٨٢هـ / ١٧٦٩م وعمل على توثيق صلاته بالدولة العثمانية، وفى عهده اتسعت التجارة ا لفرنسية اتساعاً كبيراً، ومد كثير من الأجانب إلى البلاد والإقامة فى الموانى، وفى عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م توفى السلطان محمد بن عبد الله وخلفه ابنه يزيد فى عام (١٠٢٤-١٠٢٦هـ/ ١٧٨٩-١٧٩٢م) وكان عهده مليئاً بالاضطرابات وخلفه أخوه سليمان (١٠٢٦-١٠٣٨هـ/ ١٧٩٢-١٨٢٢م) ودخل فى حروب فى المناطق الشمالية وفى الجنوب للاستيلاء على مراكش التى استولى عليها عام ١٢٠١هـ/ ١٧٩٥م وسيطر الجنوب على مدى عشرين عاما. إلا أن ثورات البربر فى أطلس الوسطى والصراع الداخلى دفع بالبلاد إلى التحول من الهجوم إلى الدفاع عن استقلال البلاد أمام الأطماع الخارجية.

وتولى بعده ابنه عبد الرحمن(١٢٣٨-١٢٧٦هـ/ ١٨٢٢-١٨٥٩م) وحاول استعادة مكانة الدولة إلى ماكانت عليه من قبل إلا أنه تعذر عليه ذلك لقوة

الأساطيل الأوربية حتى أن فرنسا استولت على مراكش عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م فتحول مجرى الأحداث إلى غير صالح البلاد، وانتهى الأمر أن فقدت البلاد استقلالها.

المغامرات الاستعمارية ضد المغرب:

ظهرت المطامع الأوربية وخاصة الفرنسية فى شمال أفريقيا وبصفة خاصة المغرب الأقصى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى، ويرجع ذلك الموقع الاستراتيجى حيث يسيطر المغرب الأقصى على مدخل البحر المتوسط بموانيه ومدنه الساحلية مثل طنجه وسبته ومليلة.

كما توجد غرب المغرب الأقصى على ساحل الأطلسى موانيه الهامة مثل القنيطرة والدار البيضاء وأجادير الأمر الذى دفع الدول الأوربية إلى التنافس فى الدخول إليها بوسيلة ما، إلا أن يقظة الشعب المغربى جعلته يقاوم محاولات تلك الدول الطامعة وظل يحافظ على استقلاله على مدى قرون من الزمان.

لقد قاوم المحاولات الأوربية الاستعمارية، وفى سبيل ذلك حشد الجيوش لمقاومة الحركات العدائية من الأسبان والبرتغال وصدهم ودمرهم فى معارك الدار البيضاء وساحل السوس وفى أجادير وفى معركة وادي المخازن فى عهد الدولة السعدية فى عام ٩٨٦هـ / ١٥٧٨م حيث الحق هزيمة ساحقة بالبرتغاليين. كما تمكن الجيش المغربى فى عهد الدولة العلوية استعادة الجديدة والمهدية من البرتغال والعرائش وأحيلا من الأسبان كما استرد طنجة من الإنجليز.

وعلى الرغم من احتفاظ الغرب الأقصى باستقلاله حتى بعد ظهور العثمانيين فى الشمال الأفريقى إلا أن تحول الدولة العثمانية من القوة إلى الضعف أدى إلى ظهور أطماع الدول الأوربية فى الدولة العثمانية وتدبير المؤمرات لاحتلال الشمال الأفريقى.

احتلت فرنسا الجزائر عام ١٢٤٦ه/ ١٨٣٠م فدخلت مراكش حرب مع فرنسا حتى عام ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م وساندت الأمير عبد القادر، واحتلت فرنسا تونس عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م. وانطلقت الدول الأوربية فى مغامرات استعمارية عقب مؤامرة فيينا عام ١٢٣١هـ / ١٨١٥م وقام سباق بينها لاحتلال بقية الأقطار العربية وهنا أدرك المغرب أن عليه مواجهة تلك الأخطار فاتجه إلى مدينة تلمسان فدخلها ليمنع الفرنسيين من احتلالها وامدت الأمير عبد القادر الجزائرى بالسلاح لمحاربة فرنسا وواجهت فرنسا الموقف بهجوم مماثل على بلاد المغرب فدخلت مدينة وجده واشتعل الموقف بين فرنسا والمغرب وبدأ فى مهاجمة طنجه والصويره، واضطر المغرب إلى عقد صلح مع فرنسا وبذلك بدأ التدخل الأوربى الاقتصادى ونشأت المراكز التجارية فى مدن الساحل وأثر النفوذ الفرنسى فى الأحوال التجارية والمالية للبلاد المغربية فى الداخل.

ثم بدات أسبانيا تظهر أطماعها هى الأخري فى بلاد المغرب فافتعلت مشكلة مع المغرب عند حدود سبته التى يحتلها الأسبان وأعلنت الحرب على المغرب فى عام ١٢٧٦هـ/ ١٨٥٩م وانتهت بهزيمة الجيش المغربى واحتلال تطوان وانتهي الأمر إلى عقد صلح تقوم المغرب بموجبه بسداد مبلغ عشرين مليون ريال مقابل إخلاء مدينة تطوان ثم قامت فرنسا باحتلال المغرب ، خاصة بعد بسط سلطانها على تونس بعد الجزائر وشرعت فى إثارة الفتن فى داخل البلاد حتى تجد مبرراً لتدخلها.

وفى عام ١٢٢٦هـ / ١٩٠٨م استطاعت فرنسا أن توعز إلى عبد الحفيظ شقيق السلطان عبد العزيز وممثله فى مراكش إلى تولى عرش البلاد بدلاً من أخيه ونجحت خطة فرنسا وصارت مراكش منذ ذلك الوقت تحت الحماية الفرنسية الحقيقية ثم امتد النفوذ الفرنسى إلى مصلحة الجمارك المغربية وانتهي موقف السلطان عبد الحفيظ بالتنازل عن الحكم لابنه يوسف نتيجة الحماية الفرنسية بموجب اتفاق وقعه مع فرنسا فى عام ١٢٣٠هـ / ١٩١٢م.

ثم عادت الثورات الداخلية ضد القوات الفرنسية حتى عام ١٢٤٠هـ / ١٩١٢م.

واتجه النظام الاستعمارى في المغرب بنفس الاتجاه الذى سارعليه فى الجزائر وتونس فيستولى على الأرض الزراعية ويملكها للفرنسيين وحق نزع الملكية للمصلحة العامة، وفرض تسجيل الأراضى مقابل رسوم معينة ومن لم يسجل أرضه تنزع ملكيته لها.

كما عهدت فرنسا إلى إدخال المصنوعات الفرنسية للبلاد للقضاء على الصناعات المحلية. كما عامل الفرنسيون أهالى البلاد بأسلوب يختلف عن معاملتهم للفرنسيين المقيمين بحيث فضلوا الأجنبي الدخيل فى حق تكوين النقابات بينما حرم منها العمال الوطنييون، وطبق فى كثير من النواحى الامتيازات التى تمنح للفرنسى مثل البدلات للسكن والغلاء وبدل التخصص فى حين حرم منها المواطن المغربى.

وشارك الأسبان الفرنسيين فى احتلال المغرب بعد أن فرضوا القادة الفرنسيين على الجيش المغربى بحيث صار تحت سيطرتهم، وبعد أن اطمأنت القيادة الفرنسية إلى خطتها تلك، فوجئ الفرنسيون بانتفاضة

مغربية دفعت بالجنود بالجنود المغاربة إلى الانقضاض على القادة الفرنسيين الكبار الذين بلغ عددهم ثمانية وستون ضابطاً وقتلوهم عن آخرهم، ثم قاموا بالتوجه إلى فاس واستولوا عليها وانضم الثوار من الأهالى المغاربة الذين الذين وصل عددهم نحو عشرين ألف مقاتل ثم اشتعلت البلاد بالثورات ضد الفرنسيين وظل الصراع مستمراً بين المغاربة والمحتل الفرنسى حتى امتد إلى منطقة الشمال التى تحتلها أسبانيا.

وقامت معركة بين المغاربة والقوات الأسبانية فى عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م تمكنت خلالها القوات المغربية التى لا يزيد عددها عن الألف بينما عدد القوات الأسبانية قد بلغ خمسة وعشرون ألف مقاتل مجهزين بأحدث الأسلحة ولكن المعركة انتهت على الرغم من ذلك بتغلب القوة المغربية على القوات الأسبانية فى معركة أنواك. دفعت نتيجة معركة أنواك بفرنسا إلى الإسراع بمد يد العون إلى أسبانيا خشية أن يؤدى الانتصار المغربى الأخير إلى امتداد المقاومة ضد فرنسا.

وفعلاً اتحدت الجيوش الفرنسية والأسبانية التى تمكنت من التغلب على المقاومة المغربية فى عام ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م.

لقد ظل المغرب فى صراع مع المستعمر الفرنسى واستمر النضال بين السلطان المغربى والمقيم العام الفرنسى، وتولى عرش المغرب خلال فترة الحماية ثلاثة أولهم السلطان عبد الحفيظ الذى عمل على مقاومة السياسة الفرنسية ثم اضطر إلى التنازل عن العرش عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٢م ثم السلطان يوسف الذى تولى الحكم منذ عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٢م حتى وفاته فى عام ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م وتولى عرش البلاد فى نفس العام السلطان السلطان محمد الخامس الذى دخل صراع مع المستعمر الفرنسى فلجأت

فرنسا إلى نفيه إلى جزيرة كورسيكا فى عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م ثم انتهى الصراع بين فرنسا والسلطان محمد الخامس إلى إعادة السلطان محمد الخامس إلى عرشه وبدأت فرنسا المفاوضات فى عام ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م التى انتهت باستقلال مراكش وتم تعديل اسم دولة مراكش إلى دولة المغرب.

وهكذا بدأت المغرب عندما عادت إليه سيادته فى تكوين جيش قومى فى ظل حكومة وطنية مستقلة.

موريتانيا :

الوصف الجغرافي:

جمعت موريتانيا في العهد الروماني بينها وبين المغرب الأقصى معاً، فموريتانيا تعد امتداداً طبيعياً للمغرب إذ لا يوجد بينهما فاصل جغرافي، وتقع موريتانيا في الشمال الغربي من أفريقيا جنوبي المغرب الأقصى، وتقع الجزائر في أقصى شمالها الشرقي من الصحراء الغربية ويجاورها في الغرب المحيط الأطلسي وفي الجنوب منها السنغال.

كما تقع موريتانيا عبر طريق القوافل التي تأتي من المغرب الأقصى متجهة إلى السودان جنوباً وبالعكس، يبدأ من تارودانت إلى نول ثم إلى أوليل وتمر قوافل التجار من الأمصار والتلول.

وقد سيطر الملثمون الصناهجة الذين نازعوا الزناتيين وناضلوا مملكة غانا وغيرها من الممالك الزنجية للاستفادة من الثروات الضخمة التي تعبر بها القوافل التجارية الذاهبة إلى السودان والعائدة منه.

وتوجد في موريتانيا منطقتان طبيعيتان هما:

١ ـ المنطقة التي تبدأ عند وادي السنغال وهي تمتد بمحاذاة الساحل ومكونة من تلال وسهول ثم تأخذ شكل سلسلة من الجبال نصف الدائرية في مواجهة المحيط جنوب ريودي أورو الذي كان يعرف باسم شنقيط وهو الإسم العربي لهذه الناحية أما نواكشوط فهي في الجنوب الغربي من موريتانيا وهي عاصمة موريتانيا. وفي أقصى الشمال الغربي لموريتانيا الساقية الحمراء.

٢ - المنطقة الصحراوية التي تمتد من شمال الساحل وهي منطقة جرداء

تتكون من تلال رملية وسهول حجرية. وهناك أماكن أخرى عبارة عن هضاب صحراوية ووديان جافة لأنهار قديمة كما توجد واحات يمكن الحصول منها على المياه الجوفية، وأعلى الجبال أو المرتفعات أدرار تمار في الشمال وتاجنت فى الجنوب الشرقى وبفضل هذا الارتفاع يوجد بعض الانتظام فى سقوط الأمطار مما يمهد لظهور المراعى المتازة وفى هذه المنطقة كثير من القرى مثل شنقيط وآثار فى الغرب وأجيدز فى الوسط.

كما يوجد بعض السهول الخصبة كسهل الشاماه فى الأراضى التى تحيط بنهر السنغال. وكذا سهور براكنا وجورجول.

وتعد المنطقة صحراوية وتغطيها مساحات رملية كبيرة من الرمال، وتتوزع بعض الأعشاب المتفرقة والمناخ شديد الحرارة، وذلك أن تأثير البحر لا يتجاوز عدة كيلو مترات فى الداخل.

أما الأمطار فى الجنوب فغيرمنتظمة وتسقط فى شهر يوليو. أما في الشمال فتسقط الأمطار وهى شحيحة. لأن موريتانيا تعد امتداداً طبيعياً للمغرب الأقصى حيث لا يوجد بينهما فاصل جغرافى، فلابد من التعرض لدراسة المغرب الأقصى عند دراسة موريتانيا.

ويعد المغرب الأقصى «منطقة أطراف» لأنه فى النهاية القصوى للوحدة الجغرافية للمغرب، فلا يوجد وراء هذا الإقليم غير البحر المحيط، الحاجز المنيع لبلاد المغرب.

ويربط المغرب بالجنوب طريق برى طويل يؤدى إلى الجنوب الأقصى، وإلى صحراء السودان الغربى، وفى الجنوب تحيط به سلسلة جبال درن الذى يعد مانعاً ضد القادمين من قلب الصحراء حتى صار هذا الإقليم بعيداً عن

المؤثرات القادمة من الشرق والتى تتعرض لها المناطق الأخرى فى أفريقيا والمغرب.

وعند الفتح العربى لبلاد المغرب، صار المغرب الأقصى الحصن المنيع للمقاومة، ولم يبسط العرب سلطانهم عليه بقوة السيف وحده، وإنما هو نور التوحيد الإسلامى الذى وصل شعاع منه إلى قلوب الشعوب المغربية فأقبلوا عليه عن طواعية واختيار، ثم صاروا حصنا للإسلام.

لقد ساعدت الطبيعة بلاد المغرب الأقصىَ وموريتانيا على نمو الحركات الدينية ذات الطابع السياسى مثل حركة المرابطين، وحركة الموحدين، بعيداً عن الغارات التى اجتاحت بلاد أفريقيا والمغرب قادمة من مصر فى العصر الفاطمى، وهزت العروش بعد ما تجاوزت الحدود تلك الهجمة الهلالية التى تعذر عليها دخول المغرب الأقصى إلا بعد استدعاء من قادة الدولة الموحدية وكان قدومها للمغرب الأقصى قوة إيجابية.

لقد ساعدت جغرافية المغرب المانعة عند شاطئ المحيط إلى توجه الموجات العربية المتدفقة إلى غرب أفريقيا ومنطقة السنغال ومنطقة النيجر، وعن هذا الطريق انتشر الإسلام فى السودان الغربى، وازدهرت حركة المتاجرة مع شعوب السنغال والنيجر وقلب أفريقيا، كما أن الطريق البحرى عن المضيق الذى يصل المغرب بالأندلس مكن من ربط إقليم الريف بالأندلس، فساعد على نشر المؤثرات الحضارية الأندلسية فى إقليم الساحل والمتصل بالمغرب الأقصى وترتبط العدوتين (الأندلسية والمغربية) بروابط وثيقة، فساعد ذلك حين عبرت قوات يوسف بن تاشفين المرابطى المضيق لإنقاذ بلاد الأندلس من الأعداء المتربصين.

السكان :

البرانس: انتشرت قبائل البرانس المغربية فى بلاد المغرب من أفريقيا حتى المغرب الأقصى وامتد وجودهم فى غرب أفريقيا حتى منحنى نهر النيجر وهذا الفرع من قبائل البربر المغاربة اشتهر بالقوة وشدة البأس وهم كثرة غالبية من البربر.

انتشرت هذه القبائل فى الجهات الشمالية وعلى سفوح الجبال الصالحة للزراعة، وفى جبال أوراس وفى جنوب ووسط الجزائر، كما نزلوا بمراكش، وفى الجزء الشرقى من جبال أطلس الكبرى واحتلوا ساحل المحيط الأطلسى حتى مصب نهر السنغال، ومنحنى النيجر.

ومن قبائل صنهاجة ظهرت دولة بنى زيرى. وقامت دولة صنهاجة بالمغرب، منذ أن قلد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله أمر بلاد المغرب إلى بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى، وصارت صنهاجة صاحبة السلطة الفعلية على أفريقيا والمغرب، كما استولى بلكين بن زيرى على المغرب الأقصى، كما قامت دولة المرابطين من صنهاجة كذلك، أما قبائل الملثمين مؤسسو دولة المرابطين.

فهم الذين اتخذوا اللثام شعاراً لهم يميزهم عن سائر القبائل المغربية، وهم الذين قامت من بينهم دولة المرابطين. وهم الذين نشروا لواء الإسلام فى أنحاء أفريقيا والسودان الغربى، فقد ظلت قبائل الملثمين تجاهد بغير كلل تدفع قبائل السودان إلى الإسلام دفعاً حتى تمكنت فى نهاية الأمر من النجاح فى مهمتها المقدسة، وظللت راية التوحيد الإسلامى شعب السودان.

كما قامت دولة المرابطين وانتشر نفوذها من منحنى النيجر فى الجنوب

حتى البحر الأبيض فى الشمال ثم عبرت المضيق واتجهت إلى الأندلس.

وقبائل الملثمين كثيرة العدد وأهم هذه القبائل، لمتونة وجدالة ومسوقة أما الزعامة فقد كانت للمتونة فى بنى ورتنطبق وقد ظهر منهم يوسف بن تاشفين.

لقد أخذت القبائل المغربية من البرانس الصنهاجية تنتقل بين مناطق الشمال والجنوب فى صورة يسيرة بعد ما أدخل الرومان الإبل فى البلاد المغربية وبدأ اتجاههم نحو الجنوب فى السنوات الأخيرة من القرن السابع الميلادى فى نفس الوقت الذى ظهر فيه المسلمون.

وبدأ المغاربة يستعينوا بالشعوب السوداء ليعملوا معهم بعد اتصالهم بهم فى المناطق الجنوبية.

كما اتجه عدد من القبائل الصنهاجية فى المغرب الأقصى إلى التوغل فى الصحراء خاصة عقب الغزوات العربية، وقد تمكنوا من الاستيلاء على بعض المراكز فى تاجنت وبسط رئيس قبيلة لمتونة الصنهاجية تيلوتان نفوذه على القبائل السوداء وحصل منهم على الجزية كما اتخذ له مركزاً فى أودغشت. ثم انحسر هذا النفوذ الصنهاجي ثم لم يلبث أن عاد الصنهاجيون إلى توحيد صفوفهم في بداية القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى للأسباب الأقتصادية وحركة القوافل، وقد كان لقبائل لمتونة وجدالة قوة تشكلت باتحادهم بزعامة تارسينا لمواجهة قبائل الجنوب، وقد تبنت جدالة الحركة الدينية للمرابطين وتزعم يحى بن ابراهيم الحركة المرابطية.

لقد ساعد الإسلام الصنهاجية على هجرتها إلى الجنوب والعمل على نشر الإسلام بين قبائل السودان ودفتها صدق عقيدتها إلى التقدم نحو الجنوب بقوة العقيدة حتى وصلت إلى منحنى النيجر.

فما كان القرن الخامس الهجرى، الحادى عشر الميلادى بدأ عبد الله ابن ياسين ا لعمل على توحيد القبائل المغربية الصنهاجية ثم اتجهت إلى الشمال فى طريقها إلى إقامة الدولة الجديدة.

وتحديداً للمناطق التى سكنتها تلك القبائل الصنهاجية فهى تمتد من غدامس فى جنوب طرابلس إلى المحيط الأطلسى فى المناطق الصحراوية، فيما يلى سلسلة جبال درن ثم تمتد مساكنها من جبال درن فى الشمال إلى مصب نهر السنغال ومنحنى نهر النيجر، ويمتد شرقاً حتى يصل إلى بعض من أرض الصحراء الكبرى.

أما المناطق الخاصة لكل قبيلة من تلك القبائل الصنهاجية فقد اختصت لمطية وجزولة بالمنطقة الممتدة من جبال درن إلى نول قرب المحيط الأطلسى، وأخذت ترغه وادى درعة إلى سلجماسه.

وقد امتد نفوذ لمتونة من وادى نون على المحيط الأطلسى حتى رأس بوجادور وإلى الشرق من وادى نون تقع مدينة أركى حصن لمتونة المنيع، وقد وصلت رحلات لمتونة فى المنطقة التى بين غانه وسلجماسه. وقد

بسطت لمتونة نفوذها على الطرق الهامة مثل طريق غانه سلجماسه وتمتد ديارهم مسيرة شهرين طولاً وعرضاً مما يسر لها الثراء المادى فضلاً عن وفرة عددهم حتى سهل عليها بسط سلطانها على بقية القبائل.

أما جدالة فتمتد مناطقها من جنوب لمتونة حتى مصب نهر السنغال حيث أوليك مقراً لها، حيث يوجد الملح الذى ينقل شمالاً وجنوباً، وجدالة قريبة من غانه ومن شعب صنغانه على منحنى نهر النيجر وقريبة من أودغشت وطريق سلجماسه، فساعد ذلك جدالة على استخدام هذا الطريق فى تجارتها وربحت من ذلك كثيراً بسبب قربها هذا من بلاد السنودان.

وتمتد مضارب قبيلة مسوفة فى منطقة تقع بين سلجماسه فى الشمال وأودغشت فى الجنوب، كما امتد نشاط بعض بطون مسوفة شرقاً حتى تادمكة وكوكو.

وقد سيطرت مسوفة على طريق التجارة السودانى بين أودغشت فى الجنوب وسلجماسه فى الشمال منذ زمن طويل، وهكذا سيطرت تلك القبائل الصنهاجية على مساحات واسعة من الصحارى وتحكمت فى طرق التجارة الهامة فغلب عليها الثراء وكثر جاهها بين القبائل الأخرى.

دور صنهاجة الموريتانية فى العهد الإسلامى :

يعد عقبة بن نافع أول من دخل ديار الملثمين من العرب، وأول من ساعدهم على الدخول فى الإسلام وبعدها عرف التجار العرب الطريق إلى الصحراء الجنوبية. وجعلوا من مدينة أرقى قاعدة لهم ثم وصلوا إلى أودغشت حاضرة مسوفة، وفى عهد عقبة وصل المسلمون إلى أواسط أفريقيا.

وفى عهد موسى بن نصير الذى امتدت فتوحاته حتى وادى درعه وحتى السوس فى الأطراف الشمالية لأماكن الملثمين وهو الذى أنشأ مسجدا فى أغمات ودعا الملثمين إلى الإسلام فأقبلوا عليه بقلوبهم بعد أن أسند موسى بن نصير إليهم أعمالاً قيادية، وزاد إقبال لمتونة على الانضمام إلى صفوف المسلمين وشكلوا كتلة بربرية بجانب العرب الذين اتجهوا لفتح الأندلس.

كذلك عمل الأدارسة بالمغرب الأقصى على نشر الإسلام فى ربوع صنهاجة اللثام وامتد نفوذ الأدارسة من ديار الملثمين حتى إقليم الواحات.

وهكذا فإن إسلام صنهاجة اللثام أخذ منذ عهد عقبة ينمو ويقوى حتى

بلغ أوج قوته فى عهد الأدارسة فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فقد تحالفت قبائل الملثمين بقيادة زعيم لمتونة تيولوتان بن تيكيلان التى عملت على القيام بدور قيادى لبسط نفوذها ونشر الراية الإسلامية بين القبائل الزنجية فى الجنوب.

وفى منتصف القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى بدأ حلف صنهاجة فى الاتجاه جنوباً وتقدم صوب ديار غانه، ذلك الشعب الزنجي المشرك ولم يصمد أمام صنهاجة التى سارت قدماً فى توسعها حتى صارت على مسيرة أيام من منحنى النيجر واستولوا على مدينة أودغشت وفرضع الجزية على شعب غانه وجعلوا من أودغشت مقراً لهم.

وفى منتصف القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى ومع قدوم الهجرة الهلالية من مصر إلى بلاد المغرب.

تغيرت الأحوال وعم الاضطراب الحياة الاقتصادية وتحول الموقف حيث أن سجلماسه التى على طرف الصحراء من الشمال وأدغشت التى على طرف الصحراء من الجنوب وهما من أهم مدن المغرب وأكثرها ثراء.

تحولت القوافل التجارية إلى الطريق الذى يمر بديار الملثمين من جدالة ولمتونه فاحتكرت جدالة ولمتونة التجارة بين المغرب والسودان. وتفوقت جدالة على مدينة أودغشت وكان الملح كما كان التبر والصمغ والصوف والخرز من أهم السلع المتبادلة بين السودان والمغرب ثم ينقل من موانى المغرب إلى الشرق وإلى أوربا.

على أن القبائل الملثمة التى استطاعت أن تستولى على الموارد الضخمة من أيد القبائل الزناتية تسببت فى اضطراب الأحوال الاقتصادية فاشتد

الغلاء وانقطعت الموارد وعم الخوف فاندفع ذلك بالقبائل الزناتية إلى اقتحام الدور للسطو والنهب وعز الأمن فى ربوع المغرب وصار الناس يتطلعون إلى الخلاص من سوء الأحوال وانتشار المجاعة.

المرابطون:

قامت دولة المرابطين بجهود من رجال جدالة الكبار يتقدمهم زعيمهم يحى بن ابراهيم الذى عرف برجاحة العقل وحسن البصيرة الذى أوصله إلى النظر فى مصالح الإسلام والمسلمين وليس فى بلده هو بل فى أنحاء الدنيا فعمل على سياسة تربطه بالمجتمع الإسلامى الكبير فى أنحاء البلاد المغربية كلها، فكانت خطته هذه خير وبركة على الملثمين من صنهاجة وعلى من حولهم من القبائل إلى أبعد مايكون، فقد وصل جهاد يحى بن ابراهيم الى السودان جنوباً كما امتد إلى الشمال وإلى الشرق والغرب.

خرج يحى بن إبراهيم الجدالى من دياره فى عام ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م القصد ارتياد مدارس المغرب طلباً للعلم والبحث عن فقيه يعود به إلى قومه عله يخرجهم من الظلمات إلى النور فيوحد صفوفهم معتصمين بحبل الإسلام.

لقد رحل يحي بن إبراهيم إلى القيروان وقابله الفقيه أبا عمران الفاسى ذلك الذى اشتهر بين العلماء فقصده الطلاب من فاس وأغمات ومن الأندلس من سرقسطه وأشبيليه ومن غيرها.

أما المكانة التى حصل عليها هذا الفقيه الجليل فقد حصل عليها بعد رحلة علمية فى بلاد المشرق حيث سمع من علماء مصر والحجاز والعراق.

تقابل مع أبى الفتح بن أبى الفوارس وسمع منهم ومن أستاذه الفقيه

أبى بكر الطبيب الباقلانى درس منه علم الأصول وهو من أعظم العلوم الشرعية وأجلها امتداداً وأكثرها فائدة وأصول الأدلة الشرعية هى القرآن والسنة.

ثم عاد أبو عمران الفاسى الفقيه عبد العزيز التونى وفقيه السوس وجاج بن زللو اللمطى، كما تتلمذ يحى بن ابراهيم على أبى عمران الفاسى ثم طلب منه أن يختار له من تلامذته أحد فقهاء المالكية يستعين به على إرشاد قومه من الملثمين الصنهاجية، وهنا قال أبو عمران ليحيى عليك بفقيه السوس وزاهدها وجاج بن زللو اللمطى وطلب أبو عمران من وجاج أن يختار من تلاميذه فقيهاً ممن يثق في دينه وفى كثرة علمه وحسن بصيرته ليصحب يحيى بن ابراهيم فى عوته إلى قومه الملثمين، ويعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ويفقههم فى الدين.

وقد استجاب وجاج واختار تلميذاً له صنهاجى الأصل هو عبد الله بن ياسين، فقبل عبد الله على الفور القيام بالمهمة التى وكلها إليه وجاج ورحب بها باعتبارها الطريق إلى الجهاد فى سبيل رفع راية الإسلام عالية خفاقة.

عب الله بن ياسين

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير على، تلقى العلم من الفقيه وجاج بن زللو اللمطى، كما تلقى العلم من فقهاء الأندلس.

تقابل يحيى بن ابراهيم مع عبد الله ، ودعاه إلى بلاده ليعمل على إحياء الدين الصحيح والمنهج القويم الخالص من شوائب الشرك الذى إذا تحقق فى حياة فرد أو قامت عليه حياة أمة أتى أينع الثمرات وحقق أنفع الآثار فى الحياة.

فمن ثمرات التوحيد وآثاره تحرير الإنسان من كل عبودية إلا الله الذى خلقه.

خطط عبد الله بن ياسين لنفسه المنهج الذى سيسير عليه فى ديار القبائل الملثمة منجميع القلوب حوله كلمة التوحيد التى تهدى إلى تحرير البشر فالتوحيد يعين على تكوين الشخصية المتزنة التى تميزت وجهتها فى الحياة وتوحدت غايتها وتحدد طريقها لما يرضى ربها. وهذا المنهج الذى جعله عبد الله هدفاً له أخذ اتجاهان.

الأول اتبع فيه الأسلوب السليم الهادئ وبدأ يعظ الناس بالحسنى. فقد سد منافذ الخوف على الأجل والخوف على النفس والخوف على الأهل والأولاد، وعرفهم أن المؤمن الحق لا يخاف أحداً فهو دائماً آمناً مطمئناً هادئاً.

وبهذا الأسلوب اجتذب الناس إليه واجتذب الطلبة الذين وفدوا عليه من كل فج يستمعون إليه وهو يلقى عليهم دروسه، يعلمهم الدين الصحيح وجذب إليه قلوبهم والتف حوله العامة، وأصبح عبد الله بن ياسين ملء أسماعهم وأبصارهم بعدما وثقوا به وتلقوا علمه وتمسكوا به لا يلتفتون إلى غيره.

وقد لقى عبد الله بن ياسين معارضة بين صفوف الزعماء والقادة الذين رأوه ينتقص من حقوقهم التقليديه ويصدهم عن العدوانية، ويطلب المساواة بين جميع البشر، فتآمروا عليه وعملوا على إبعاده من ديارهم.

لجأ عبد الله بن ياسين إلى الانسحاب من ديار لمتونة إلا أن يحيى بن ابراهيم استطاع إن يغير من عزم عبد الله بن ياسين ودعاه إلى الصبر والمثابرة وعدم التخلى عن دعوة الحق، واستجاب عبد الله إلى دعوة عمر الجدالى واتجه عبد الله وعمر معاً إلى الجنوب إلى ديار جدالة.

ثم بدأ عبد الله هدفه الثانى فاتجه إلى بناء رباط يأوى إليه وصحبه ولذا عرفوا باسم المرابطين يعبدون ويزهدون ويتزهدون ويجهدون فى جزيرة فى البحر عند نهر السنغال.

اتخذ عبد الله هذا الرباط حيث أن خطر إغارة ممالك الزنوج على جدالة أتتت من تلك الناحية حيث وقعت غارات الممالك الزنجية على مضارب الملثمين وحددت طريق القوافل وتكرر استيلاؤهم على مدينة أودغشت وطردهم منها أكثر من مرة فجعل عبد الله بن ياسين رباطه عند نهر السنغال هو الحد الفاصل بين مضارب الملثمين ومضارب الزنوج، جعله ليكون بقصد الجهاد ونشر الإسلام فى ديار الزنوج وصدهم عن العدوان.

دور عبد الله بن ياسين فى الرباط :

جعل عبد الله بن ياسين من رباطه حصناً يدافع المرابطون فيه عن البلاد ضد الغزاة المعتدين، وكان للرباط مزارع تمده بحاجته من الطعام فضلاً عن احتراف الصيد من البر والبحر، كانت حياتهم تتسم بالبساطة والخشونة ينبذون الأثرة، ويعشقون الإيثار فهدفهم التعلق بالروحانيات أكثر منها بالماديات.

بلغ خبر عبد الله بن ياسين قبائل الملثمين الموزعة بين جبال درن فى السنغال وحتى منحنى النيجر فى الجنوب فأسرع الكثير من الملثمين يلتحقون بجماعة الرباط بحوض السنغال حتى بلغ عددهم ألفاً، وعرفت صنهاجة موريتانيا باسم المرابطين كما عرفوا من قبل باسم الملثمين.

كان لعبد الله بن ياسين قدرة خارقة على التأثير فى نفوس أتباعه فهو جعلهم أكثر تفهما للأهداف التى أراد تحقيقها وضمن اهتمامهم وحماسهم وإيجابيتهم فى تنفيذ الخطة بطريقة واقعية حتى يسهل عليهم تنفيذها.

كان عبد الله يقبل أن يضم المريد إليه بعدما يتثبت من إيمانه وصدق رغبته فى الانصراف إلى حياة الزهد والجهاد ويمتحن المريد امتحاناً

جسدياً قاسيا حتى تتطهر نفسه من أدناس الأنانية وحب الذات.

قام عبد الله بقراءة القرآن وتفسيره وروى الحديث وفسره، ثم طلب من أتباعه القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يعدوا أنفسهم دائماً لحياة الجهاد والكفاح ضد الأعداء في الخارج ودعوة الملثمين إلى الدين الحق.

اختار عبد الله بن ياسين يحى بن ابراهيم لدور الحاكم ولما توفى يحى فى عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م صار يحى بن عمر رئيس قبيلة لمتونة الرئيس السياسى للمرابطين.

دور الجهاد :

أصبح يحي بن عمر حاكماً للمرابطين وهو الذى عمل على تدريب جماعة المرابطين على القتال للإعداد لمعركة الجهاد.

خرج المرابطون فى عام ٤٤٢هـ / ١٠٥٠م إلى الجهاد يقودهم يحى اللمتونى ومعه عبد الله بن ياسين يدعو لهم إلى الإسلام فى سودانى التكرور وحوض السنغال الأدنى وماوراءه من بلاد السودان الغربى فى غانه وفى غيرها.

وفى عام ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م جاءت ممكاتبات سجلماسه ودرعه جنوبى المغرب الأقصى من الفقهاء والمصليحن بدعوة المرابطين للجهاد ضد الحكام المفسدين.

اتجه المرابطون بجيش كبير من المجاهدين الراغبين فى الشهادة فى سبيل الحق ونصرة المظومين وتحقق لهم النصر وطهروا البلاد من المنكرات ورفعوا عن الأهالى الضرائب الجائرة وعينوا والياً من لمتونة على سجلماسه

واستشهد يحى بن عمر فى جاهده ضد المشركين فى السودان فى عام ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م.

عين عبد الله بن عمر مكان أخاه أبا بكر بن عمر اللمتونى فى قيادة المعركة فى الجنوب.

عمل أبو بكر بن عمر وعب الله بن ياسين قادة المرابطين على محاربة الرافضة والشيعة وأعادوا البلاد إلى السنة واستولى المرابطون على أغمات وقاليم حاحه ودكالة واستولوا على نادلة ثم حاربوا برغواطه فى مدينة اسفى على المحيط وفى عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م استشهد عبد الله بن ياسين.

وفى عام ٤٥٣هـ / ١٠٦١م أسرع أبو بكر إلى التوجه إلى صحراء موريتانيا لفك الاشتباك الذى وقع بين قبيلتى لمتونة ومسوفة وجعل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب الأقصى الذى أسس مدينة مراكش وجعلها عاصمة لدولة المرابطين فى عام ٤٥٤هـ / ١٠٦٢م ثم اتسع جهاد المرابطين فامتد فى عام ٤٧٤هـ / ١٠٨١م إلى المغرب الأوسط وبلاد الأندلس بقيادة يوسف بن تاشفين بجنوده الذين من صنهاجة موريتانيتا.

أما فى الجنوب فكان ابو بكر بن عمر اللمتونى الذى جاهد لرفع راية الإسلام فى أرجاء أفريقيا حتى بلغ أفريقيا الاستوائية، وقد بدأ بالتكرور والسنغال الأدنى، وأولئك الذين انضموا لجيش أبى بكر وساهموا معه فى رفع لواء التوحيد فى بلاد السودان وينتشر حتى سار علم التوحيد راسخاً رسوخ الجبال لا يتزعزع، وقد قاد أبو بكر بجيوشه المجاهدة في تلك البلاد متخذاً من منطقة الإدرار فى موريتانيا وأزكى وأودغشت قاعدتين لحملاته الحربية جنوباً وشرقاً، وظل البطل الإسلامى أبو بكر تؤازره صنهاجة موريتانيا حتى سيطر على طرق التجارة الرئيسية بين المغرب وأفريقيا.

وفي عام ٤٨٠هـ/١٠٨٧م استشهد أبو بكر بن عمر في ساحة الجهاد ثم عادت غانة وازدهرت وصارت صاحبة السيادة والنفوذ فى الأراضى التى بين نهر النيجر والمحيط الأطلسى، وتبعتها الشطر الجنوبى من موريتانيا ومدينة أودغشت ونيمة وولاته، ثم ضعفت غانه أمام قبيلة الصوصو الوثنية، وامتد سلطان دولة مالى إلى غانه ثم ضعفت مالى، وظهرت دولة صنغى في حوض النيجر الأوسط شرقى السنغال وقويت ثم استقلت عن مالى وازداد نفوذها فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى فى عهد اسرة اسكيا واستولى (سنّ على) ملكها على تمبتكو وامتد سلطانها إلى ولاته وإقليمها فى موريتانيا وكان حكامها بعد (سنّ على) متمسكين بالإسلام خاصة فى عهد محمد بن أبى بكر عام ٨٩٩ - ٩١٥هـ/ ١٤٩٣ - ١٥٢٨م) الذى جعل مدينة تمبتكو عاصمة لدولته، ثم حاولت صنغى الاستيلاء على بعض مناجم الملح مما أغضب الأمير أحمد المنصور الذهبى سلطان دولة السعدية فى المغرب الأقصى فأرسل حملة عسكرية ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م فى عهد حاكمها أسكيا إلى التنازل عن ممتلكاته فى بلاد موريتانيا والقبائل الصنهاجية وعادت الحملات العسكرية بالغنائم وبعد تلك الحملة تقدم أمير برنو شرقى صنغى فى عام ١٠٠٠هـ / ١٥٨٢م إلى المنصور الذهبى يعلن بيعته له وبعث إليه بهديه.

وعندما سقطت دولة صنغى عملت مراكش على نشر الثقافة الإسلامية عن طريق مبعوثين من العلماء حيث انتشرت الحضارة الإسلامية فى مدن ولاتا وتبكتو وجنى.

لقد عمل الفتح المغربى للسودان على إعلاء راية التوحيد الإسلامية، كما استفاد المغاربة مادياً من الثروات الطبيعية التى تزخر بها أرض السودان.

كما أن رجال الجيش المغربى كانوا من جنسيات مختلفة وتزوجوا من النساء السودانيات وخالطوا أفراد الشعب السودانى ولكنهم كانو مميزين بين السودانيين.

على أن موريتانيا عادت لأرضها التى كانت قد استولت عليها دولة صنغى، كما أن بعض الجنود الذين كانوا قد شاركوا فى الحملة استقروا فى أرض موريتانيا منهم عرب المعقل قبيلة جسان التى نزلت بعض عشائرها من شنقيط كما نزلت قبائل حسان فى أنحاء متفرقة أخرى من موريتانيا. قد ساعدت تلك الخطوة فى تعريب موريتانيا.

العلويون(١٠٦٥-١٢١٨هـ / ١٦٥٤ - ١٨٠٣م)

تنتمى العائلة العلوية فى المغرب الأقصى إلى العرب الأشراف الذين عاشوا فى المغرب منذ القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى واستطاعوا أن يجمعوا حولهم قلوب الأهالى حتى أنهم قدموهم على غيرهم لقيادة البلاد.

لقد تطلع المغاربة إلى قيادة ترفعهم من عثرتهم وتعيدهم إلى مجدهم السابق، وترفع عنهم الأغلال. لقد بايع المغاربة محمد بن الشريف فى سجلماسه.

لما ضعفت الدولة السعدية تطلع الشعب المغربى إلى العائلة العلوية لقيادته ليستعيد مجد البلاد المغربية من جديد.

وهكذا بايع المغاربة محمد بن الشريف فى مدينة سجلماسه ثم شرع هو فى توسيع رقعة نفوذه فاستولى على درعه ثم اتجه إلى مدينة فاس فاحتلها. وبعد وفاته تولى أخاه الرشيد بن الشريف العلوى (١٠٧٥-١٠٨٢هـ / ١٦٦٤-١٦٧٢م.

وقد تمكن الرشيد من إخضاع البلاد كلها لسيطرته عدا المدن الساحلية حيث كان الاستعماريون الأوربيون قد استولوا عليها فكان على عاتق الأمير اسماعيل استرداد المهدية والعرائس وطنجه.

وفى خلال أقل من قرن كان المغرب قد توحد واتسعت أطراف الدولة العلوية حتى وصلت إلى مجاهل الصحراء في مناطق السودان وتوحدت القيادة المغربية العلوية حيث ا نتهى عهد حكام الولايات التابعة للحكومة المغربية.

توفى السلطان الرشيد ١٠٨٣-١١٣٥هـ/ ١٦٧٢-١٧٢٧م). ثم بعث السلطان بالحملات العسكرية التى قضت على الثورات فى مهدها. ثم بدأ فى تنظيم جيشه وجعله تحت سيطرته، وضمن بذلك احكام الرقابة واحكام قبضته على البلاد وصد عنه أعدائه بجدارة وبجسارة.

اتخذ السلطان اسماعيل سياسة استعادة البلاد التى استولى عليها الأسبان والإنجليز وغزا المعمورة فى عام١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م ثم غزا طنجة بعد حصارها وأدخلها إليها سكان سكان إقليم الريف ثم استرد لاراش فى عام ١١٠١هـ / ١٦٨٩م وأرزيلا فى عام ١١٠٢هـ / ١٦٩١م.

ثم اتجه السلطان اسماعيل إلى شواطئ البحر الأبيض واستولى على مليلا.

كما أرغم العثمانيين على الوقوف عند الحدود الجزائرية فلم يتخط جنودهم أرض المغرب الأقصى. وتوالى بعده سلاطين علويين دبروا أمر البلاد فى حزم وحكمة وحسن إدارة لدفة الأمور وتصريف شئون الرعية فدافعوا عنها ضد الأجانب ونشروا فيها الوية العلوم والمعارف والأداب والفنون وأقاموا بين ربوعها العمران ونعمت البلاد ردحاً من الزمن

بالاستقرار السياسى والاجتماعى ودخلوا فى علاقات مع معظم الدول الأوربية إلى أن بدأ احتكاكهم بالتدخل الأجنبى إبان القرن الثالث عشر الهجرى التاسع عشر الميلادى الذى اتخذ صورة الحرب تارة والمكر والخديعة تارة أخرى إلى أن بدأ هؤلاء السلاطين يعجزون عن مقاومة الأخطار الخارجية والداخلية بالرغم من الجهود الصادقة التى بذلوها فى سبيل إنقاذ البلاد والحفاظ على كيانها ودعم وحدتها.

لقد أخذت فرنسا تولى اهتمامها نحو استغلال الصحراء الجنوبية بعد عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م فعمل الفرنسيون على فرض نفوذهم جنود المغرب الأقصى فى موريتانيا.

واستطاعت فرنسا السيطرة على ترارزة فى عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م ثم اتجهت إلى الأدرار ثم تراجع الفرنسيون بعد ظهور المقاومة الموريتانية التى قادها ماء العينين محمد بن فاضل الذى تمكن من صدهم عن الزحف داخل البلاد، ولما عاود الفرنسيين محاولتهم فى مهاجمة الأدرار عقد الشيخ ماء العينين اجتماعاً مع مشايخ القبائل فى عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م وبعثوا إلى الأمير عبد العزيز سلطان المغرب لنجدتهم وصد العدوان الفرنسى فبعث السلطان عبد العزيز جيشاً يقوده الأمير إدريس للدفاع عن موريتانيا.

وفى عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م بدأت المعارك بين المغرب وفرنسا حتى انتهت فى عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م باستيلاء الفرنسيين على الأدرار. وظلوا يواصلون توغلهم فى موريتانيا حتى أخضعوها لسلطانهم فى عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م إلا أن المقاومة فى بلاد المغرب من الجنوب إلى الشمال ضد فرنسا ظلت مستمرة حتى عام ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م وقد واجه الفرنسيون صعوبات فى إدارة البلاد حيث تعذرت سيطرتهم على تحركات القبائل فى

البـلاد، ولذلك ظلت القـيـادة فى إدارة البـلاد فى يد العـسكريـين ثم عـادت الإدارة الفـرنسـيـة فى مـوريتـانيـا فى عـام ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م إلى اسناد الإدارة إلى المدنيين.

وفى عـام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م رفع المرابطون من الصـوفـيـة رايـة الجـهـاد ضد فرنسا إلا أنها لم تستمر حيث تمكن الفرنسيون من إخمادها.

لقد سار نظام الحكم فى موريتانيا قبل قدوم الفرنسيين إليها وفقاً لحدود معينة لكل قبيلة تتبع شيخ القبيلة المسئول عن إدارتها باستقلالية. فلما جاء الفرنسيون نزعوا من المشايخ سلطاتهم وجعلوهم همزة الوصل بين الشعب والإدارة الفرنسية فصار شيخ القبيلة مجرد متلق الأوامر وناق لها فكان ذلك من أسباب ضعف شيخ القبيلة.

وقسم الفرنسيون موريتانيا إلى دوائر وجعلوا لكل دائرة مديراً فرنسياً وياونه ثلاثة أفراد من الأهالى، وكان جمع الضريبة من الشعب من مهامهم الرئيسية أمام الإدارة الفرنسية، وشكل المجلس الوطنى من أربعين عضواً بالانتخاب ويرأسهم فرنسى والمجلس هو الذى يحدد مقدار الضريبة التى يجمعها رؤساء الدوائر.

كما أن هناك مجلس عام تشكل أعضاؤه من بين أعضاء الجمعيات الإقليمية، ويرتبط ممثلوا هذا المجلس بالجمعية الوطنية الفرنسية.

ويوجد كذلك مجلس تنفيذى عن الإدارة الحكومية فى الإقليم، وللجمعية البرلمانية حق التشريع ومهمة الحكومة تنفيذ القوانين، ورئيس المجلس التنفيذى هو حاكم الإقليم.

وفى عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م شكلت أول حكومة موريتانية ذات استقلال ذاتى.

السكان :

عدد السكان بسيط بالنسبة لمساحة البلاد وينقسم المجتمع الموريتانى إلى عدة طبقات مرتبطة ببعضها.

فقبائل بنى حسن العربية وهى الطبقة المحاربة والتى نزلت موريتانيا وكان لها دور بارز فى تعريب موريتانيا خاصة وأن أهل موريتانيا كان لهم إقبال على التعلم.

نزلت قبائل بنى حسان (بنى حسن) التى استقرت فى أدرار وتيرس فى الجنوب الغربى من موريتانيا والبرابيش الجسانين فى مدينة تيشيت والأوداية الحسانية فى الصحارى الواقعة بين ودان وولاته، فشغلت قبائل حسان العربية جميع موريتانيا.

ثم المرابطون وهم من صنهاجة التى خالطت العرب ثم تحولت إلى ممارسة الشعائر الدينية وتفرغوا للعبادة وكانوا موضع الرعاية من جانب الأهالى.

ثما جماعات السود وقد جمع الإسلام بين هؤلاء جميعهم وعمل على تعليمهم وحفظهم للقرآن والعلوم الإسلامية فهم يتعلمون فى الزوايا التى بمثابة المعاهد الدينية ويشرف عليها العائلات العريقة فى المراكز الكبيرة فهى تقوم بتحفيظ القرآن والتعريف بمبادئ الدين.

ومنهم من يتجه إلى مراكز العلم فى الشمال ليواصل تعليمه العالى فى جامعة القرويين وفى غيرها.

وفى نفس الوقت عمد الاستعمار الفرنسى فى موريتانيا إلى إدخال

السود فى المدارس الفرنسية ليعملوا على إحداث فجوة ثقافية بين أفراد الشعب الموريتانى الواحد.

على أن المرابطين رأوا فى خطة التعليم الفرنسية فى البلاد ما يهدد شئون التعليم ويجعل ازدواجية ضارة بمصلحة الشعب الموريتانى إذ يجعل من الثقافة الواحدة المميزة والتى ترفع من شأن الوطن ثقافتين قد تتعارض مع ماهو متبع فى موريتانيا.

كما أن الاستعمار الفرنسى لموريتانيا عمل على تقييد حرية الشعب الموريتانى فى إنشاء المدارس الحرة داخل المدن. فضلاً عن تقييد حريتهم فى مواصلة التعليم فى مراكز التعليم المتقدمة فى الشمال. فضلاً عن ذلك فإنهم يتربصون بمن يواصل تعليمه فى الشمال فيحرمونه من عودته إلى البلاد من المشاركة فى العمل داخل المجتمع الموريتانى، لقد كان هدف الاستعمار الفرنسى إبعاد شباب موريتانيا عن بقية الشعوب العربية التى تتمتع بحرية الفكر.

أما خريجو المدارس الفرنسية فيعمد إلى تسخيرهم فى خدمة أغراضه الاستعمارية.

الموارد الاقتصادية:

منذ الحملة العسكرية فى عهد السلطان منصور الذهبى فى القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى وتوغلها فى أراضى السودان وتنازل اسكيا داود عن ممتلكاته فى موريتانيا، كذلك إعلان أمير برنو شرقى صنغى إعلان تبعيته للسلطان منصور الذهبى، واختلاط رجال جيشه بالسودانيات وزواجهم بالنساء السودانيات.

كما أن قبائل المعقل وخاصة قبائل حسان الذين بعث بهم المنصور الذهبى من مناطقهم فى سجلماسه والدرعه فى المغرب الأقصى ليوطد بهم فتوحاته فى بلاد السودان تلك القبائل الصنهاجية ورجال الحملة العسكرية استقروا فى الأرض الموريتانية وصاروا من أهلها لقرب سكانها من أماكنهم التى جاءوا منها من الشمال.

وقد اشتغلت تلك القبائل بالرعى متنقلين وراء الكلأ وفى أرض تيرس غربى أدرار الممتدة جنوباً وغرباً حتى المحيط الأطلسى يرعون فيها أنعامهم وإبلهم.

وقد استعان الصنهاجيون بعمالهم من السودان يكلفونهم بأعمال الزراعة والسقى ورعى الأنعام والمواشى وحفر الآبار ويزاولون الصيد البرى مثل الوعل والنعام والماعز وتنبت ولاته الدخن والذره أما شنقيط فبها نخل كثير ويزرع فى جبالها القمح والشعير فى أرض النخل، كما يزرعون الفندى فى الأودية والرمال بطيخ أبيض اللون وأخضره والبطيخ الأبيض يصنعون من بذره دقيقاً يخلط بدقيق الدخن ويكونوا منه العصيدة. وغالب طعام أهل المدن اللبن والتمر.

منل يشتغلون بصيد الأسماك على طول الساحل الأطلسى كما يقومون باستخراج الملح والنترات فى أماكن متفرقة من البلاد ويوجد النحاس فى كجوجيت والحديد فى فورجوزو. وتوجد صناعات يدوية مثل صناعة السروج والأنسجة الصوفية وغيرها.

حركة التحرر الوطني:

أخذت الحركة الوطنية الموريتانية شكلاً إيجابياً حيث تكون جيش التحرير الموريتاني بقيادة الأمير سيسيه زكريا، وذلك عقب حصول المغرب على الاستقلال في عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م. وبدأ جيش التحرير الموريتاني يشن هجمات وغارات على قوات الاحتلال عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م إلا أنه لم يكتب لهذه الحركة الموريتانية النجاح حيث دبرت فرنسا خطة لاعتقال زعيمها سيسيه زكريا وتبدد أعضائها فدخل بعضهم في دائرة الحكومة الفرنسية في موريتانيا ولجأ البعض الآخر إلى المغرب مطالبين بالانضمام إلى المغرب.

وفي عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م عقد ممثلوا الصحراء الغربية اجتماعاً بصحراء المغرب يعلنون فيه تأييدهم للمغرب في مواصلة الكفاح لاسترجاع بقية الأرض المغربية، واستنكار السياسة الفرنسية الغاشمة في الأرض الموريتانية ثم عقد مؤتمر طنجه في نفس عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م جمع ممثلين من الجزائر وتونس والمغرب الذي أعلنوا فيه تأييد كفاح شعب موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي ومؤازرتها للانضمام إلى المغرب العربي.

لقد بلغ الوعي القومي درجة عالية إلى الحد الذي دفع ببعض الشخصيات السياسية الموريتانية إلى الاتجاه إلى الشمال وتعلن عن قوميتها المغربية وتنادي بالدفاع عن موريتانيا ضد الاستعمار الفرنسي.

ومن أجل تلك الأهداف عقد مؤتمر الرباط في عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م الذي تشكلت فيه اللجنة التحضيرية من مشايخ قبائل موريتانيا ومن بعض كبار رجال الحكومة الموريتانية وأصدر ذلك المؤتمر قرارات أكدت اجماع موريتانيا على الحصول على الاستقلال مع الإتحاد مع المغرب.

وأعلن الملك محمد الخامس ملك المغرب تأييده لعقد هذا المؤتمر وقال عنه أنه دليل على يقظة موريتانيا والصحراء وانتشار الوعى القومى فيها وعزم شعبها على التحرر والوحدة.

وتكلم فى المؤتمر السيد أحمد حورمه ولد بابانا المستشار فى شئون الصحراء بوزارة الداخلية، وقال لقد أصبحت الحرية بالنسبة لنا مسألة حياة أو موت وأعلن رفضه للمؤامرات الاستعمارية الفرنسية لفصل موريتانيا علن المغرب.

ثم تكلم الشيخ ماء العينين فقال: إن انضمام الجزء الجنوبى للمغرب واتصاله به سلسلة متصلة الحلقات من القرن الأول للفتح العربى الإسلامى على يد عقبة بن نافع الفهدى على اختلاف الدول إلى عام إتيان الوفود الشنقيطية الصحراوية إلى السلطان مولاى عبد العزيز فى فاس وإتيانهم إلى السلطان مولاى عب الحفيظ فى مراكش ثم وفودهم التى مازالت تتحرى بعد الاستقلال على جلالة مولانا محمد الخامس نصره الله بطل التحرير ورمز الوحدة، ثم واصل المؤتمر اجتماعاته واتخذ عدة قرارات أهمها:

أولاً: أن ممثلى موريتانيا والصحراء يجددون ولاءهم وإخلاصهم الدائم للمقاوم الأول محرر الوطن صاحب الجلالة محمد الخامس وتعلقهم بالعرش العلوى المجيد.

ثانياً: يؤكدون أن موريتانيا والصحراء جزء لا يتجزأ من المغرب كما يؤكدون عزمهم على التحرر من النظام الاستعمارى المفروض عليهم والالتحاق بالجزء المحرر من الوطن المغربى الكبير.

ثالثاً: يطالبون بعرض قضية موريتانيا والصحراء على منظمة الأمم المتحدة فى أول مناسبة.

موريتانيا والسياسة الدولية :

اتجهت سياسة المغرب بعد إعلان استقلالها فى عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م إلى السعى لحل مشكلة الحدود الجنوبية إلا أن فرنسا أصرت على تنفيذ خطتها فى فصل موريتانيا عن المغرب.

قامت سياسة المغرب بطلب انضمام موريتانيا إليه على أساس جغرافى وقومى وتاريخى، ويؤيد مطالب ا لمغرب فى استرجا ع حدوده الأصلية حجج كثيرة منها، أن الروابط السياسية بين موريتانيا والمغرب بدأ على الأقل منذ قيام دولة المرابطين فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى كما يؤكد سلطة الدولة المغربية واستمرارها عدة قرون إلى أن فرضت الحماية على أن مجموعة من الدول الأفريقية بإيحاء من فرنسا عمدت إلى عقد مؤتمر فى أبيدجان عاصمة ساحل العاج قبل إعلان استقلال موريتانيا بيومين وأعلنت فى المؤتمر أن المؤتمر قرر وجوب تأييد استقلال موريتانيا لدى بحث هذه القضية فى الأمم المتحدة وتأييد انضمامها إلى عضويتها.

وفى عام ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م تقدمت حكومة المغرب بطلب تسجيل قضية موريتانيا فى جدول أعمال الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة.

وبعد مناقشات بين الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة انتهى رأى اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إعلانها تأييد منح موريتانيا الاستقلال.

وهكذا حصلت موريتانيا على استقلاله، وأعلن قيام جمهورية موريتانيا الإسلامية فى نهاية عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م وانتخب ولد داده رئيس التجمع الموريتانى رئيساً للجمهورية وانضمت الدولة الجديدة إلى الأمم المتحدة عام ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ثم انضمت بعد ذلك إلى جامعة الدو العربية.

المصادر والمراجع

١٧ – الدكتور محمد أنيس : ثورة ١٩٥٢ وأثرها فى الحركات
١٨ – محمود الشرقاوى التحررية العالمية

١٩ – د. محمود السيد : تاريخ دول المغرب العربى
٢٠ – محمود كامل المحامى : العمل لمصر
٢١ – و. أ – ابراهام : كيف تفكر أفريقية؟ (مترجم)
٢٢ – محمد عبد العزيز احمد وفاروق مخلوف : العالم والسوق الأوربية المشتركة
٢٣ – وفيق عبد العزيز فهمى وعبد الرحمن شبل : قصة كفاح شعب

المجلات والنشرات

١ – مجلة العلوم السياسية
٢ – الأهرام الاقتصادية
٣ – نشرة النشاط الاقتصادى الأفريقية – الأمم المتحدة
٤ – مجلة الأهرام الاقتصادى
٥ – بعض الجرائد المصرية اليومية.

المراجع الأجنبية

1 - A. G. Russel: Çolour, Races and Empire.

2 - A. C Haddon: The Races of Mankind.

3 - Arther de Gopineau: Traité sur l'inégalité des Races Humainés.

4 - Bear: Africa Question In Paris Peace.

5 - Beck: Congo Belge.

6 - Gregory: The Mensce of Colour.

7 - Huxley and Haddom: We Europeans.

8 - Jame: History of Negro Revolt.

9 - Keller: Colonisation.

10 - Mancini: La Vie de Peuples Dans L'humanité.

11 - Mac Crome: Race Attituce in South Africa.

12 - Walker: History of South Africa.

13 - Orde Browne: African Labourer.

14 - Smith Hempstone: Katanga Report.

من مطبوعات مؤسسة شباب الجامعة

للمؤلف :

تاريخ عرب الشام فى العصر المملوكى
تاريخ القبائل العربية فى عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية
تاريخ العرب في بلاد الأندلس
تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها
تاريخ دولتى المرابطين والموحدين
تاريخ العرب فى أخطر المعارك الحربية فى العالم
تاريخ الدولة البيزنطية
تاريخ دول المغرب العربى
التاريخ اليونانى والرومانى
تاريخ أوربا والأمريكتين
تاريخ الدولة الأموية
الفتوحات الإسلامية
تاريخ دول جنوب شرقى آسيا
التتار والمغول
تاريخ الحروب الصليبية فى مصر والشام
الخليج العربى (الدول والأمارات)
تاريخ آسيا الوسطى والأطماع الغربية
تاريخ اليهود

تحت الطبع :

تاريخ الشعوب الإسلامية
تاريخ أفريقيا القديم والحديث - أفريقيا والأطماع الغربية

الفهرس

الفهرس